

سلسلة النبي والعتره

رحمة للعالمين

رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ
وآله وصحبه

فوزي آل سيف



دار المحجة البيضاء

رحمة للعالمين

رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ

الرئيس - خلف محفوظ ستورز بناية رمال

هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ - ٠١/٥٤١٢١١

ص.ب: ٥٤٧٩ / ١٤ - E-mail: almahajja@terra.net.lb

www.daralmahaja.com / info@daralmahaja.com



رحمة للعالمين

رسول الله محمد بن عبد الله
ﷺ وآله وصحبه

فوزي آل سيف



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء

يهدى ثواب هذا الكتاب (رحمة
للعالمين) مع باقي السلسلة بنسخها
لوالدي المرحوم الحاج محمد تقى
آل سيف وزوجتيه المرحومتين أم
مجيد وأم محمود رحمهم الله جميعاً.

فوزي آل سيف

مقدمة سلسلة النبي والعترة

بسم الله الرحمن الرحيم

1/ كَتَبَ الْكَثِيرُ - جزاهم الله خيراً - كثيراً في سيرة رسول الله ﷺ وسيرة أهل بيته (عليهم السلام)، ولما يصل الأمر حتى الآن لدرجة اكتفاء الأمة، فضلاً عن مرتبة حقه وحقهم.

وهذا القليل - الذي هو بين يديك - أسأل الله أن يكون جزءاً مقبولاً من ذلك الكثير، وأن ينفع به من يصل إليه، بفضل الله وكرمه.

سيكون من نافلة القول؛ الحديث عن أهمية وجود القدوات في حياة المسلمين، وقد أشرت إليها في بعض مقدمات كتب هذه السلسلة، حيث أنها طبعت أولاً بشكل مفرق ومجزء، وقلت هناك: إن من أهم المعارك التي لا تزال محتدمة هي معركة النموذج الحياتي، وهذه لا تحتاج إلى أسلحة ولا جيوش، وإنما تحتاج إلى شاشة فقط، بل حتى الشاشة لا تحتاجها بالضرورة، فالنموذج الذي يريده الغرب لنا موجود في كل مكان لمن أراد؛

طريقة اللباس والأكل والمشى والكلام واللغة والزواج وتربية الأولاد، بل والأهداف والتطلعات وما هو حسن وما ليس بحسن، وتفاصيل الحياة المختلفة.

وفي الوقت الذي يعرف أبنائنا أحوال وأوضاع الممثلين وأبطال الكرة العالميين، ومقاتلي الفنون القتالية على الحلبة، وتفاصيل حياتهم وثوراتهم ونزواتهم - أحياناً - وتعرف بناتنا أحوال الفنانات والمغنيات و«نجمات» المهرجانات، ويشكل كل ذلك حافزاً لهم ولهن للسير في هذا الخط إن استطاعوا إليه سبيلاً، أو ما دونه.

نرى هؤلاء أنفسهم - وغيرهم - قد لا يعرفون أبجديات تاريخ رسولهم الكريم، وأئمتهم المعصومين، فضلاً عن تفاصيل حياتهم ولأنهم كذلك فلا يستطيعون أن يستجيبوا لقول الله عز وجل: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾⁽¹⁾ إذ الأسوة تتوقف على المعرفة التفصيلية والإعجاب بما تعلقت به تلك المعرفة، لكي يتحول ذلك - أو بعضه - إلى عمل وسلوك.

وقد أجرى أحدهم مقابلة مثيرة للدهشة، بل الحزن عندما سأل عشرات من الشباب والشابات عن اسم والد رسول الله ﷺ، فلم

(1) الأحزاب: 21.

يعرفه أكثر من بثت مقابلاتهم. هذا مع أن المفروض أن الشباب - من الجنسين - يدرسون شيئاً من سيرة النبي وتاريخه في المدارس! يحصل هذا في الوقت الذي تسأله عن أبطال الدوري الأوروبي في الكرة تراه عارفاً حافظاً!

لا نريد أن نجعل الصورة قاتمة إلى هذا الحد، فإن هناك وجهاً آخر لها، يتمثل في المحاضرات الدينية والمجالس التي تجمع المئات وربما الألوف في بعض المواسم، وبها يبقى مقدار ممتاز من الارتباط بالنبي المصطفى والعتره الهادية ومواقف القدوات الصالحة في تاريخ المسلمين، وهي التي تجعل الالتزام الديني والأخلاقي في درجات حسنة.

لهؤلاء الذين يتطلعون السيرة الناصعة والأسوة الصالحة، وحتى لأولئك الذين نعتقد أن خامتهم وطينة أنفسهم طيبة وإن تأثرت بعض الشيء ببريق الإعلام والدعاية الباطلة، نقدم هذه السلسلة في حياة النبي المصطفى صلوات الله عليه وآله وعترته أهل بيته الهادين عليهم السلام.

2/ من بين أسماء متعددة عُرضت على الإخوة والأخوات، لاختيار اسم هذه السلسلة، فقد كان أكثر الآراء مع عنوان «سلسلة النبي والعتره» ولا يخفى على القراء الكرام وجه المناسبة، فإن العنوان هذا بالإضافة إلى أنه يعبر عن موضوعه

بدقة، فإنه يستقي من حديث رسول الله ﷺ المعروف بين الفريقين «تركت فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدي أبداً؛ كتاب الله وعترتي» وقد سبق أن أشرنا إلى نداء القرآن للمسلمين بل للناس في حق رسول الله ﷺ ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾⁽¹⁾ فالقرآن يدعو إلى التآسي برسول الله وأتباعه، والرسول يدعو إلى اتباع عترته - مع القرآن - للنجاة من الضلال.

ولقد أوضحت أحاديث آخر عن رسول الله ﷺ المقصود من تعبيره «العترة»، كما بين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وهو سيدهم بعد النبي المقصود من عترة النبي. فهم «أهل البيت» وهم «أصحاب الكساء» وهم «اثنا عشر خليفة» وهم «آل محمد» و«كلهم من قريش» وهم ما بين؛ إمام، وابن إمام، وأخو إمام، وأبو أئمة تسعة.. وهكذا.

3/ سيلاحظ القارئ الكريم أن الأسلوب الغالب على كتب هذه السلسلة؛ الاختصار من حيث عدد المواضيع وطول كل موضوع والسهولة في صياغة بحوثها. وهو أمر متعمد وذلك أن المؤلف قد وضع أمامه فئة؛ ليست هي فئة المتخصصين

(1) الأحزاب: 21.

في قضايا الفكر والتاريخ، وليست أيضًا طلاب الدراسات العليا في الحوزات، وإنما الفئة المتوسطة الثقافة والراغبة في زيادتها من الجنسين، وقد يكون هذا الكتاب الذي يقرأه القارئ مفتاحًا لقراءة كتب أخرى تخصصية. وإن اكتفى به يرجى أن يكون كافيًا في الحد المعقول لمعرفة سيرة هؤلاء الأعظم والاقتداء بها.

ولا يعني هذا بالضرورة ألا يكون فيه بحث واستدلال، لا سيما في إثبات أو استبعاد ونفي بعض الحوادث التاريخية أو قبول وعدم قبول بعض الآراء والنظريات، لكن حتى في ذلك الاستدلال والنفي والإثبات كانت المحاولة في اتجاه تبسيط وتيسير المعلومة والنتيجة قدر الإمكان.

4/ باعتبار أن كتب السلسلة اعتمدت على مصادر وكتب مدرسة الخلفاء، كما اعتمدت على مصادر الإمامية، فربما تكون بعض الاستشهادات قد نقلت بنصها، فإذا كانت من مصادر المدرسة الأولى وكانت تستعمل الصلاة الناقصة على النبي ﷺ، بحذف الال، ربما نقلت بهذا النص، وكنا بين أن نتصرف في النص بإضافة الال بناء على النهي النبوي عن الصلاة البتراء، وبين أن نلتزم بنص ما نقلناه كما هو واخترنا الأول، لكن ربما زاغ

البصر في موارد لم نلتفت إليها، نسأل الله تعالى أن يجعل كل صلاة عليه صلاة على أهل بيته أيضًا.

5/ من المقاييس الجيدة التي يمكن بها تقييم الأعمال، تقييمها في الدائرة الأوسع لا في دائرة الذات. وهذا النحو من التقييم يجعل الإنسان إيجابيًا في الغالب، ومعنى ذلك أننا قد نرى كتابًا صعب اللغة ومعقد النظرية وموضوعه لا يهم إلا فئة من الناس، ويسارع البعض إلى نقد هذا النوع من الكتابات وهذا الصنف من الكتاب بأنه لو صرف وقته في كتابة كتاب أنفع للعامة، وفي موضوع أقرب لكان أحسن.. وبطبيعة الحال سينتهي هذا إلى تقييم سلبي للكتاب ولجهد الكاتب. لكن هذا البعض لو غير اتجاه التقييم بنحو آخر بأن قال: إن فئات المجتمع مختلفة المستوى والاهتمامات؛ فمنهم من لا يتنفع بهذا الكتاب لا موضوعًا ولا أسلوبًا، وهم مثلاً الفئة بسيطة الثقافة، أو المتوسطة. ومنهم أصحاب التخصصات العالية والعقول المركزة وهؤلاء قد ينتفعون كثيرًا بهذا الكتاب والموضوع، بل قد لا ينفعهم غيره، فهذا الكتاب صالح لهم وجهد الكاتب في محله.

وقد ينطبق على هذه السلسلة ما سبق؛ فقد تكون بالنسبة

لبعض القراء إما لمستواهم العالي، أو لعدم كون الموضوع في دائرة اهتماماتهم، أو لأن أسلوبها سهل وغير معقد، أو لأن معلوماتها ليست عميقة بالنسبة لهم أو لغير ذلك من الأسباب، وبهذا المعنى لن يكون تقييمها إيجابياً لمثل هذا الصنف! لكن بالنسبة لصنف أو لأصناف آخر، قد تكون نافعة أو حتى ضرورية.. ولمثل هذه الأصناف الأخيرة تمت كتابة هذه السلسلة. أسأل الله تعالى أن يقرنها بقبوله ونفع عباده.

6/ كان بداية الشروع في كتابة كتب هذه السلسلة في الشهر الثامن من سنة 1441هـ، وكان أول فيها عن الإمام المهدي عليه السلام، بعنوان: الإمام المهدي؛ عدالة منتظرة ومسؤولية حاضرة، وحيث وجدت تشجيعاً من المؤمنين الذين وصلهم الكتاب أتبعته بكتاب عن سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام، بعنوان: إني فاطمة وأبي محمد، انتهى في ربيع الثاني من سنة 1442هـ، ووفق الله وأعان فجاءت الكتب الأخرى تباعاً يتلو أحدها الآخر إلى أن انتهيت إلى الرسول الأعظم خاتم النبيين ورحمة للعالمين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فانهيت من الكتابة عن حياته المباركة، في العاشر من ربيع الثاني 1445هـ. وكان به هو ختام المرسلين ختم هذه السلسلة.

والحقيقة أنني في ليلة الحادي عشر بقدر ما كنت مسروراً في
نهار يومها بإكمال السلسلة، شعرت في ليلتها بالوحشة وشيء من
الحزن، ذكرني آدم ﷺ حين خرج من الجنة إلى الدنيا!

هذا مع أنه كان في برنامجي كتاب آخر. لكنه شعور غريب بينما
أنت تعيش عالم النبوة والرسالة والسمو فتتركه إلى عالم أدنى!

أسأل الله أن يُقرّ عيني ووالدي ومن يقرأ هذه السطور برؤية رسول
الله في الجنة وأن لا يحرمني وإياهم رؤيته وصحبته ومرافقته.

كانت هذه السلسلة كما تقدم تطبع بصورة مفرقة ومجزأة، وكل
كتاب يكون جاهزاً تتم طباعته، ولم يكن التسلسل فيها حاضراً
أيضاً، فقد رأيت أن أول كتاب كان عن الإمام المهدي وآخر
كتاب كان عن رسول الله، وقبل الأخير كان عن أمير المؤمنين
علي، وفيما بينهم كان عن سائر المعصومين، ولهذا قد تجد في
الإرجاع شيئاً لا يفهم إلا بهذه الصورة، فترى وأنت تقرأ في كتاب
رسول الله ﷺ، فكرة أو حديثاً أو حدثاً تاريخياً يعقبه القول وقد
أشرنا إلى ذكر هذا الموضوع في موضع آخر من هذه السلسلة مع
أنك في أول كتاب منها.. أو في كتاب متأخر منها يأتي الكلام بأننا
وسنشير إلى ذكر هذا الموضوع في موضع آخر مع أن الكتاب هو
في الأواخر!

معرفة أن هذه الكتب طبعت بغير تسلسل متتابع، ينفع في هذا المعنى. فليكن على ذكر منك.

7/ ساهم كثير من المؤمنين والمؤمنات في هذه السلسلة بأنحاء مختلفة، فهناك من تبنى تكلفة كتاب حين كانت تطبع مفرقة، ومن ساهم بما دون ذلك، وهناك من تبنى تكلفة قسم كبير منها حين صارت مجموعة واحدة، وهناك من ساهم في الكتابة والتفريغ من الأشرطة الصوتية، وهناك من لاحظ التصحيح بعد الطباعة وهناك من تطوع بإخراج الكتب - متفرقة - وهناك من وزع ونشر وهكذا.. وربما حصلت إشارة لبعضهم في بعض الكتب، ولم يقبل بعضهم بالإشارة إليه، أسأل الله سبحانه وتعالى لهم جميعاً عظيم الأجر، وشفاعة النبي ﷺ وعترته الطاهرة.

فوزي بن المرحوم
محمد تقى آل سيف
كُتبت مقدمة هذه السلسلة
في 1445/4/27 هـ
تاروت - القطيف

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

بفضل الله وعونه ها أنا أكتب السطور الأخيرة في كتاب سيرة رسول الله ﷺ، وبه أختتم الكتابة في سيرة المعصومين (عليه السلام)، لتتم السلسلة في أربعة عشر كتابًا.

من جميل التوفيقات - كما أرى - أنني ختمت بخاتم الرسل والأنبياء في أيام شهادة ابنته الصديقة الزهراء (عليها السلام) بناء على رواية الأربعين يومًا، وكنت قد بدأت هذه السلسلة بكتابة أول كتاب فيها عن الإمام المهدي (عليه السلام) وتلاه كتاب عن الصديقة الزهراء (عليها السلام) بعنوان: «إني فاطمة وأبي محمد». وهو يحتوي على شيء من سيرتها وشؤونها وخطبتها الفدكية.

وكان الكتاب ما قبل الأخير فيها حول أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، وأرجو أن يكون مصيري - ووالدي وأهلي - والقارئ الكريم ما بين أضلاع هذا المربع وما يحتضنه ويحويه من الأئمة المعصومين، وأن يرزقني وإياكم شفاعتهم ومرافقتهم في الجنان.

ثم إنني لا أزال أعتبر هذه الكتب - المختصرة - بمثابة قاعدة
البيان التي يبنى عليها، ولا تزال تحتاج إلى عمل أفقي وعمودي
فيها، ولكن وفق الله تعالى وأعان فتمت الخطوة الأولى، وبقيني
أن عونهُ لا ينقطع فيما يتلو من الخطوات الآتية.

وقد ذكرت أكثر من مرة أن هذه السلسلة ناظرة إلى الفئة
الشابة الراغبة في معرفة سيرة قادتها المعصومين وقد لا يتيسر
لها - لأكثر من سبب - مراجعة الموسوعات الكبيرة مع ما
فيها من الفوائد والمنافع. والكتابة بهذا النظر ومع ملاحظة هذه
الجهة تتحكم في الكاتب في اختيار المواضيع وتفاصيل كل
موضوع وتوجيه الموضوع كذلك. ولذا لا أعلم هل ستكون نافعة
للمحققين من طلاب العلم أو المثقفين المتعمقين في التاريخ
ونظرائهم أو لا تكون. لكن هذه - فيما أظن - هي قدرة الإنسان
مثلي فإذا توجه لطبقة معينة فلا بدَّ أنه سيغفل عن طبقة فوقها،
نعم هو القرآن العظيم الذي يخاطب المستويات المختلفة وفيه
البطون المتكثرة.

ربما يلحظ القراء الكرام بأن كل كتاب من هذه السلسلة ينقسم
إلى قسمين أساسيين؛ القسم الأول منه عبارة عن سيرة مختصرة
للمعصوم من ميلاده - أو قبل ميلاده - إلى لحظة مغادرته هذه

الدنيا، وتشتمل على عرض غير مفصل لحياته الشخصية والمهم من أدواره وأعماله، وهذا في الغالب يشكل ثلث أو ربع الكتاب، ويصلح لمن لا تستهويهم القراءة الطويلة، وفي - النية إذا وفق الله - أن تطبع كمجموعة مستقلة ومختصرة، والقسم التالي من كل كتاب يحتوي على موضوعات متفرقات ترتبط بحياة المعصوم، كتفصيل حياته الأسرية أو تراثه العلمي أو علاقاته مع القوى الحاكمة في عصره أو غير ذلك.

أضفت في هذا الكتاب فصلاً في الأخير هو عبارة عن تسعة أسئلة تمّ اختيارها من بين أسئلة كثيرة كنت قد طلبت ممن يتابعني إن كان لديهم أسئلة تبحث عن جواب، فكان أن أرسل الإخوة والأخوات عدداً غير قليل منها، اخترت هذا العدد منها وهو يشتمل على أسئلة متنوعة، ربما كان غير السهل إفراد موضوع خاص بها، وأرجو أن تكون الإجابات عليها وافية بمقدار ما يحتمله وضع الكتاب.

سيرى القارئ الكريم - والقارئة المحترمة - أنني في هذا الكتاب قد غيرت كل ما ورد من الصلاة الناقصة على النبي والتي كانت تنقل من مصادر مدرسة الخلفاء إلى الصلاة التامة التي فيها إضافة الآل، إلا ما زاغ عنه البصر أو في مواضع خاصة نقلتها

بصورتها الأصلية للاستشهاد على الخطأ الذي لا يزال موجوداً في ساحة المسلمين من ترك الصلاة التامة والاعتماد على الصلاة البتراء.

وقد وقع الاختيار في اسم الكتاب على عنوان «رحمة للعالمين» بعدما استشرت الأخوة والأخوات في أربعة أسماء ليختاروا أفضلها، فجاء هذا الاسم حائزاً على أكثر آرائهم، وأشار بعضهم إلى جهات فيه منها أنه: وصف قرآني للرسول المصطفى ﷺ من ربه، وكأنه تحديد دقيق لمهمته ووجوده في العالمين، بالإضافة إلى ما بين رحمة الله التي وسعت كل شيء ورحمة الرسول ولعل المقصود برحمة الله التي وسعت كل شيء، رسوله في أحد بطونها، إضافة إلى كونه رحمة للمؤمن والفاجر، والصالح والطالح، وقد تجد في فصل مقامات النبي في هذا الكتاب ما يشرح هذا المعنى، كما أن سائر مهماته وجهاده وتبليغه وتعليمه وتزكياته وإنذاره وتبشيريه وشفاعته، كل ذلك هو من تجليات رحمته ﷺ.

وفي الأخير أسأل الله سبحانه وتعالى الذي وفق وأعان أن يتقبل هذه الصفحات بقبول حسن وأن يكتبها في ميزان الولاء لمحمد وآله، وأن يكتب لي ثوابها ولوالدي وأهلي وجميع من ساعد أو

ساهم بنحو من الأنحاء في إعدادها أو تمويلها أو نشرها، وجميع المؤمنين بهم والموالين لهم، ولكم أيها القراء الكرام.

وما أحراني بقول إخوة يوسف وهم يخاطبونه، وأنا أفقر منهم وأخاطب من هو أكرم وهو الرسول الأكرم صفوة الكائنات وأشرف الموجودات محمد المصطفى ﷺ ﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُّزَجَّةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾⁽¹⁾.

فوزي ابن المرحوم
محمد تقي آل سيف
تاروت - القطيف
في العاشر من ربيع الثاني
1445 هـ

(1) يوسف: 88.

ما قبل الميلاد إلى لقاء الله تعالى

1 / أول الخلق

محمد ﷺ أول الخلق! هذه حقيقة يتفق عليها المسلمون؛ لكنهم يختلفون في تفسيرها وشرح أبعادها؛ فأصحاب الاتجاه الظاهري - وبزعم الخوف من الغلو - يرون أن هذه الأولوية هي أولوية تفضيلية لا زمنية، فتساوى هذه الفكرة مع فكرة أن النبي هو أفضل الخلائق، وأولهم مرتبة. لكن لا ربط لهذا بأولوية خلقه بالنسبة لسائر المخلوقات.

بينما يذهب بعضهم الآخر ممن لا يتقيدون بالاتجاه السابق إلى أن محمداً النبي ﷺ له بعدان فمن جهة هو نور سبق الخلائق كلها وهو - بهذا المعنى - أول ما خلق الله تعالى، بالإضافة إلى أنه خير ما ومن خلق، وربما استفادوا من بعض ما ورد من أن الله أول ما خلق إنما خلق نور نبيه، ومنه تشعب الخير. وهذا النور هو الذي كان في آدم فسجد له الملائكة بأمر خالقهم سبحانه، وهو

من جهة أخرى ذلك البشر الأعلى الذي تحقق في زمانه الخاص وولادته ومكانه الخاص في مكة.

وربما عبروا عن هذه الفكرة، بالإضافة إلى ما سبق من أوليته بمعنى أفضليته، بالحققة المحمدية، أو بالوجود النوري، واستفادوا من روايات بهذا المضمون.⁽¹⁾

وبناء على هذا فلا يجد هؤلاء مشكلة في تقدم النبي على كل الخلائق من جهة، وتأخره في الوجود الخارجي عن آدم وسائر الأنبياء.

والحق أن الروايات المعتبرة - وهي الطريق الوحيد - لمعرفة منزلة المصطفى صلوات الله عليه وآله، تشير إلى المقامات

(1) الكليني؛ الكافي 1 / 440 بسند لا بأس به عن الإمام جعفر الصادق: «قال الله تبارك وتعالى: يا محمد إني خلقتك وعلياً نوراً يعني روحاً بلا بدن قبل أن أخلق سماواتي وأرضي وعرشي وبحري فلم تزل تهللني وتمجدني، ثم جمعت روحيكما فجعلتهما واحدة فكانت تمجدني وتقديسني، وتهللني، ثم قسمتها ثنتين وقسمت الثنتين ثنتين فصارت أربعة محمد واحد وعلي واحد والحسن والحسين ثنتان، ثم خلق الله فاطمة من نور ابتدأها روحاً بلا بدن، ثم مسحنا بيمينه فأفضى نوره فينا».

وقريب منه ما في خصال الشيخ الصدوق، ص 482 عن الإمام جعفر الصادق عن جده أمير المؤمنين: «إن الله تبارك وتعالى خلق نور محمد ﷺ قبل أن يخلق السماوات والأرض والعرش والكرسي واللوح والقلم والجنة والنار».

وكذلك ما نقله في علل الشرائع 1/ 134 عن أبي ذر رحمه الله قال: «سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول خلقت أنا وعلي بن أبي طالب من نور واحد نسبح الله يمنا العرش قبل أن يخلق آدم بألفي عام فلما إن خلق الله آدم جعل ذلك النور في صلبه».

السابقة، بل وأكثر منها، غير أننا - نحن البشر العاديين - لا نستطيع أن نتصور ما هو أكبر من أحجامنا، ويصعب علينا تصديق الحقائق التي تتجاوزنا. ولا سيما إذا كانت من مدرسة أخرى. هذا بالطبع لا يعني تصديق كل ما ورد مما ليس له مستند معتبر..

2 / الوالدان والولادة المباركة:

أما الوالد المكرم لرسول الله ﷺ، فهو عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف وينتهي هذا النسب إلى النبي إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه السلام.

ووالدته المكرمة هي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة القرشية.

ويعتقد الإمامية أن والدي النبي ﷺ، كانا على ديانة إبراهيم النبي الحنيفية وهي الطريقة التي كان عليها بنو هاشم في مكة، والتي كانت تجمع عقيدة التوحيد والإيمان بيوم الحساب، وتجنب الفواحش التي كان يمارسها القرشيون الوثنيون، وقد اشتهروا بهذا الأمر في مكة. ومن الطبيعي أن والدي النبي لم يستحقا هذا الشرف العظيم لهما بالنبي إلا وقد كان لهما ما يؤهلهما، فكانا من تلك الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة،

التي لم تتلوث بقذارات الجاهلية الدينية والأخلاقية، فإن قضايا النبوة وبهذا المستوى لا تترك للصدف أو عدم التخطيط. فكانا في درجة عالية من الإيمان.

وينقسم سائر المسلمين في ما يرتبط بوالديه صلى الله عليه إلى قسمين: فالأكثر من المسلمين على أنهما ناجيان؛ إما لأجل أنهما كانا في زمن الفترة (بين نبي وآخر) أو لشفاعة النبي المصطفى لهما.

وهناك قسم من المسلمين وهم أتباع الاتجاه الأموي يصرون على أن يحيطوا النبي بدائرة الكفر من جدّ وعمّ وأبّ وأمّ، بل أدخلوهم النار!! بالأحاديث المكذوبة.⁽¹⁾ بينما يرون من صرحوا بعدم القناعة بالإسلام كأبي سفيان مسلمين بل يعتبرونهم من الصحابة وهؤلاء عندهم عدول بل أفضل الناس!

وقد تعرضنا لهذا الموضوع عند الحديث عن سيرة والدي النبي ﷺ، ورددنا على ما قاله أتباع هذا الاتجاه في «تكفير» والديه حاشاهما وحاشاه! في كتابنا أعلام الأسرة النبوية،⁽²⁾ فليراجع من أحب التفصيل.

(1) النيشابوري؛ مسلم: صحيح مسلم 1/ 191 «أن رجلاً قال: يا رسول الله أين أبي؟ قال: في النار، فلما قفى دعاه فقال: إن أبي وأباك في النار!» وزعموا أنه قال في شأن أمه صحيح مسلم 2/ 671: «استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي، واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي».

(2) آل سيف؛ فوزي: أعلام الأسرة النبوية.

وأما ولادته: صلوات الله عليه وآله، فقد كانت في شهر ربيع الأول في السابع عشر منه على المشهور، قبل 53 سنة من هجرته⁽¹⁾ إلى المدينة. وكانت تلك السنة تسمى بعام الفيل وهي التي شهدت فيها مكة انتصار الله لبيته الحرام، وهزيمة جيش المسيحيين الذي جاء من الحبشة لهدمها، وبدلاً من أن يتمكنوا من تدمير الكعبة فإن الله سبحانه أرسل ﴿عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَايِلَ﴾ (*) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصِفٍ مَّا كُوِلَ﴾.⁽²⁾

وقد سبق تلك الولادة إرهابات، وأحداث كأنها تريد إخبار العالم وسكانه، بأن ولادة «رجل استثنائي» سيصنع شيئاً استثنائياً تستحق أن يعلم بها العالم، وأن يحدث فيه ما يثير التساؤل لربط ذلك الحدث بتلك الولادة المباركة، فقد ورد في مصادر الإمامية وغيرهم علامات كثيرة، أشهرها: أن إيوان كسرى قد ارتج وسقطت منه أربع عشرة شرفة⁽³⁾ وكان ذلك إيذان بزوال الكيان السياسي للزرادشتية، مثلما أن خمود نيران معبدها الأكبر إعلام بنهاية الديانة تلك!

(1) سوف نعتد تاريخ هجرة النبي كمحور للحساب التاريخي.

(2) الفيل: 3 - 5.

(3) محل سؤال: هل هناك ارتباط بين سقوط هذه الشرفات الأربع عشرة، وبين عدد المعصومين الأربعة عشر؟ يحتاج إلى تفكير وتأمل! أو هي كما قيل: بعدد الملوك الذين سيحكمون بلاد فارس لحين زوال دولتهم؟

وعلى مستوى الأصنام قيل إنها قد كُتبت على وجوهها، وأن ابليس أعلن حالة الطوارئ في جنده وأنصاره، لمواجهة النور المحمدي الذي سيعم الأرض!

وفي العراق غاضت بحيرة ساوة⁽¹⁾، ومن الواضح أن هذه علامة فاقعة تلفت حتى نظر الغافل وتجعله يتساءل عما جرى؟ ولكي يكون أبلغ في الإعلام، فإنه بينما غاضت ونشفت البحيرة التي كانت مملوءة بالماء وكان الناس يستخدمون السفن لقطعها من جهة لأخرى، فإنه في نفس الوقت قد فاض وادي السماوة البعيد عنها بكيلومترات، ولم يكن من شأنه ذلك!

ولأن أتباع الاتجاه الظاهري والأموي لم يرق لهم أن يحتفي العالم بمولد سيده، فقد كذبوا الأحاديث الواردة وضعفوها مع إقرارهم بأنها علامات مشهورة ومتناقلة!⁽²⁾

والأعجب من ذلك أنه بينما احتفل الكون كله بولادة النبي،

(1) في مقال ذكر فيه كاتبه حيدر الجد في مجلة ينابيع على الانترنت في موقع قرئ بتاريخ 1445/3/2 هـ <https://alhikmeh.org/yanabeemag/?p=4844> عن جغرافية هذه البحيرة التي تبلغ مساحتها الفعلية نحو 12 كيلومتر مربع، وتقع بالقرب من السماوة في العراق (أقل من 30 كم جنوب غرب) وأنها لا يوجد لها مصدر مائي واضح يغذيها (إلا ما قيل من أنه يتسرب إليها من الشقوق والصدوع من نهر الفرات، ومن عجب أن نسبة الملوحة فيها عالية جدًا).

(2) ابن بابويه؛ محمد بن علي الصدوق: كمال الدين وتمام النعمة ص 197.

فلا يزال هناك منهم من يسأل اليوم عن جواز الاحتفال وحرمة.
ويفتي له المفتون بعدم جواز ذلك!

3 / محمد وأحمد :

من المعلوم أن الله سبحانه قد أخذ الميثاق من النبيين على
الإيمان برسول الله ﷺ،⁽¹⁾ كما جاء في القرآن الكريم، ومقتضى
ذلك أنهم يعرفونه على الأقل بوصفه واسمه، وهذا ما قاله
الله تعالى في كتابه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ
مِّنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ
وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾⁽²⁾، بل إن القرآن يصفه صلى الله عليه بأنه ﴿الَّذِي
يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾⁽³⁾، بل في
مرحلة متقدمة فإنه قد بشرت الكتب السماوية السابقة بالنبي
محمد ﷺ، قبل ولادته المباركة بمئات السنين،⁽⁴⁾ فقد جاء

(1) بل في الروايات الواردة عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، أن اسم النبي وعترته كان مكتوبًا على ساق
العرش، وأن آدم (عليه السلام) توسل بهذه الأسماء لله عز وجل.

(2) آل عمران: 81.

(3) الأعراف: 157.

(4) راجع البلاغي في كتابه الرحلة المدرسية، والبدر في كتابه مختصر السيرة النبوية فقد أوردنا
نصوصًا كانت في العهدين القديم والجديد، بلغتها الأصلية مع ترجمتها التي تنص بالصراحة
على اسم النبي محمد، والتي قد طمست الترجمات الخاطئة (عمدًا).

على لسان المسيح عيسى بن مريم ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي
إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ
بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ (1)

ولذلك نتعجب من اتفاق علماء مدرسة الخلفاء من جهة على أن
تسمية النبي بمحمد كانت من جده عبد المطلب، ومن جهة أخرى قول
الأكثر منهم بعدم إيمان عبد المطلب؟ فكيف يتفق هذان الأمران؟

أما على ما يذهب له الإمامية من أن عبد المطلب كان مؤمناً مطلعاً
على الكتب السماوية وعالمًا بما سيكون لحفيده من شأن بالنبوة، وقد
صرح بذلك، بل أمر أبناءه - كما نقل عنه ذلك أبو طالب - بالإيمان
به حين يبعث، بل هناك روايات تفيد بأن عبد المطلب كان محسوباً
من الأوصياء! بناء على هذا فلا مشكلة فإن تسمية عبد المطلب إياه
بهذا الاسم دون سواه والذي تطابق مع ما جاء في الكتب السماوية
وبشاراتها، ومع أخذ الميثاق على أنبياء الأمم السابقة بالإيمان به.. هو
تماماً على القاعدة، وينسجم بعضه مع بعض.

وأيضاً بناء على ما تقدم من قول الإمامية فإنه سيكون مفهوماً
لماذا لم يُسمَّ بهذا الاسم أحد قبله، لأن اسمه الشريف كان قبل
المخلوقين وقبل نبوة الأنبياء السابقين. وهذا يختلف عن قول

(1) الصف: 6.

أتباع مدرسة الخلفاء من أنه لم يُسمَّ قبله أحد باسم محمد، صيانة من الله لهذا الاسم!

ولأنه كان معروفًا في الكتب السابقة وعلمائها، فقد شاع هذا الاسم قبيل ولادته صلوات الله عليه وآله، وهو الأمر الذي دعا بعض القرشيين لتسمية أبنائهم بهذا الاسم، برجاء أن يكون هو المسمى!! وقد قال بعضهم إنّ الذين سُموا باسم (محمد) في قریش كانوا عشرين، وبعضهم نزل بالعدد إلى خمسة عشر، وإلى ثلاثة في أقل ما قيل!

وفسّر بعضهم اسم أحمد، بمعنى ينتهي إلى أنه أحمد الحامدين لله، أي أكثرهم لله حمدًا، فلما كان كذلك صار محمدًا، أي يُحمد مرة بعد مرة، ويُسَمَّى عليه على الدوام! ويكون محمودًا.

4 / رضاعه في بني سعد :

تذكر كتب السيرة بأن الوالد المكرم للنبي عبد الله بن عبد المطلب في طريق عودته من الشام إلى مكة، مرض قرب المدينة فمال إلى بيوت أقاربه فيها، وتوفي فيها، والقدر المتيقن أنه عليه السلام، لم ير والده. (1)

(1) تختلف كتب السيرة والروايات في ذلك، فعن الكليني الكافي، ج 1 / 439 أنه قال: «توفي أبوه عبد الله بن عبد المطلب بالمدينة عند أخواله وهو ابن شهرين»

وبموت والده ﷺ فقد كفله جده عبد المطلب، ولأسباب مختلفة⁽¹⁾ فقد أرسله ليرتضع في بني سعد على يد حليلة السعدية.⁽²⁾ وقد ذكر المؤلفون في السيرة من آثار بركاته في محيط بني سعد وما حوله، ما لا يستغربه من يعرف منازلهم ومقاماتهم.

لكن بعضها لا يصح مثل حادثة شق الصدر التي ذكرتها مصادر مدرسة الخلفاء⁽³⁾ ونعتقد بعدم صحتها، بل نشك في أن أيدي أهل الكتاب كانت وراء «تأليف» هذه الحادثة، وأنها على طريقة مدح الظاهر وذم الباطن.

(1) البعض يرى أن من الأسباب هو حفظه ﷺ عن مؤامرات اليهود الذين حاولوا التخلص منه، والأكثر على أن ذلك لما كان عند القرشيين من عادة إرسالهم أولادهم إلى البادية لتشتد فيها أبدانهم بصحة لا توجد في مكة، ولتستقيم فيها لغتهم وتصفو عن الاختلاط والضعف، (وبالطبع فإن هذا الثاني لا ينطبق على الرسول ﷺ فإنه أديب ربه).

(2) قد تحدثنا بشكل مفصل عن ذلك في كتابنا أعلام الأسرة النبوية عن حليلة السعدية وارتضاع النبي منها، والإشكالات التي قيلت ورددها وتجد ذلك كله مبسوطاً في ذلك الكتاب. وسيأتي في باب الأسئلة في هذا الكتاب مزيد تحقيق إن شاء الله.

(3) النيشابوري؛ مسلم: صحيح مسلم 1/ 147 «أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه، فشق عن قلبه، فاستخرجه، فاستخرج منه علقه فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم أعاده إلى مكانه. وجاء الغلمان يسعون إلى أمه - مرضعته - ينادون: إن محمداً قد قتل، فاستقبلوه وهو ممقع اللون».. وبالرغم من وصول بعضهم إلى الإشكال الموجود فيها إلا أنه تورط بما قيد به - وأمثاله - نفسه من اعتبار ما جاء في الصحاح كأنها آيات لا يأتيتها الباطل، فهذا البوطي يقول في كتابه فقه السيرة النبوية «لو كان الشر منعه غدة في الجسم أو علقه في بعض أعضائه، لأمكن أن يصبح الشرير خيراً بعملية جراحية»!

وأوضح من ذلك في عدم الصحة إنكار أصل الارتضاع!

5 / النبي محمد إلى سن العشرين؛

بعد ما بقي النبي في حي بني سعد إلى سن الرابعة من العمر، رجع إلى مكة المكرمة ليبقى بجوار أمه المكرمة آمنة، وجده زعيم مكة عبد المطلب بن هاشم، لكنه سيفتقد أمه عليها السلام بعد سنتين وأشهر، فكأن الزمان الذي استكثر عليه رعاية أبيه عبد الله، استكثر عليه حنان أمه، فما لبث أن فقدتها وعمره ست سنين وأشهر، ⁽¹⁾ فأواه الله وكان له، فزاد عبد المطلب من رعايته إياه، وأعظم شأنه وقدمه على سائر ولده وهو ابن أصغرهم سنًا إلى درجة أنه «كان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة لا يجلس عليه أحد إلا هو إجلالاً له وكان بنوه يجلسون حوله حتى يخرج عبد المطلب، فكان رسول الله ﷺ يخرج وهو غلام فيمشي حتى يجلس على الفراش فيعظم ذلك على أعمامه ويأخذونه ليؤخروه فيقول لهم عبد المطلب إذا رأى ذلك منهم: دعوا ابني فوالله إن له لشأنًا عظيمًا إني أرى أنه سيأتي عليكم يوم وهو سيدكم، إني أرى غرته غرة تسود الناس». ⁽²⁾

(1) في الكافي ج 1 / 439 أنه فقد أمه وهو عليه السلام ابن أربع سنين.

(2) الصدوق: كمال الدين وتمام النعمة ص 171.

حتى إذا مضت ثمان سنوات من عمره الشريف، حضرت الوفاة جده الكريم عبد المطلب،⁽¹⁾ ففارق الدنيا وكله ألم على حفيده الذي ستسود غرته العالم، وأوصى لذلك أهم أبنائه شخصيةً وحكمةً أبا طالب وهو شقيق والد النبي عبد الله بابن أخيه محمد.

وإذا أغلق الله باباً من الرحمة فقد يفتح أبواباً! فيها هو أبو طالب يضم محمداً إلى بيته ليكون له أباً بعد أبيه وتكون زوجته فاطمة بنت أسد كما قال رسول الله عنها عند وفاتها «اليوم ماتت أُمِّي.. كانت تجيع صبيانها وتشبعني» وأصبح أمر النبي محمدٍ الشغل الشاغل لأبي طالب، لا سيما وقد وصلتته الأخبار بتآمر اليهود على سلامته، فكان لا يغيب عن نظريه ومراقبته حيطةً له.

حتى أنه لما ذهب إلى الشام في تجارة له استصحبه معه وعمره حوالي أربع عشرة سنة، ورأى من الدلائل والعلامات التي تؤكد له ما قاله جده عبد المطلب في حقه، وبرهنت له بأن ما جاء من الأخبار في نبوته تؤكد الوقائع.

وعندما بلغ عشرين سنة اشترك في حلف الفضول الذي كان يهدف إلى حماية الضعفاء سيما من يقصد الكعبة المشرفة،

(1) لمعرفة حياة عبد المطلب وشخصيته وسيرته يمكن الرجوع إلى كتابنا: أعلام الأسرة النبوية.

من ظلم الأقوياء خاصة كبار قريش، وروي عن النبي أنه قال: «شهدت حلف الفضول مع عمومتي وأنا غلام، فما أحب أن لي حُمْرَ النِّعَمِ وأَنْبِي نَكَثِهِ»⁽¹⁾.

6 / النبي ما بعد العشرين إلى الأربعين (قبل البعثة)

مع كل سنة تمر كان ذكر رسول الله ينتشر في قريش كما عطر يتضوع، فهذا «الفتى» تكسوه مكارم الأخلاق حُللاً موشاة تميزه عن كل فتیان قريش، كيف لا وهو أديب الله عز وجل ومن قال فيه أمير المؤمنين (عليه السلام) «وَلَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ بِهِ ﷺ مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلِكٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ وَمَحَاسِنِ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ»⁽²⁾ ويستفاد من بعض الروايات أنه خرج في تجارة خديجة أكثر من مرة ولعل بعضها كان للتجارة في سوق حباشة⁽³⁾ في اليمامة. كما خرج في سفرة تجارية - هي الأهم - إلى الشام، وعمره خمس وعشرون سنة⁽⁴⁾ وهي على

(1) البلاذري؛ أحمد بن يحيى: أنساب الأشراف 2 / 15.

(2) الشريف الرضي؛ محمد بن الحسين الموسوي: نهج البلاغة، خطب الإمام علي (عليه السلام)، ص 300

(3) الصنعاني؛ عبد الرزاق بن همام: مصنف عبد الرزاق 6 / 9: «استأجرته خديجة ابنة خويلد إلى

سوق حباشة وهو سوق بتهامة». وقد ذكر المقرئ في إمتاع الأسماع 1 / 15: أن حكيمًا بن

حزام قد رأى رسول الله ﷺ بسوق حباشة، واشترى منه بَرًا (قماش) من بز تهامة».

(4) المقرئ؛ أحمد بن علي: إمتاع الأسماع 1 / 17.

طريقة المضاربة،⁽¹⁾ وأخبرها ميسرة غلامها من شأنه ﷺ ما بهره، وما رأى من كلام الرهبان والقساوسة فيه، وما جرى على يديه من الكرامات، وهو الأمر الذي زاد رغبة خديجة بنت خويلد في الاقتران به، وقد سمعت قبل ذلك ما سمعت.

وهكذا رتبت خديجة أمر الزواج⁽²⁾ وتزوج النبي محمد إياها وكان في الخامسة والعشرين⁽³⁾ وهي في السابعة أو الثامنة والعشرين، خلافاً لما ذهب إليه بعض مصادر مدرسة الخلفاء من أنه تزوجها وعمرها أربعون سنة أو أنها كانت قد تزوجت قبله، وكل ذلك لا يصح.

وكان نتيجة هذا الزواج المبارك الميمون أربعاً من البنات؛⁽⁴⁾ أم كلثوم ورقية وزينب وفاطمة وهي أفضلهن، ومن الأبناء القاسم

(1) فتح الله؛ أحمد معجم ألفاظ الفقه الجعفري/ 394. (المضاربة) أن يدفع الإنسان مالاً إلى غيره ليتجر فيه على أن يكون الربح بينهما بالنصف أو الثلث أو نحو ذلك.

(2) ذكرنا تفصيل ذلك عند الحديث عن السيدة خديجة ؑ في كتاب اعلام الأسرة النبوية فليراجع.

(3) بل قد يكون في السادسة والعشرين، فإن سفرته المذكورة للشام وهي قبل زواجه بخديجة، كانت في أواخر ذي الحجة من سنة 25 لعام الفيل، كما صرح به المقرئ، فلو فرضنا أن الزواج حصل بعد رجوعه مباشرة، فيكون عمره حينها ستاً وعشرين سنة.

(4) هناك رأي آخر عند بعض الباحثين من الإمامية وأشهرهم المرحوم السيد جعفر مرتضى العاملي ينتهي إلى أن من عدا فاطمة هن ربائب للنبي، ونعتقد أن هذا الرأي غير تام والأدلة قائمة على خلافه. فراجع فصل بنات النبي من خديجة في الكتاب المذكور آنفاً.

وعبد الله (وقد يلقب بالطيب والطاهر). وسيأتي الحديث عن أبنائه وبناته في فصل الحياة الأسرية للنبي.

وفي هذه الفترة حصلت حادثة وضع الحجر الأسود في مكانه، بيده المباركة، فإنه قيل: إن الكعبة قد انهدمت في تلك الفترة فأعيد بناؤها ولكنهم اختلفوا فيمن يضع الحجر الأسود في موضعه وكل قبيلة تريد هذا الشرف حتى خيف عليهم من القتال، فكان الحل بيد رسول الله ﷺ وقد كان أول داخل إلى المسجد حينها فاحتكموا إليه وجاء حكمه الفصل بأن طلب رداءً ووضع الحجر فيه ثم أمر رؤساء القبائل أن يحملوه، وقام هو بوضعه في مكانه.

وفي هذه الفترة كانت ولادة أخيه وابن عمه علي بن أبي طالب (عليه السلام)، حيث أنه ولد في سنة 23 قبل هجرة رسول الله ﷺ، وهي التي تصادف السنة الثلاثين بعد عام الفيل.

وبنفس الطريقة التي اعتنى فيها عبد المطلب (جدهما) بحفيده رسول الله، وفيما بعد أبو طالب بابن أخيه (محمد) وجاء به إلى منزله وكان نعم الحامي والمدافع عنه إلى أن تزوج النبي واستقل في بيت خاص به مع زوجته خديجة.. نقول نفس الطريقة مارسها النبي ﷺ، مع ابن عمه علي بن أبي طالب، فمنذ ولادته احتضنه

رسول الله واختصه بعنايته. وقد عبر الإمام علي عن تلك الفترة بكلمات متعددة.⁽¹⁾

7 / من البعثة إلى الهجرة:

مع بلوغ النبي الأربعين من العمر بعثه الله رسولا مبشراً ومنذراً، وينبغي التفريق بين كونه نبياً على مستوى التعيين والاصطفاء والانتخاب وبين كونه رسولاً بالفعل، فالأول كان منذ الأزل وكان النبي كذلك وإن آدم لمنجدل في طينته،⁽²⁾ في مرحلة هي بين الروح والجسد وقد مر بعض الحديث عن هذا في أول هذا الفصل، والثاني لما كان يحتاج إلى منذرين وإلى من يدعوهم إلى الدين فقد ارتبط بسن الأربعين كأمر اجتماعي.

وبينما تشير بعض مصادر مدرسة الخلفاء إلى قصة الوحي بما يفهم القارئ بأنه كان متفاجئاً بقدوم جبرئيل ونزول الوحي عليه، وأنه قبل ذلك كان تحصل له حالات من القلق حتى يهم

(1) منها «ولقد علمتم منزلي من رسول الله بالقرابة القريبة..» ولقد ذكرنا تفصيل ذلك في كتابنا: أمير المؤمنين؛ الإمام علي بن أبي طالب.

(2) النيشابوري؛ الحاكم أبو عبد الله: المستدرک علی الصحیحین 2/ 453: عن عِزْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ، وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَأَبِي (آدم) مُنْجِدٌ فِي طِينَتِهِ» وفي سنن الترمذي 5/ 585: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى وَجَبَتْ لَكَ النَّبُوءَةُ؟ قَالَ: «وَأَدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ».

بأن يلقي بنفسه من الجبل، إلا أن روايات أهل البيت (عليهم السلام)، تعتبر ذلك غير صحيح.⁽¹⁾ ومثله في عدم الصحة ما تنقله تلك المصادر من دور مزعوم لورقة بن نوفل (القس المسيحي الذي لم يؤمن برسول الله) وتصويره بأنه هو الذي أقنع (!!) محمداً بأن ما رآه هو «الناموس» كما زعموا وأنه نبي كما سائر الأنبياء! بينما كان النبي - والعياذ بالله - مضطرباً وجلاً خائفاً.. كل ذلك يعتبر في مدرسة أهل البيت يحط من منزلة رسول الله ﷺ، والذي كانت علامات نبوته قد عرفها الآخرون قبل وقت البعثة بوقت غير

(1) البخاري؛ محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري 1/ 7: «..فجاءه الملك فقال: له اقرأ! فقال: ما أنا بقارئ! قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (*) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (*) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (*) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (*) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق]، فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده. فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال: زملوني، زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي، فقالت خديجة: كلا والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى، وكان ابن عم خديجة، وكان امرأً قد تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل في العبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي. فقالت له خديجة: يا بن عم، اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا بن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس (أي جبريل أو الوحي) الذي نزل على موسى يا ليتني فيها جذعاً (شاباً قوياً) ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك. فقال رسول الله ﷺ: أو مخرجي هم؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزراً. ثم لم يلبث ورقة أن توفي وفتر الوحي.

قصير، بل رأت ذلك أمه المكرمة حين ولادته فكيف به ﷺ؟
 وكان يرى المبشرات واحدة بعد أخرى طيلة هذه المدة. ⁽¹⁾ أفكان
 يحتاج إلى ورقة وغيره ليقنعه بنبوته؟ وعجيب من هذا (الورقة)
 الذي يُقنع النبي بنبوته ثم لا يؤمن به وقد بعثه الله بالنبوة! وينتظر
 أن تمر السنوات حتى يرجع شاباً قوياً ويخرج الكفار النبي حتى
 ينصره! فهو يبيع بالآجل ويقبض بالعاجل!

ومن الواضح أن ما بعد مرحلة البعثة قد شكّلت فاصلاً بين
 عالمين وإنسانين وأن ما بعد البعثة النبوية مختلف جداً مع ما
 قبلها، فإن هذه البعثة تشير إلى اتصال الإنسان الضعيف بمصدر
 القوة الإلهي، والبشر الجاهل بالعالم القادر، وكانت البعثة مناسبة
 لانبعث الخيرات على العالم.

الإسراء والمعراج

في السنة الثالثة ⁽²⁾ للبعثة النبوية على الأكثر أُسري
 برسول الله ﷺ من مكة المكرمة إلى المسجد الأقصى في
 فلسطين وعُرِّج به من هناك إلى السماوات العلى. والإسراء يعني

(1) الطبري «فكان من ذلك أنه إذا مرَّ في طريق لا يمر بشجر ولا حجر إلّا سلّم عليه فقال: السلام عليك يا رسول الله، فالتفت يميناً ويساراً فلا يرى أحداً».

(2) العاملي؛ جعفر مرتضى: الصحيح من سيرة النبي الأعظم 3/ 101.

السير في الليل وهو هنا الحركة الأفقية في الفضاء من منطقة لأخرى (كحركة الطائرات)، بينما المعراج يعني الحركة العمودية الصاعدة من الأسفل (الأرض إلى السماء). وهنا نشير إلى نقاط في هذه القضية:

1/ إن الغاية من الإسراء والمعراج قد حددها القرآن الكريم بقول الله تعالى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾⁽¹⁾ فالغاية إذن هي إطلاع النبي ﷺ، على آيات الله بما لا يمكن إلا بالعروج إلى السماوات. وسيكون مما اطلع عليه في طريق العودة (الإسراء) من أخبار تخص قريشاً وقوافلها التجارية، دليلاً على صدق مقالته، ومن ثم صدق دعوته ونبوته.

2/ إن إسراء النبي ﷺ أفقيًا إلى بيت المقدس ثم عروجه من الأرض إلى السماوات كان بروحه وبدنه، خلافاً لما ذهب إليه بعض المسلمين من أنه كان معراجاً روحيًا، والمعراج (البدني الروحي) هو مفاد الآية المباركة إذ قوله تعالى ﴿أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ يعني برسول الله لا يصدق على الإسراء

(1) الإسراء: 1.

والمعراج الروحاني، فالذي يصدق على كلمة العبد هو ما يشمل الروح والجسم معاً. وكذلك الإراءة في قوله تعالى: ﴿لَنُرِيَهُ مِنْ أَيْنَأْتَنَّا﴾ فإنها ظاهرة في الرؤية البصرية. على أن المعراج الروحي ليس فيه ذلك الإعجاز الذي يستحق أن يشار إليه في آيات القرآن الكريم، ولا يستحق من قريش ذلك التكذيب والانكار فإنه يكون مثلما يرى النائم عندما تنتقل روحه وتطوف في عوالم مختلفة وهو في فراشه لم يتحرك. بالإضافة إلى أن ما ورد في الروايات - المتفق عليها إجمالاً - والتي سيشار لها بعد قليل، من رؤية الجنة والنار، وملاقاة الملائكة، والحوار معهم وأمثال ذلك لا يستقيم إلا بالالتزام بأن العروج كان بالجسم والروح.

وما يستبعد وقوعه بالنظر إلى القوانين الطبيعية، من قوانين الجاذبية، والضغط الجوي، وعدم القدرة على التنفس، وآثار الشهب وأمثال ذلك هو صحيح لو كان المعراج طبيعياً، ولكن بالنظر إلى كون القضية إعجازية غيبية بشكل كامل، فلا يصح هذا الاستبعاد. فإنه ما حصل هو أن الله أسرى بعبد، ولم يسر النبي بقوته، وهكذا الحال في عروجه فإنه عُرِج به في السماء بقوة الله تعالى التي تخضع لها كل قوانين الكون، فإنه مقنن القوانين وييده تعالى أن يبسطها أو يقبضها.

3/ بحسب ما جاء في الروايات التي يتفق فيها - على نحو الإجمال - المسلمون، فإن النبي ﷺ قد استغرق في هذه الرحلة السماوية فترة أقل من ليلة، وصل فيها في البداية إلى بيت المقدس؛ المسجد الأقصى - وهو يختلف عن مسجد قبة الصخرة المشهور الآن - واستطاع بعد رجوعه واجتماعه مع القرشيين أن يصفه وصفاً دقيقاً تحير فيه من كان من القرشيين يكثر الذهاب إلى فلسطين، ويعرف تفاصيل المسجد وما فيه.

وكذلك فإنه وصف قافلة قريش الراجعة من الشام وأشار إلى بعير ضل فيها وإن غير ذلك من التفاصيل، التي تكفي من أراد الإنصاف دليلاً على صدق النبي والنبوة.

4/ إنه قد وجدت أخبار كثيرة في قضية المعراج، وكثيرة جداً واختلط فيها الحابل بالنابل، ولا ريب أن بعضها موضوع يقيناً وبعضها حق يقيناً وبعضها محتمل الصحة، وقد قسمها الشيخ الطبرسي في كتابه تفسير مجمع البيان بشكل دقيق إلى ما يلي حيث قال رحمه الله: إنها تنقسم إلى أربعة أقسام:

«أحدها: ما يقطع بصحته لتواتر الأخبار به وإحاطة العلم بصحته .

ثانيها: ما ورد ولم يتواتر ولم نقطع بصحته ولكنه مما تجوزُه العقول ولا تأباه الأصول فنحن نجوزُه أيضًا. ثالثها: ما يكون ظاهره مخالفًا لبعض الأصول إلا أنه يمكن تأويله على وجه يوافق المعقول فالأولى أن نؤوله على ما يطابق الحق.

ورابعها: ما لا يصح ولا يمكن تأويله إلا على التعسف البعيد فالأولى أن لا نقبله.

فأما الأول: المقطوع به أنه أُسري به على الجملة دون التفاصيل. وأما الثاني: فمنه ما روي أنه طاف في السماوات ورأى الأنبياء والعرش وسدرة المنتهى والجنة والنار ونحو ذلك. وأما الثالث: فنحو ما روي أنه رأى قومًا في الجنة يتنعمون فيها وقومًا في النار يعذبون، فيحمل على أنه رأى صفتهم وأسماءهم. وأما الرابع: فنحو ما روي أنه ﷺ كلم الله سبحانه جهرة وراه وقعد معه على سريره ونحو ذلك، مما يوجب ظاهره التشبيه، والله سبحانه يتقدس عن ذلك، ومن هذا النمط كثير فهذا ما لا نقبله». (1)

(1) الطبرسي؛ أبو علي الفضل بن الحسن: تفسير مجمع البيان 6/ 215. باختصار.

كيف بدأت واستمرت الدعوة للإسلام؟

يتحدث كتاب السيرة عن المرحلة السرية وأساليب التقية التي بدأ بها الرسول المصطفى ﷺ دعوته وهو الأمر الطبيعي التي تقتضيه الحكمة، وإلا ربما وُدت تلك الدعوة المباركة في أول أيامها، حتى إذا جاء الأمر الإلهي بأن ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾⁽¹⁾ وجمع النبي ﷺ عشيرته وأنذرهم وبين لهم أنه ما جاء أحد قومه بمثل ما جاءهم به، وأظهر لهم من إكرام الله له ما تبين في الطعام القليل الذي صنعه لهم وصار ببركته يكفي كل ذلك الجمع! كما عيّن في ذلك اليوم خريطة خلافته وذكر لهم اسم الوصي من بعده وهو ابن عمه عليّ عليه السلام.⁽²⁾

مع استجابة العشرات من شباب وضعفاء قريش والمتطلعين لحياة أفضل ما كان يمكن لرؤسائها أن يسكتوا عن الأمر فإنه يهدم أسس مصالحهم ورئاستهم، فشرعوا في مواجهة رسول الله وإيذاء المؤمنين به. وحينها جاءه الأمر الإلهي بأن ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ (*) إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ⁽³⁾، وبالطبع كان الأمر ضمن

(1) الشعراء: 214.

(2) ذكرنا تفصيل هذه الحادثة ودلالاتها في كتابنا: أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

(3) الحجر: 94 - 95.

قواعده الطبيعية، فقيض الله للنبي ﷺ حماية أعز المؤمنين به،⁽¹⁾ وهو عمه أبو طالب، الذي مارس دورًا دقيقًا للغاية في حمايته من جهة والظهور أمام قريش بمظهر المحايد في قضية الإيمان بالدعوة النبوية. وبهذا كان بمثابة جيش كامل أمام تعسف القرشيين بحيث لم يستطيعوا أن يوقفوا النبي محمدًا فضلًا عن قتله.

نعم اشتدت وطأة القرشيين على من تحت يدهم من الأرقاء والعبيد ممن آمن برسول الله، «فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين، فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش، وبرمضاء مكة إذا اشتدَّ الحر، يفتنونهم عن دينهم»⁽²⁾ فاستشهد على أثر ذلك ياسر والد عمار ووالدته تحت التعذيب، وأوذى بلال الحبشي، وصهيب الرومي، وخباب بن الأرت.. وغيرهم.

وأما من آمن بالنبي من سراة الناس فإنه كانوا يقاطعونه اجتماعيًا «وكان أبو جهل الفاسق إذا سمع بالرجل قد أسلم له شرف ومنعة، أنبّه وأخزاه وقال له: تركت دين أبيك وهو خير

(1) لمعرفة إيمان أبي طالب وأدواره الاستثنائية في حماية النبي ودعوته يمكنكم مراجعة كتابنا: أعلام الأسرة النبوية.

(2) الحميري؛ عبد الملك بن هشام: سيرة ابن هشام 1/ 317: ناقلا عن ابن إسحاق.

منك! لنسفهنَّ حلمك، ولنُقيلنَّ رأيك، ولنَضَعَنَّ شرفك، وإن كان تاجرًا قال: والله لنكسِّدنَّ تجارتك، ولنُهْلِكَنَّ مالك»،⁽¹⁾ وضمن هذا الإطار فقد حوَّصر بنو هاشم في شعب أبي طالب في حوالي السنة السابعة للبعثة النبوية وكان عمر النبي ﷺ حينها 47 سنة، وذاقوا العنت والفقر! بينما هاجر بعض المسلمين إلى الحبشة بأمر رسول الله ﷺ، على دفعتين.

ولم يكن قد أذن لرسول الله ﷺ في المواجهة المباشرة حتى ذلك الوقت.

ومرت سنوات عشر من بعثة الرسول وهو في رعاية عمه أبي طالب بن عبد المطلب وحمايته، إلى أن توفي هذا الناصر الكبير في السنة العاشرة (ثلاث سنوات قبل هجرة النبي)، وتلى وفاته وفاة الصديقة خديجة بنت خويلد، وقد كانا - مع كثرة من حول النبي - جناحيه!

فأمره الله سبحانه بأن يهاجر من مكة إلى المدينة، بعدما طاف في القبائل والمناطق كالطائف داعيًا مستنصرًا فما وجد فيها غير الخذلان.

(1) المصدر نفسه 320.

8 / الهجرة إلى المدينة

بمجيء الأمر الإلهي للنبي بالهجرة للمدينة استعد رسول الله ﷺ لذلك بأمور؛ منها أن يتخفى في خروجه وهجرته لكيلا تقدم قريش على عمل أحرق - وقد عجزت حتى الآن - عن تحقيق أي هدف لها من التخلص من رسول الله ﷺ لوجود عمه أبي طالب، أو الحد من توسع قاعدة الإيمان بالدعوة النبوية. فهياً الأمر بحيث يبات عليّ ابن عمه في فراشه في ما سيعرف فيما بعد بأنه منقبة من أعظم المناقب للإمام علي (عليه السلام)، وبأن يتولى الإمام بعد خروج النبي للمدينة ووصوله لها، مهمات عينها له مثل إيصال أمانات كانت عند النبي لأهلها، وأخيراً الخروج بثقل رسول الله ﷺ وعائلته وبعض نساء بني هاشم.

وخرج ليلاً وصحبه أو التحق به أبو بكر بن أبي قحافة⁽¹⁾ على

(1) بالرغم من أن مصاحبة أبي بكر لرسول الله ﷺ، في الهجرة وكونه معه في غار حراء، من الأمور التي لا يمكن مناقشتها في مدرسة الخلفاء إذ تنتقل من كونها تاريخية إلى عقائدية، وهي تعتبر أهم أسباب تفضيل أبي بكر على من سواه، فإذا تم رفضها فهذا يؤثر على كل بناء التفضيل ومن خلفه مسألة الخلافة، وهكذا. وقد كانت المناقشات في السابق تدور حول أن المصاحبة هذه هل توجب فضيلة أو لا؟ وهل ما جاء في آي القرآن يشير إليها كفضيلة أو لا! كما يظهر ذلك من السيد العاملي في كتابه الصحيح من سيرة النبي الأعظم 4/ 201، وذلك باعتبار أنها من المسلّمات التاريخية.

إلا أن بعض الباحثين أثار شكوكاً في أصل القضية؛ فمن أولئك ما ذكره السيد حسن العلوي في شبكة الكافي <http://alkafi.net/index.php?threads/1510/> من تساؤل مبعثه رواية في =

ما هو المشهور في السيرة، وبقي ثلاثة أيام في غار حراء في جبل ثور وقد لحق به القرشيون يبحثون عنه، وستر الله عليه ثم واصل المسير حتى دخل طرف المدينة في الثاني عشر من شهر ربيع الأول من أول سنة لهجرة النبي، وبقي منتظرًا وصول ابن عمه علي بن أبي طالب ومعه نساء رسول الله وأرحامه.

بناء المسجد: في المدينة بدأ النبي بتأسيس المجتمع النموذج الذي يحكمه الإسلام، فأول عمل قام به أنه بنى المسجد (النبي) بمشاركة المسلمين، وكأنه بذلك يريد الإشارة إلى

= صحيح البخاري 1/ 140 ط السلطانية: عن ابن عمر قال: «لما قدم المهاجرون الأولون العُصبة (موضع بقاء) قبل مقدم رسول الله ﷺ كان يؤمهم سالم مولى أبي حذيفة وكان أكثرهم قرآنا». وفي موضع آخر ج 8 - ص 115 «كان سالم مولى أبي حذيفة يؤم المهاجرين الأولين وأصحاب النبي ﷺ في مسجد بقاء فيهم أبو بكر وعمر وأبو سلمة وزيد وعامر بن ربيعة». وتساءل عن أنه إذا كان أبو بكر مأمومًا في المدينة لسالم مولى أبي حذيفة، قبل مقدم النبي.. فكيف يكون مع النبي في الغار، ولما يصل للمدينة؟ وقد ذكر هذا الخبر وشيئه من تحدث عن إمامة المولى والمملوك للحر.

وقد تنبه في سنن البيهقي 5/ 600 إلى هذه الجهة فحاول حل التخالف بين الأمرين، وقال: «قال الشيخ: كذا قال في هذا وفيما قبله: فيهم أبو بكر. ولعلَّه في وقت آخر؛ فإنه إنما قدم أبو بكر مع النبي ﷺ، ويحتمل أن تكون إمامته إياهم قبل قدومه وبعده، وقول الراوي: وفيهم أبو بكر. أراد: بعد قدومه، والله أعلم».

وقد ذكر الشيخ نجاح الطائي في كتابه السيرة النبوية 1/ 267 أن الذي صحب النبي في الغار والسفر هو دليله عبد الله بن أريقط بن بكر، وليس أبا بكر بن قحافة، وقال إن هناك قرائن كثيرة، لكنه لم يذكرها في هذا الكتاب، سوى إشارته إلى أن أيًا من أبي بكر أو عمر لم يفتخر بهذا قبل السقيفة وبعدها.

أن نقطة المركز في حياة المسلم هي عبادته لله، وأن المسجد هو محل اجتماع المسلمين في حياتهم السياسية والعسكرية والاجتماعية.

المؤاخاة: كما كان المجتمع المسلم بحاجة إلى بناء المسجد لاجتماع الناس فقد كان بحاجة إلى تدبير لاجتماع القلوب، وتقارب النفوس بين الأنصار (المدينين) أنفسهم حيث كانوا ينتمون لقبيلتين كان بينهما معارك وإحْنٌ، وبين الأنصار والمهاجرين (المكيين) حيث كانوا من مجتمعين مختلفين (أخلاقاً وطبائع وثقافة) ومن شأن ذلك، عدم تحقق الانسجام، فعقد عقد المؤاخاة بين المسلمين، وقد ذكر الكثير عن آثاره السريعة، ونقل المؤرخون صوراً عجيبة من الإيثار والعطاء لا سيما من جهة الأنصار.

العلاقة مع اليهود: وكان اليهود قد استوطنوا المدينة منذ سنوات طويلة، بل وسيطروا على اقتصادها لحد كبير، وحيث أنهم جزء من سكان المدينة، فلا بدّ من نظام علاقة بينهم وبين المسلمين وحاكم المدينة الجديد الرسول الكريم فكان أن أجرى معهم ما عرف فيما بعد بوثيقة المدينة، وهو أول نص مكتوب ينظم العلاقة بين المسلمين واليهود، وإن كان اليهود فيما بعد سينقضون هذا العهد مراتٍ، ويتحالفون مع المشركين ضد المسلمين.

9 / رسول الله : معجزاته، سنته

زود الله سبحانه وتعالى رسله بمعجزات هي برهان صدقهم ودليل ارتباطهم الخاص بخالقهم، وكونهم مرسلين من قبله للإنسان. وبدون تلك المعجزات يمكن لأصحاب دعاوى النبوة الكاذبة أن يخدعوا الناس ﴿لِيُرَدُّوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾⁽¹⁾، وفي هذا الإطار جعل الله النار المتقدمة على إبراهيم الخليل عليه السلام برداً وسلاماً، كما زود موسى بن عمران عليه السلام بالعصا التي تلقف ما يأفك السحرة، وتفلق البحر ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾⁽²⁾ وجعل لعيسى بن مريم آية فإذا به يقول: ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾⁽³⁾، ولم تكن هذه فقط معجزاتهم وإنما هي الأكبر والأوضح.

والمعجزة: هي أمر خارق للعادة والطبيعة مع التحدي وعدم المعارضة ومطابقة الدعوى.⁽⁴⁾

(1) الأنعام: 137.

(2) الشعراء: 63.

(3) آل عمران: 49.

(4) وبهذا التعريف الذي ذكر للمعجزة، تخرج الأفعال العادية والمهن التي يتعلمها الناس مهما دقت وصعبت، كما يخرج السحر وما هو في معناه كخفة اليد وأمثالها، وتخرج الأفعال التي لا تتوافق مع ادعاء النبوة، وأمثال ذلك.

وقد مكّن الله تعالى رسوله الكريم محمداً من نوعين: المعجزات الفعلية، والعلمية في اختصاص من الله له في النوع الثاني من المعجزات؛ أما معجزاته الفعلية التي عجز ولا يزال البشر عنها، مع تصديقها نبوته فكثيرة للغاية حتى قيل إنها تبلغ ألفاً مما ذكر عنه صلوات الله عليه وآله؛ وقد أفرد المقرئ في الإمتاع فصلاً خاصاً عرض فيه إلى بعض ما نقل عن معجزاته صلوات الله عليه وآله مثل «انشقاق القمر، وردّ الشمس بعد غروبها، وانقياد الشجر، وانقلاب العود والقضيب سيفاً جيّداً، وتسليم الأشجار والأحجار عليه، وتحرك الجبل لأجله وسكونه بأمره، وحشا يوم حنين وجوه المشركين كفّاً من تراب فملاً أعينهم، وإشارته إلى الأصنام وسقوطها، وإلانة الصخر له، وتسبيح الحصى في كفه، وتأمين اسكفة الباب وحوائط البيت على دعائه.

«ونبع الماء من بين أصابعه، وظهور بركته في تكثير الماء القليل الذي كان في الميضاة، فشرب منه أهل العسكر كلهم وهم عطاشٌ وتوضأوا، كل ذلك من قدح صغير ضاق عن أن يسط فيه يده المكرمة، وفي مزادتي المرأة، وفي الماء بالحديبية، وفي العين التي بتبوك، وقد أهرق عليه وضوءه فيهما، ولا ماء فيهما، فجاشتا

بالماء، فشرب من عين تبوك أهل الجيش وهم ألوف، حتى رويوا كلهم وفاضت بعد ذلك، وشرب من بئر الحديبية ألف وأربعمائة حتى رويوا، ولم يكن فيها قبل ذلك ماء.

وأمرت بطريق تبوك عند دعائه وقد اشتد عطش الناس، واستسقى وقد قحط المطر فسقوا بدعائه، وظهرت برسته في ركي قليل الماء حتى صارت نهراً تجري، وفي بئر بقاء، وفي بئر قليلة الماء بعث إليها بحصباء فألقيت فيها فغزر ماؤها.

وأفاق جابر بن عبد الله رضي الله عنه وقد أغمي عليه لما صب من وضوئه عليه، ونشط بعير قد أعيأ ببركة وضوئه لما رشه عليه وسقاه منه، وعذب الماء». (1)

وقد بلغ نقل هذه الأمور حدّاً يحقق التواتر اللفظي في بعضها والمعنوي في البعض الآخر.

غير أن المعجزة الكبرى والأساس وهي الباقية حتى يوم الناس هذا هي معجزته القرآنية، وتتميز هذه المعجزة عن غيرها من معجزات الرسل السابقين، بل عن معجزاته الفعلية بميزات؛

(1) المقرئ: إمتاع الأسماع 4/ 390، وقد ذكر العلامة المجلسي رحمه الله في بحار الأنوار/ ج 17

و18 فصولاً مطولة من هذه المعجزات فليرجع إليها من أراد التفصيل.

منها أن نفس الدستور هو المعجزة بينما كان في ما مضى عند الأنبياء والرسل كانت الرسالة والمنهاج الحياتي شيئاً والمعجزة الدالة على نبوة النبي شيئاً آخر.

ومنها أن هذه المعجزة (القرآن الكريم) وهو الوحي الذي تلقاه رسول الله من ربه بواسطة الأمين جبرئيل لا تزال قائمة وبإمكان أي بشر أن يطلع عليها مباشرة من غير حاجة إلى نقل الناقلين كما هو الحال في المعجزات الفعلية التي حدثت وانقضت زمنها ووصلت إلينا بواسطة الأخبار.

ومنها: أن الإعجاز فيها والتحدي مفتوحٌ للخلق من جنٍّ وإنسٍ لا على مستوى كل فردٍ فردٍ فيهم وإنما على مستوى مجموعهم بمعنى أنهم لو اجتمعوا كافة (من إنسٍ وجنٍّ) وجهدوا أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله.⁽¹⁾

ومنها: الإعجاز اللفظي في القرآن الكريم، بلاغة ودقة تعبير بحيث كان في آياته كمال المعنى وجمال اللفظ، بحيث لو أردت تبديل كلمة بأخرى لتعطي نفس المعنى في نفس الموضع لم يتيسر ذلك لك، وقد أحجم - لهذا السبب - عن معارضته والاستجابة

(1) الإسراء: 88 ﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ

ظَهيراً﴾.

لتحديه جهابذة اللغويين وفطاحل الشعراء الذين كان تتدفق القصائد بين أيدهم كالآبار النابعة.. معلنين عن عجزهم وقلة حيلتهم في ذلك. ولا شك أنهم لو استطاعوا ذلك لما توقفوا.. كيف والعرب منهم قد سلكوا أبعد الطرق في معارضة النبي ودعوته وخاضوا الحروب معه للقضاء على دعوته، وكان يمكن لهم القضاء على تلك الدعوة بسورة واحدة مفتراة، ويكفيهم ذلك لكنهم لم يستطيعوا ولن يستطيعوا أو غيرهم الإتيان بها!

ومنها: الإعجاز العلمي بكشفه عن دقائق القوانين الكونية على سبيل الإشارة إلى حكمة الله عز وجل في الكون وتسخير له لخلقه، وكان ذلك في بيئة لا تعرف أبجديات العلوم، لكن القرآن الكريم لما كان المعجزة الباقية فقد كشف من القوانين والقواعد العلمية ما اكتشف بعضه البشر بعد مئات السنين من نزوله، وهو الأمر الذي جعل الكثير من العلماء الطبيعيين يتحIRON في دقة آيات القرآن الكريم، وإيمان القسم الأكبر منهم على أثر ذلك.

ومنها: الإعجاز القانوني حيث تضمن القرآن الكريم نظاماً شاملاً للحياة الشخصية السليمة، ولتنظيم الاجتماعي الكامل، بحيث لم يستطع البشر الوصول إلى شيء يوازيه فضلاً عن أن يتجاوزه. ولا تزال المجتمعات البشرية البعيدة عن حكم وقوانين

القرآن تتقاذفها الموجات يميناً وشمالاً، ولا تخرج من أزمة إلا لتدخل في أخرى، وما نراه اليوم من توجه هذه المجتمعات إلى الانهيار الأخلاقي والعذابات النفسية ليس إلا نتيجة البعد عن حكم الله كما جاء في القرآن الكريم.

ومنها؛ غير ذلك فليرجع طالب التفصيل إلى كتابنا: معارف قرآنية،⁽¹⁾ فقد تحدثنا فيه عن مختلف جهات الإعجاز القرآني.⁽²⁾

وأما سنته : وهي أقواله وأفعاله وتقريره

فإنها تنطلق من عصمته في القول والفعل، وبالتالي تكون جزءاً من التشريع، فمثلما كان الوحي الإلهي النازل بواسطة الأمين جبرئيل تشريعاً لازماً للبشر من خالقهم بشكل مباشر، فإن ما يقوله رسول الله ﷺ - في مقام بيان الأحكام والعقائد - يكون أمراً لازماً وهو في قوة الوحي الإلهي المباشر، وذلك لما أمر الله سبحانه عباده به بقوله: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْهَوْا﴾⁽³⁾ ولما أمرهم بطاعته بقوله: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾⁽⁴⁾ إن كنتم مؤمنين. بل جعل طاعة رسول الله هي عين طاعة الله

(1) آل سيف؛ فوزي: معارف قرآنية، نشر دار أطياف.

(2) وأوسع من ذلك ما جاء في بحار الأنوار ج 17 / 159.

(3) الحشر: 7.

(4) الأنفال: 1. وفي ست آيات قرن الله طاعة رسوله بطاعته.

ولا تختلف عنها في شيء ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾⁽¹⁾. وهو موقع الرسول الاعتيادي في قومه ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطِيعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾⁽²⁾.

وهكذا الحال في أفعاله، فمع أنه صلوات الله عليه وآله قال في موارد خاصة أمراً المسلمين بأن يفعلوا كما فعل كما هو الحال في الصلاة «صلوا كما رأيتموني أصلي»⁽³⁾ وفي الحج (خذوا عني مناسككم) وكان يفعل الشيء فيفعله المسلمون، وهو مقتضى عموم كونه أسوة ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾⁽⁴⁾.

وكذلك الأمر في تقريره؛ ومعنى التقرير أن يفعل شيء بحضور رسول الله ﷺ من أمر الدين ويراه النبي فلا ينهى عنه ولا يأمر بتغييره مع قدرته على ذلك، فيدل ذلك على أن هذا هو من الشرع ولا يخالف حكم الله.

نعم؛ هناك زاوية صغيرة وهي التي ترتبط بالأفعال (العادية) فإن بعض العلماء رأوا أنها لا تدخل في ما سبق بينما رأى البعض

(1) النساء: 80.

(2) النساء: 64.

(3) البخاري: صحيح البخاري 1/ 129. وهو من أشهر الأحاديث التي يستدل بها في مسائل الفقه بين الفريقين.

(4) الأحزاب: 21.

الآخر أنها تدخل في السنة من باب دلالة فعلها على إباحة تلك الأفعال وعدم ممنوعيتها.

وعلى كل حال فالأصل في أقوال النبي وأفعاله وتقريراته هو بيان الحكم الإلهي الشرعي، وأن المسلم مأمورٌ بالأخذ عن رسول الله فيه، فما كان معلومًا أنه سنة - بأحد المعاني السابقة - فهو واضح، وما كان معلومًا أنه من الأمور العادية (بناء على انفصالها عن السنة وهو رأي بعض العلماء) فكذلك، وما كان مشكوكًا في أنه من السنة أو لا، فالأصل الذي يرجع إليه هو أنها من السنة حتى يتبين الخلاف.

ثم إن السنة النبوية قد تعرضت للأسف الشديد إلى منع ومحاصرة من قبل الحكومات التي تولت بعد رسول الله ﷺ، باستثناء فترة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، واستمر هذا المنع والمحاصرة مدة تصل إلى نحو 85 سنة، بمبررات فاسدة وغير سليمة، وقد تعرضنا لهذه الجهة بشكل مفصل في محاضراتنا عن سنة النبي ﷺ. (1)

وقد أنتج هذا المنع والمحاصرة أضرارًا كبيرة بوعي الأمة

(1) يمكن مراجعتها على قناتنا في اليوتيوب.

ومعرفتها بدينها وقادتها، فمن تلك الأضرار أنها غابت خارطة الطريق التي وضعها النبي للأمة من بعده لكيلا تضل الهدى! وأنت تعلم - عزيزي القارئ - ما الذي يحصل عندما لا يسير المرء على خارطة واضحة.

كما أدى ذلك المنع والمحاصرة إلى إدخال عشرات الآلاف من الأحاديث المصطنعة والمكذوبة على لسان رسول الله من قبل الوضاعين الذين كانوا يسترزقون بوضع الأحاديث، خاصة مع تشجيع بعض الحكام الأمويين على وضع الأحاديث في مناقب البعض، ودم البعض الآخر.

وعندما جاء بعض المؤلفين في نهاية القرن الثاني الهجري ومنتصف القرن الثالث ليكتبوا المصنفات، و«الصحاح» زاد الأمر سوءاً فصار كمن أراد أن يكحل العين المريضة فعمّاها! إذ كتبت بعض هذه الكتب ضمن معادلات مذهبية خاطئة، وتحت توجيهات خلفاء وحكام متعصبين، وضمن ظروف لا تسمح بكتابة الحق.. وللأسف فإن هذه الظروف وتلك المعادلات لا تزال هي الحاكمة بعدما اعتمد الحاكمون - إلى يومنا هذا - نتاج تلك الفترات الخاصة على أنه الحق الذي لا ريب فيه!

10 / رسول الله؛ صحابته وعترته

كما كان للنبي المصطفى محمد ﷺ، أعداء تفاوتت شدة عداوتهم له ولدعوته ما بين خفيفة إلى متوسطة وإلى شرسة للغاية، فذلك كان أمر المؤمنين به والملتفين حوله والمستجيبين لدعوته. وهذا يتوافق مع النظر الموضوعي لأي مجتمع، فإن فيه درجات وتنوعاً، ولا تجد مجتمعاً أفراده كالمكعبات الخارجة من مصنع واحد لا تفاوت بينها ولا اختلاف.

فكان أصحاب النبي ﷺ فيهم من هو أكثر يقيناً وفي مقابله يوجد أشخاص أقل يقيناً بحيث لا يصدقون بعض كلامه، ولا يؤمنون بما يقول من إخبارات حتى تتحقق، بل ويظنون بالله الظنونا، ولقد عرض القرآن الكريم للنماذج المتعددة من أصحاب النبي - وهم كأي فئة اجتماعية فيها ما ذكرنا من الاختلاف - فمدح النماذج العالية، بينما عاتب بل وفضح نماذج أخرى في فعلها السيء واعتقادها الخاطئ.

فبينما تحدث القرآن الكريم في سورة كاملة هي المنافقون عن تلك الخطوط المنحرفة عن الرسول وهم من المسلمين ومع الرسول في المدينة، فقد ذكر فئة أخرى بإجلال وتكريم وهي: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾⁽¹⁾.

(1) التوبة: 100.

وأما سورة التوبة التي سميت بالفاضحة والمبعثرة والكاشفة، فقد بعثت أسرار المنافقين، وكشفت خططهم، وأوردت كلماتهم حتى لتحس نفسك تعرفهم شخصًا شخصًا، وتقريبًا من آية 42 إلى آية 127 وهي في نهاية السورة، تتحدث عنهم وعن أفكارهم، وتفضح أقوالهم وكلماتهم، وتعري أعدارهم الكاذبة، بل حتى إذا تخلل آياتها كلام عن المخلصين المؤمنين للمقارنة لا تلبث أن تعود من جديد إلى أولئك «المتخلفين عن رسول الله» و«أصحاب مساجد الضرار» و«الماردين على النفاق» و«المتربصين بالمؤمنين الدوائر» «الذين يحلفون لكم لترضوا عنهم» و«الأجدر بمواقع الجهل» و«الذين يستأذنون وهم أغنياء» و«المعذرون الكاذبون في أعدارهم» و«الذين هم في ريبهم يترددون» و«الذين كره الله انبعاثهم».. وهكذا.

وكان في أصحابه صلوات الله عليه وآله وعليهم من كان يصفه النبي بأنه وشيعته بالقول «إِنَّ هَذَا وَشِيعَتَهُ لَهُمُ الْفَائِزُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ومن وصفه بأنه «جلدة ما بين عينيه» ومن وصفه بأنه «ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق منه» ومن وصف بأنه «منا أهل البيت».. وهكذا.

وبين هذين الحدين كانت تتفاوت درجات أصحاب رسول الله ﷺ صعودًا ونزولًا، وإيمانًا ونفاقًا.

وعلى هذا الأساس فقد انقسم المسلمون في تقييم أصحاب النبي ﷺ، إلى فئتين: الفئة الأولى ودرجت العادة أن نسميها: أتباع مدرسة الخلفاء، والأخرى: أتباع مدرسة أهل البيت. ويرى علماء مدرسة الخلفاء أن الموقف تجاه صحابة النبي يتلخص في التالي:

أنهم - جميعاً وبلا استثناء - «كلهم عدول لا يتطرق لهم نقد ولا انتقاص ولا ينبغي التحقيق في الحديث الذي رُوي عنهم، كما أنهم من أهل الجنة وأنه لا ينبغي الخوض في خلافاتهم وحروبهم..» وقد شرحنا في كتابنا أصحاب النبي محمد بشكل مفصل ما سمي فيما بعد بنظرية عدالة الصحابة جميعاً، وناقشنا أدلتها، ثم ذكرنا آثارها وكيفية التوظيف السياسي لها من قبل الحكومات لا سيما الأموية والعباسية. وكيف تحولت في العصر الأخير إلى جزء من العقيدة (!) فليراجع الكتاب من أحب التفصيل.

وفي مقابل ذلك ترى مدرسة أتباع أهل البيت ﷺ، أن الصحابة كما نص القرآن بذلك حالهم حال سائر المؤمنين بل حال سائر البشر، حيث منهم المؤمنون حقاً والذين يُتوسل إلى الله سبحانه وتعالى بهم، ومنهم من ذكرنا أوضاعهم قبل سطور.

وعلى هذا الأساس فهم لا يرون مانعاً من نقد تصرفات بعض أصحاب الرسول، التي انتقدها القرآن كما يظهر ذلك في سورة الحجرات، والتي انتقدها النبي ﷺ نفسه، من عصيانهم لأوامره، ومخالفتهم سنته بعده حتى لقد وردت الرواية عنه في مصادر المسلمين من أنهم قد ارتدوا على آثارهم القهقري! (1)

كما أن أتباع مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) لا يعتقدون بكون كل أصحاب النبي أفضل الخلائق أو أنهم جميعاً من أهل الجنة أو أنهم - طراً - عدول.

وإنما يعرض كل منهم على المقاييس الدقيقة ليرى حاله وماله، ومدى قربه وبعده عن توجيهات رسول الله ﷺ، فيجعل في المكان الذي تنزله فيه أعماله، ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾. (2)

عترة النبي؛

عترة الشخص هم أقرباؤه المتفرقون، وعترة النبي هم كذلك،

(1) الشيباني؛ أحمد بن حنبل: مسند أحمد 4 / 136: «وإنه سيجاء بأناس من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال، فلا قولن: أصحابي، فيقالن لي: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فلا قولن كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (*) إن تُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تُغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: 117 - 118] فيقال: إن هؤلاء لم يزلوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم».

(2) هود: 105.

لكنه ﷺ، لما عيّنهم وحدد دائرتهم وجب الوقوف عند ذلك الحد. فقد أوصى النبي المصطفى أمته باتباع القرآن والعترة، فقال في الحديث المعروف بحديث الثقلين: «أوصيكم بما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي ألا وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»⁽¹⁾.

وعندما حدد العترة بأنهم أهل بيته، فقد تكفل حديث الكساء⁽²⁾

(1) ذكر هذا الحديث في مصادر مدرسة الخلفاء مروياً عن اثني عشر صحابياً منهم: علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وأبو سعيد الخدري، وجابر بن عبد الله، وجُبَيْر بن مُطْعَم، وحُذَيْفَةُ بن أَسِيد، وزَيْد بن أَرْقَم، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن مسعود، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، وأبو هريرة، وغيرهم وعن عشرات من التابعين. وذكره أعلام مدرسة الخلفاء في مصنفاتهم الحديثية، فقد ذكره ابن أبي شيبة (ت 235هـ) في المصنف وأحمد بن حنبل (ت 241هـ) في المسند وفضائل الصحابة، والترمذي (ت 279هـ) في السنن، وابن أبي عاصم (ت 287هـ) في كتابه السُّنَّة، والنسائي (ت 303هـ) في السنن الكبرى وخصائص علي وفضائل الصحابة، والطبراني (ت 360هـ) في معاجمه الثلاثة الكبير والأوسط والصغير.. وغيرهم في غيرها من المصنفات. وقد تعددت صياغاته، بل وأماكن إلقاء الرسول إياه للصحابة، مما يشير إلى اهتمام الرسول ﷺ بتأكيد معناه. وهذا هو سرّ أن بعضهم نقله مفصلاً، وبعضهم مختصراً.

(2) النيشابوري؛ مسلم: صحيح مسلم 4/ 1883.. عن عائشة قالت: خرج النبي ﷺ غداة وعليه مرط مرحل، من شعر أسود. فجاء الحسن بن علي فأدخله. ثم جاء الحسين فدخل معه. ثم جاءت فاطمة فأدخلها. ثم جاء علي فأدخله. ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [الأحزاب: 33].

وأوضح منه حديث عمر بن أبي سلمة، ربيب النبي ﷺ في سنن الترمذي 5/ 351 قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [الأحزاب: 33] فِي بَيْتٍ أُمِّ سَلَمَةَ، فَدَعَا فَاطِمَةَ وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا فَجَلَّلَهُمْ بِكَسَاءٍ، وَعَلِيٌّ خَلْفَ ظَهْرِهِ فَجَلَّلَهُ بِكَسَاءٍ ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي فَأَذْهِبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيراً». قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: وَأَنَا مَعَهُمْ يَا نَبِيَّ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَنْتِ عَلَى مَكَانِكِ وَأَنْتِ عَلَى خَيْرٍ».

الذي جاء شارحاً لآية التطهير ببيان أسمائهم وشخصياتهم. فسيد العترة بعد الرسول المصطفى هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ثم فاطمة وابناها الحسن والحسين (عليهما السلام). وحيث أوصوا الأمة باتباع التسعة من ذرية الإمام الحسين (عليه السلام) كان هؤلاء - دون سواهم - من العترة المقصودة في الحديث.

والعجيب من الحكومات التي تسلطت على الأمة حين شادت بناء الصحابة الذين ذكرنا ما فيهم وعليهم، وألزمت الأمة بفقههم أو فقه من تأخر عنهم وهو على درجة كبيرة من التخالف والتهافت، وهدمت قواعد بيت أهل البيت (عليهم السلام)، وهم الذين كما يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) «لا يقاس بآل محمد أحد ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه»⁽¹⁾ بإبعادهم وإقصاء منهجهم، والسماح لكل أصحاب التوجهات الفكرية والمذاهب الفقهية أن يصلوا ويجولوا في ساحة المسلمين! ولم يُكْتَفَ بذلك في زمانهم وإنما لا تزال هذه السنة الباطلة من حصر المذاهب الرسمية في الإسلام في أربعة (4) مذاهب، مستمرة وليس منها مذهب أهل البيت (عليهم السلام).

(1) الشريف الرضي: نهج البلاغة، خطب الإمام علي (عليه السلام) ص 47 «لَا يُقَاسُ بِآلِ مُحَمَّدٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَحَدٌ، وَلَا يُسَوَّى بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْهِ أَبَدًا، هُمْ أَسَاسُ الدِّينِ وَعِمَادُ الْيَقِينِ، إِلَيْهِمْ يَفِيءُ الْعَالِي وَبِهِمْ يُلْحَقُ النَّالِي، وَلَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ الْوِلَايَةِ، وَفِيهِمُ الْوَصِيَّةُ وَالْوَرَاثَةُ».

10 / الرسول يواجه أعداءه: قريشاً واليهود والمسيحيين:

ما أن التقط المسلمون أنفاسهم من البناء الداخلي في المدينة حتى فاجأتهم قريش باستعداداتها للقتال، لتبدأ معهم سلسلة من الحروب استمرت إلى فتح النبي مكة، ولمن يريد أن يطلع على تفاصيل المواجهة العسكرية وتخطيط الرسول الأكرم لتلك المواجهات، ينبغي أن يراجع الكتب المختصة في هذا،⁽¹⁾ ولكننا هنا نمر مروراً عابراً على عناوين تلك المعارك.

وسيساعدها اليهود في تلك المعارك وسيخوضون مع النبي معارك آخر.

أ/ معركة بدر الكبرى: في شهر رمضان سنة 2 هـ جمعت من قريش قوتها وجهزت جيشاً (أقل من 1000 مقاتل) وقصدت قتال النبي في المدينة وقطع هذا الجيش مسافة 300 كيلو متراً ليصل إلى منطقة بدر، وفي المقابل خرج النبي ﷺ في نحو (313) رجل، ولم يكن العدد ولا العتاد متكافئاً ولكن كانت النتيجة ما قاله الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾⁽²⁾، وذلك حين افتتح أبطال الإسلام عليٌّ

(1) نشير هنا إلى كتاب: الرسول القائد: تأليف اللواء الركن محمود شيت خطاب.

(2) آل عمران: 123.

وحمزة وعبيدة (من أحفاد وأبناء عبد المطلب) المعركة بقتل الوليد وشيبة وعتبة (من أحفاد وأبناء عبد شمس) ثم هبت ريح النصر لتأخذ من أعداء الله ما تأخذ.

ب/ معركة أُحُد في شوال سنة 3هـ: لم تبلع قريش هزيمتها المدوية بل بقيت غصة في حلقها تذيبها الشعور بالذل والهوان، فاستعدت من جديد لتغزو المدينة المنورة وتنتقم لقتلها في بدر، فتغسل عنها عار الهزيمة السابقة وقدمت إلى المدينة بثلاثة آلاف مقاتل حتى وصلوا إلى جبل أُحُد (على بعد أربعة كيلومترات من مسجد الرسول)، وخرج إليهم رسول الله مع ألف من المسلمين، بعد مشورته إليهم في الخروج، وكانت المعركة بتخطيط رسول الله في اتجاه نصر المسلمين، وبالفعل بدأ الكفار بالهزيمة لولا أن الرماة الذين أمرهم الرسول بأن يثبتوا في موقعهم على الجبل المعروف بجبل الرماة، مهما حصل، هؤلاء انحدروا في طلب الغنيمة فاستغل خالد بن الوليد الفرصة وحمل مع قطعة من جيش الكفار من نفس الجبل، فقلب هزيمة الكفار إلى نصر لهم، وفر في هذه الأثناء كثير من المسلمين (ولا سيما من أصحاب الأسماء اللامعة) بينما بقي علي بن أبي

طالب ونظراؤهم ومعهم رسول الله ثابتين في ميدان القتال. ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُونَهُمْ بِإِذْنِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّا أَرَاكُمْ مِمَّا تَحِبُّونَ ۚ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ۚ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (1).

ج/ غزوة بني النضير في ربيع الأول سنة 4هـ؛ وكانت ضد يهود بني النضير وكانوا من سكان ضواحي المدينة، وذلك أنهم قد نقضوا عهد المسالمة والموادعة الذي تعاقد النبي معهم عليه أول هجرته إليها، بل وتآمروا على اغتيال رسول الله عندما طلب مساعدتهم في دية قتيلين - وكان ذلك يجب عليهم حسب بنود المعاهدة - فحاولوا قتل النبي بإلقاء صخرة عليه من أعلى جدار كان قد جلس تحته، وبينما نجا رسول الله بإخبار الله إياه عن مؤامرتهم فقد كان ذلك باعثاً على إخراجهم من المدينة لخيانتهم تلك، وأمهلهم لذلك شهراً، فرفضوا فهاى الرسول جيشاً لقتالهم وحاصرهم عدة أيام، فاستسلموا وخرجوا من المدينة! وقد ذكر القرآن الكريم تلك الغزوة بقول

(1) آل عمران: 152.

الله سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدَى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَتَّوَلَى الْأَبْصَارُ﴾ (1).

د/ معركة الخندق (الأحزاب) في سنة 5هـ، تلاقت مصلحة يهود بني النضير الذين أخرجهم رسول الله من المدينة المنورة مع مصلحة نظرائهم يهود بني قريظة، وهكذا مع مصلحة كفار قريش الذين لا يزالون يطمعون في القضاء على دعوة رسول الله ودولته، فكان أن أجمع أولئك على مهاجمة المدينة بعد تجميع قواتهم المختلفة، وهكذا حصل حيث استطاعوا جمع ما يقارب من (10000) عشرة آلاف مقاتل. وبينما جاء كفار قريش بعددهم وعتادهم، كان المفروض أن يقوم يهود المدينة الباكون فيها من بني قريظة بالتخريب من الداخل.

ولأن أمر المسلمين كان شوري بينهم فقد تم الأخذ برأي سلمان الفارسي الذي اقترح حفر خندق حول المدينة، يمنع من اقتحامها، وهو الأمر الذي فاجأ المشركين العرب حيث لم يكونوا يعرفوا شيئاً مثله!

(1) سورة الحشر: 2.

وعمد رسول الله إلى خطط متعددة بالإضافة إلى ما سبق من حفر الخندق، ومنها أنه أمر نعيم بن مسعود الغطفاني (وهو من زعماء قبيلته) ولم يعلموا بإسلامه، فأخبره أن يرجع لقومه وأن يث الفرقة بين المشركين واليهود بإقناع كل طرف منهما أن الطرف الآخر سيخذه، ونجح في ذلك نجاحًا تامًا وكان أحد أسباب تشكيك كل من الطرفين في الآخر وعدم الثقة به، فكان حول المدينة خندق يحميها، وكان ابن مسعود وتفريقه بين اليهود والمشركين، وكان هناك سيف علي بن أبي طالب عليه السلام الذي جدل فارس قريش الأول عمرو بن عبد ود، عندما اقتحم الخندق وصار في طرف المسلمين، وبضربته التي رجحت على عبادة الثقليين وفي بعض الروايات أفضل من أعمال الأمة إلى يوم القيامة،⁽¹⁾ كان المعركة على وشك النهاية، لتُختم بريح شديدة لم تترك للمشركين خيمة إلا اقتلعتها، الأمر الذي جعلهم يهربون مكتفين من الغنيمة بالإياب.

هـ/ غزوة بني قريظة سنة 5 هـ، مع استمرار التآمر اليهودي على رسول الله ودولته، ونقضهم العهد الذي أمضوه معه أول

(1) النيشابوري؛ أبو عبد الله الحاكم: المستدرک علی الصحیحین 3/ 34 قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُمْبَارَةٌ عَلَيَّ بَنِي أَبِي طَالِبٍ لِعَمْرٍو بْنِ عَبْدِ وَدٍّ يَوْمَ الْخَنْدَقِ أَفْضَلُ مِنْ أَعْمَالِ أُمَّتِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»

مجيء النبي للمدينة، والذي يقضي بأن يدافع كل من الطرفين عن الآخر، وأن لا يبغى له غائلة، ولا يعين عدوه عليه فإذا بهم كما يقول القرآن الكريم: ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَنْقُونَ﴾ (*) فإِذَا نَشَقَقْنَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِدَ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَدَّكَرُونَ ﴿١﴾ ينقضون عهدهم مرة بعد أخرى، بل ويحرضون كفار قريش والأعراب على غزو المدينة ويدلونهم على عوراتها، ويشكلون مصدر خوف للمسلمين باعتبار أن هؤلاء اليهود جزءاً من ساكنيها، بل بدأوا بمهاجمة سكانها مع بداية معركة الخندق هذا مع أنهم كانوا مهديين بأنهم سيكونون ﴿مَلْعُونِينَ﴾ أَيْنَمَا تُقِفُوا أَخِذُوا وَقُتِلُوا نَفْتِيلًا ﴿٢﴾ إلا أنهم استمروا على تأمرهم، فكان أن استجاب النبي لأمر ربه بأنه ﴿لَنُغَرِّبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿٣﴾ فمع انتهائه من معركة الخندق، استدار النبي إليهم وحاصرهم، وقاوم بنو قريظة ما استطاعوا ولكنهم خضعوا في آخر الأمر واستسلموا راغمين فكان في ذلك نهاية وجودهم في المدينة المنورة. ليجتمع من نجا منهم ومن بني النضير

(1) الأنفال: 56 - 57.

(2) الأحزاب: 61.

(3) الأحزاب: 60.

مرة ثالثة في خير ليهددوا الرسول من جديد وليخوض معهم المسلمون الحرب الثالثة في خير بعد ستين.

هـ/ صلح الحديبية 6هـ مقدمة لفتح مكة: حتى هذا الوقت لم يذهب المسلمون من المدينة لزيارة بيت الله الحرام في حج أو عمرة، وكأنّ القرشيين قد اعتبروا الكعبة المشرفة ملكهم يمنعون منها من يشاؤون، فعزم النبي مع المسلمين أن يعتمروا، وأرسل لذلك أحد المسلمين ليخبرهم أنه سيأتي معتمراً لا لحرب أو مواجهة.

لكن قريشاً التي فقدت في ماضي أيامها موقعها واعتبارها - بهزائمها أمام رسول الله - أرادت أن تتمسك بالورقة هذه لمنع المسلمين من العمرة وإثبات أن البيت الحرام تحت سيطرتها! فهذا آخر شيء تملكه. لذلك أرسلت إلى النبي أحد كبارها وهو سهيل بن عمرو وغايته الأساس هو أن يرد المسلمين عن العمرة لهذه السنة بأي ثمن كان!

ورأى النبي ﷺ، وهو الذي ما دعي إلى خطة رفق إلا وأجاب، لا سيّما وقد اعترفت به قريش كطرف مفاوضة، وستلزم نفسها ببعض الالتزامات التي سيتبين في ما بعد أن ذلك الصلح كان هو الفتح المبين، ومقدمة لفتوحات آخر كبيرة.

ويتبين للناظر أن رجوع النبي والمسلمين في تلك السنة عن العمرة، وإن كان بحسب الظاهر خضوعاً لإرادة قريش التي أصرت على هذا في مقابل الفوائد التي حصل عليها المسلمون ومنها العمرة في السنة القادمة كان التدبير الأفضل. ومنه يتبين أن اعتراض بعض المسلمين على ذلك الصلح وإظهارهم الاستعداد للقتال لم يكن موافقاً للتفكير الصحيح فضلاً عن التسليم للنبي والوثوق بحكمته!

و/ إنهاء الوجود اليهودي بمعركة خيبر سنة 7هـ: تحولت خيبر (تبعد عن المدينة 94 كيلومتراً) إلى وَكْرٍ يتجمع فيه أعداء رسول الله من اليهود، سواء من بني النضير وبني قريظة وغيرهم، وقد فاجأهم رسول الله ﷺ، بعد عودته من صلح الحديبية، وكانوا قد استسهلوا بقوة المسلمين واستعظموا كثرتهم وقوة حصونهم، فما كان يخطر في بالهم أن يتجرأ المسلمون على مهاجمتهم لكن رسول الله اعتمد معهم - كما سيعتمد فيما بعد مع كفار مكة - مبدأ المباغته وإخفاء وجهة سيره وهدف معركته بل وتقطيع وسائل وصول الأخبار لأعدائه.

فكان أن رجع للمدينة حتى دخلت السنة السابعة وفي محرم خرج إلى خيبر في نحو ألف وخمسمائة مقاتل (1500) قاصدين فيها حصون خيبر التي كان فيها أكثر من عشرة آلاف مقاتل (10000).

وقد استطاع النبي ﷺ بعقده الصلح مع كفار قريش وجميع المتحالفين معها أن يحيدهم عن مساعدة اليهود وأن يأمن جانبهم من هذه الجهة، فسيقاتل اليهود وجهًا لوجه من دون خشية من القرشيين وحلفائهم.

وكانت خير منطقة مغلقة على اليهود، وفيها ثمانية حصون كبيرة وقد نحتت في الجبال ولا تزال مرتفعة شاهقة يتضح منها مدى قوتها بعد مرور أكثر من أربعة عشر قرنًا، وتقع أراضيهم الزراعية خارج هذه الحصون، وقيل إنهم كانوا يحتاطون لأنفسهم بإعداد المؤن والمواد الغذائية بحيث يستطيعون الصمود مدة سنة كاملة من دون نقص في تلك المؤن.

وعندما وصل المسلمون اعتصم اليهود بحصونهم وأغلقوها عليهم، لكن الفتح كان علويًا كما في غيرها من المعارك السابقة، فلترك الرواية التاريخية تتحدث عن حقائق المعركة ففي المصنف قال: «لما نزل رسول الله بحضرة خير فزع أهل خير وقالوا: جاء محمد في أهل يثرب، قال: فبعث رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب بالناس فلقي أهل خير فردوه وكشفوه هو وأصحابه، فرجعوا إلى رسول الله ﷺ يجبن أصحابه ويجبنه أصحابه، قال: فقال رسول الله ﷺ: «لأعطين اللواء غدًا رجلا

يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله»، قال: فلما كان الغد تصدر لها أبو بكر وعمر، قال: فدعا علياً وهو يومئذ أرمم فتفل في عينه وأعطاه اللواء قال: فانطلق بالناس، قال: فلقي أهل خيبر ولقي مرحباً الخيبري، وإذا هو يرتجز ويقول:

قد علمت خير أني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب
إذا الليوث أقبلت تلهب أظعن أحياناً وحيناً أضرب

قال: فالتقى هو وعليٌّ فضربه عليٌّ ضربة على هامته بالسيف، عض السيف منها بالأضراس، وسمع صوت ضربته أهل العسكر، قال: فما تنام آخر الناس حتى فتح لأولهم⁽¹⁾. وفي تفصيل أكثر ذكر صاحب مختصر السيرة النبوية عن مصادره الأمر هكذا «قال ابن عباس: بعث رسول الله ﷺ أبا بكر إلى خيبر فهزم فرجع، ثم بعث عمر فهزم فرجع يجبن أصحابه ويجبن أصحابه، فقال رسول الله ﷺ: لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه، ليس بفرار. قال بريدة: بتنا طيبة أنفسنا أن الفتح غداً. فلما أصبح الناس غدواً على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطى، فقال: أين عليٌّ؟ فقالوا: عليٌّ يا رسول الله يشتكي عينه. فأرسل إليه رسول الله ﷺ فقال

(1) ابن أبي شيبه العبسي: مصنف ابن أبي شيبه 21 / 14.

عليّ (وكان شديد الرمّد قد عصب عينيه): ما أبصرُ سهلاً ولا جبلاً فذهب إليه النبي ﷺ فقال له: افتح عينيك ففتحها وتفل فيها، ففتح عينه وكأنه لم يرمّد قطّ.

قال عليّ (عليه السلام): ما رَمَدْتُ ولا صُدِعتُ منذ مسح رسول الله ﷺ وجهي وتفل في عيني حين أعطاني الراية.

وأعطى النبي ﷺ الراية عليّاً وقال له: امش ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك. فجبرئيل معك والنصر أمامك والرعب مبثوث في صدور القوم، واعلم يا عليّ أنّهم يجدون في كتابهم أنّ الذي يدمّر عليهم اسمه (إيليا) فإذا لقيتهم فقل: أنا عليّ فإنهم يخذلون إن شاء الله تعالى.

قال سلمة: فَهَرَوَلْ عليّ (عليه السلام) بالراية وإنّا خلفه نتبع أثره حتى ركز رايته في رضم من حجارة تحت الحصن فطلع إليه يهودي في رأس الحصن وقال: من أنت؟ قال: عليّ بن أبي طالب، فقال اليهودي: غُلِبْتُمْ وما أنزل التوراة على موسى! فكان أول من خرج إليهم الحارث أخو مرحب في عاديته (شره) فانكشف المسلمون وثبت عليّ (عليه السلام) فاضطربا ورجع أصحاب الحارث إلى الحصن فدخلوه واغلقوه عليهم وخرج مَرْحَبٌ صاحب الحصن وعليه مَغْفَرٌ يمانى قد نقبه مثل البيضة على رأسه وهو يقول:

قد علمت خير أني مرحبٌ شاكي السلاح بطل مجرّبٌ

فقال علي (عليه السلام):

أنا الذي سمتني أمّي حيدرة كليث غابات شديد قسورة⁽¹⁾

أكيلكم بالسيف كيل السندرة⁽²⁾

فاختلفا ضربتين فبدره علي، فضربه فقد الحجة والمغفر
ورأسه حتى عضّ السيف بأضراسه، وسمع أهل العسكر صوت
ضربته. (3)

ومع قتل بطلهم مرحب، وهجوم علي (عليه السلام) على الحصن، وقلعه
الباب الضخم، فتح الحصن وانشال المسلمون الذين كانوا معه
إلى داخل الحصن الأول، وهكذا تابعت الحصون بالسقوط
واحدًا بعد الآخر.

وكما انتهت شوكة قريش بضربة علي لعمر بن عبد ود، تلك
التي كانت تعدل عبادة الثقلين فقد انتهت شوكة اليهود بضربة

(1) القسورة هو الأسد.

(2) كيل واسع وكبير.

(3) البدرى؛ السيد سامي: السيرة النبوية: نسخة الكترونية:

علي لمرحب التي قد فيها الحجة والمغفر ورأسه حتى عض
السيف بأضراسه.

أترى بعد ذلك لم اختار النبي علياً لمؤاخاته دون باقي
المسلمين؟ واختاره وصياً له؟ وزوجه ابنته؟ وسد الأبواب إلا
بابه؟

ز/ انتهاء المواجهة العسكرية مع قريش بفتح مكة شهر رمضان
سنة 8هـ: مع نقض قريش لمعاهدة الحديبية والتي كان فيها أن
لا يعين أحد الطرفين حلفاءها على حلفاء الطرف الآخر، وقد
أعانت قريش قبيلة بني بكر - حليفها - في الإغارة على قبيلة
خزاعة - حليفة رسول الله - فأصابوا منهم رجالاً.

فأمر رسول الله بتجهيز الجيش في سرية تامة وانطلق إلى مكة
حتى وصلها في 8 رمضان وكان عدد الجيش نحو عشرة آلاف
(10000) مقاتل، ولم يشعر القرشيون إلا وجيش المسلمين على
أبواب مكة فلم يستطيعوا المقاومة!

سقطت قريش بكل عنادها وجحودها، وتهاوى عنها كبرياؤها
الكاذب، وهذا هو رسول الله الذي آذوه وهو في بلده مكة وقتلوا
أصحابه ونكلوا بالمؤمنين به، ثم طاردوه خارج مكة وجيشوا
الجوش مرة بعد أخرى لقتله في المدينة المنورة، وتحالفوا مع

يهودها تارة ومع أشرار الأعراب ووضعوا لهم الأموال ليحاربوه.. فأظهره الله عليهم، و﴿جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾⁽¹⁾ فماذا سيصنع بهم رسول الله؟

لقد أخذ الحماسُ سعدَ بن عبادَةَ وقد رأى ذلة قريش وتذكر أيام نكايتها بالمسلمين في المدينة فدخل برايته مكة وهو يقول: اليوم يوم الملحمة! اليوم تستحل الحُرمة، فأمر النبي عليًّا أن يأخذ الراية⁽²⁾ منه ويهتف: اليوم يوم المرحمة!

واعتلى عليُّ كتف النبي ﷺ، وأخذ يرمي بالأصنام التي علقت في الكعبة، الواحد بعد الآخر! هذا والقرشيون قد اجتمعوا حول الكعبة ينتظرون قرارات النبي المصطفى!

لقد كانت أعينهم تدور من الخوف في محاجرها! لكثرة وشدة ما ارتكبوه منه.. لكنهم يعرفون من هو وما هو حقيقة، وإن كانوا يجحدون ذلك بالستهم!

ها هو يسألهم: يا معشر قريش ماذا تظنون أنني فاعلٌ بكم! فقالوا: خيرًا.. أخٌ كريم وابن أخٍ كريم! فقال: اذهبوا فأنتم الطلقاء!⁽³⁾

(1) النصر: 1.

(2) ابن هشام: سيرة ابن هشام 2 / 407.

(3) المصدر السابق 412.

انتهى الشرك الظاهري! وانكسرت قوة قريش السياسية! لكنها كفريق سياسي وتيار اجتماعي ذي علاقات خاصة سوف تبقى لتعيد المعركة مع الرسالة والرسول ووصيه بشكل آخر وأساليب خفية، وستشهد ساحة المدينة المنورة بل ساحة الدولة المسلمة بعد الرسول جولات من المعارك على كل المستويات مع خليفة الرسول ووصيه وإمام أمته علي أمير المؤمنين (عليه السلام).

ح/ معركة حنين في شوال سنة 8 هـ: مع سقوط قوة قريش بفتح مكة واستسلام القبائل العربية لرسول الله ﷺ والمسلمين، خشيت قبيلة هوازن وزعيمها مالك بن عوف من ذلك فبادر إلى جمع جيش كبير قدر بنحو خمسة وعشرين ألفاً من قبيلته وحلفائها وكانوا في الطائف، واتجهوا نحو مكة التي فتحها رسول الله قريباً لأجل مواجهة رسول الله ﷺ.

ولما علم رسول الله بحركة مالك بن عوف وهوازن، خرج من مكة في من جاء معه من المدينة (حوالي عشرة آلاف) وانضم لهم نحو ألفين من أهل مكة، واتجه عليه وآله السلام إلى وادي حنين (وهو يبعد عن مكة بحوالي 27 كيلومتراً)، ويشير الباحثون إلى دقة في تخطيط النبي ذاك، فإنه لو وصل العدو إلى مكة، فقد يتجمع القرشيون - الذي أسلم كثير منهم راعماً لا راعباً - من جديد، وينقلبون على رسول الله ﷺ.

كان عدد المسلمين نحو اثني عشر ألفاً، وكان جيش هوازن ضعف هؤلاء، ومع ذلك أعجب ذلك العددُ قسمًا من المسلمين وقالوا لن نُغلب من كثرة، وقد آذت هذه الفكرة رسول الله ذلك أنه في طول معاركه كان متيقناً أنه ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾⁽¹⁾. لقد كانت نتيجة المعركة واضحة من البداية فبالإضافة إلى تخطيط المباغته والتخفي الذي رتبته زعماء هوازن، كان الإعجاب بالقوة من العوامل التي جعلت تضحية كل فرد دون المستوى المطلوب، فلم تغن الكثرة شيئاً، وقد تحدث القرآن عن ذلك بقول الله سبحانه: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾⁽²⁾.

ولولا ثبات رسول الله ﷺ في بضعة نفر من بني هاشم، وفي طليعتهم بطل الإسلام علي بن أبي طالب، ثم نداء العباس بن عبد المطلب وكان جهوري الصوت يخبرهم عن ثبات رسول الله وحياته، حتى فاء الكثيرون ورجعوا من جديد، لينصرهم الله سبحانه، وهكذا انقلبت الهزيمة تلك بثبات رسول الله وخلص

(1) آل عمران: 126.

(2) التوبة: 25.

أصحابه إلى نصر مؤزر غنم فيه رسول الله وجيشه ما ملأ الوادي؛
من السلاح والكراع والإبل والشاء والأموال الكثيرة.

ط/ معركة مؤتة: في شهر ربيع سنة 8هـ: على رأس حوالي
ثلاثة آلاف مقاتل (3000) قادهم جعفر بن أبي طالب بن
عبدالمطلب الهاشمي ليواجهوا امتداد الروم في بلاد
المسلمين كانت معركة مؤتة، في الوقت الذي كان فيه عدد
النصارى المدعومين من الدولة الرومانية (200000) مقاتل!
دقق في الرقم جيداً إنه مائتا ألف!

لقد كان العدوان من جهة شرحبيل بن عمرو الغساني والي
الرومان على بصرى (تبعد عن دمشق 140 كيلومتراً) عندما أقدم
على قتل مندوب رسول الله ﷺ وهو الحارث بن عمير، وكان
قتل الرسل عندهم بمثابة إعلان الحرب على من ينتمي لهم
المندوب والرسول!

وتعد تلك المعركة أكبر المعارك من جهة عدد الأعداء، ومع
ذلك فقد جرد النبي حملته تلك لتعليم الآخرين أن إراقة دم مسلمٍ
ظلمًا تستحق أن يخاض من أجلها معركة، ولو كان المكان على
بعد مئات الكيلومترات!

فالتقى الجيشان في مؤتة (تبعد عن عاصمة الأردن عمان

بنحو 140 كيلومترًا كذلك) ومع التفوق العددي الكبير لأعداء رسول الله ﷺ حيث يصلون إلى أكثر من ستين ضعفًا، إلا أن المسلمين قاتلوهم طيلة النهار وصمدوا أمامهم، وبالرغم من استشهاد قادتهم الثلاثة (جعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة وزيد بن حارثة) فما وهنوا وما استكانوا وصمدوا إلى أن صار الليل واختلط الظلام، فانسحب المسلمون راجعين إلى المدينة! لقد كرس معركة مؤتة قوة المسلمين ودولة الرسول الأعظم كقوة عالمية، فضلًا عن كونها قوة إقليمية يحسب الجميع حسابًا خاصًا لها، وإنها لقادرة أن تخوض المعارك أمام جيوش كبيرة كان العرب السابقون يخافون حتى من النظر إليها.

وهذه المعركة كانت أول معركة يرفع فيها عدو المسلمين شعار المسيحية. لتتلوها معركة أخرى في نفس البيئة الجغرافية والثقافية، وهي:

ي/ معركة تبوك في رجب سنة 9هـ: استشعر الروم، وهم يعدون أنفسهم القوة العظمى في ذلك التاريخ، قوة المسلمين المتصاعدة بقيادة رسول الله ﷺ من خلال تأسيسهم الدولة في المدينة ثم تحطيمهم قوة اليهود فيها وطردهم منها ثم السيطرة على الجزيرة العربية بهزيمة قريش وسائر القبائل

العربية وذلك كله خلال أقل من تسع سنوات، وأخيراً خوضهم لمعركة حاسمة مع وكلائهم (أي الروم) في مؤتة، وها هي ترسل رسلها للعالم والدول الكبرى في حينها فأراد الروم أن يقضوا على هذه الدولة ويكسروا شوكتها، فجمعوا جيشاً من أربعين ألف (40000) مقاتل ليتجهوا نحو المدينة المنورة ويقضوا على وجود الإسلام فيها.

في المقابل فإن رسول الله ﷺ لما علم بذلك جمع المسلمين من المدينة وأطرافها ومن حالفه ما يقارب ثلاثين ألف (30000) مقاتل ليلتقي بالجيش الرومي في الطريق ولم ينتظر وصوله المدينة، وقد أعلم الناس وأشاع فيهم أنه خارج لمقابلة الروم، وهو على خلاف طريقته صلوات الله عليه وآله، حيث كان لا يخبر عن مقاصده العسكرية، ويعمّي الأخبار حتى يفاجئ أعداءه لكنه في هذه المرة أعلم الناس قبل خروجه بوقت كاف، وكان يقصد إيصال هذه الرسالة إلى الروم.

بالرغم من ﴿الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾⁽¹⁾ وأولئك ﴿أَبْتَغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَبُوا لَكَ الْأُمُورَ﴾⁽²⁾ فقد خرج في شدة الحر، ومع قلة المؤن والمدد، لكنه

(1) الأحزاب: 18.

(2) التوبة: 48.

كان يتمثل ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾⁽¹⁾ حتى إذا وصل إلى منطقة تبوك (تبعد عن المدينة أكثر من 650 كيلومتراً باتجاه الشام) توقف فيها. ويظهر أن الروم لما وصلتهم أنباء استعداد رسول الله وعزمه على مواجهتهم ووصوله إلى تبوك مع جيشه لم يكملوا مسيرهم وتراجعوا في الطريق عن المواجهة. وقد أقام رسول الله ﷺ بتبوك بضع عشرة ليلة ولم يجاوزها، ولم يقدم عليه الروم وحلفاؤهم من نصارى العرب وأحجموا عن محاربته، فعاد إلى المدينة ووصلها في شهر رمضان من نفس السنة أي أنه استغرق في خروجه إلى تبوك وعودته منها نحو شهرين من الزمان.

وكانت تبوك مسك الختام في معارك رسول الله ﷺ فما كانت هناك معركة بعدها. وقد عُدَّت نصراً للرسول عليهم حيث أحجموا عن المواجهة وتراجعوا قبل وصولهم إلى تبوك. وكرست المواجهة التي لم تحصل في تبوك، موقع رسول الله ﷺ والمسلمين كقوة أولى يخشى الأعداء جانبها ويرغب الآخرون في التحالف معها.

وهي المعركة الكبرى الوحيدة التي لم يشترك فيها أمير المؤمنين علي عليه السلام جنباً إلى جنب مع الرسول ﷺ، وحين أرجف المنافقون

(1) التوبة: 51.

بأنه ترك ابن عمه لعدم رغبته في مرافقته، كان ذلك باعثاً للرسول أن يقول كلاماً يثبت فيه منقبة وفضيلة لعلي عليه السلام ليس لها نظير، وهي قوله له: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي؟⁽¹⁾

12 / الفترة الحاسمة في حياة النبي

يرى باحثون أن الستين الأخيرتين من عمر النبي المصطفى ﷺ كانتا حاسمتين لجهات كثيرة نشير إليها في نقاط:

الأولى: إنه بالرغم من انتصار النبي ﷺ على قريش وإنهاء قوتها العسكرية والسياسية، وهكذا الحال بالنسبة لليهود الذين طردوا من المدينة المنورة على مراحل كما مر بيانه في صفحات مضت، وانتصار النبي المعنوي على المسيحيين والدولة الرومانية (وهي أكبر قوة في حينها) إلا أنه برز في هاتين الستين بشكل واضح خط النفاق - وقد تعرضنا لجانب منه في فصل سابق،⁽²⁾ واستجمع الخط القرشي المخالف قوته من جديد، وأعاد تشكيل علاقاته، وبدأ يخطط لما بعد وفاة رسول الله ﷺ، بل تقدم في هذا الاتجاه الباطل خطوات؛ كان منها السعي لاغتيال رسول الله ﷺ، وهو ما

(1) قد بينّا في كتابنا حول سيرة أمير المؤمنين عليه السلام، مصادر هذه المنقبة وأبعادها ومدياتها.

(2) الرسول: صحابته وعترته.

عرف بليلة العقبة⁽¹⁾ وهي في تقديرنا أهم حدث في تاريخ الدعوة الإسلامية، فقد كان أرباب هذا الخط يعارضون النبي ﷺ في مواضع مختلفة وعلانية في كثير من الأحيان وكان النبي يدفع ذلك بالتي هي أحسن بحسب كل حادثة وواقعة، لكن أن يبدأ هذا الخط بالتفكير في اغتيال النبي ﷺ، ثم يقوم بتنفيذ ذلك بخطة بحسب الظاهر محكمة لولا ستر الله سبحانه، فهذا يعتبر تصعيداً كبيراً للغاية في معارضة هذا الخط للنبي وخطواته. والعجيب أن هذه الحادثة لم تنل من المحدثين والمؤرخين – من مدرسة الخلفاء – ما تستحق من العناية، وكأن لسان الحال فيها يقول: يكاد المريب أن يقول خذوني!

(1) المقرئزي: إمتاع الأسماع 2/ 74: «ولما كان رسول الله ﷺ ببعض الطريق مكر به أناس من المنافقين، واثتمروا أن يطرحوه من عقبة، فلما بلغ تلك العقبة أرادوا أن يسلكوها معه فأخبر خبرهم، فقال للناس: اسلكوا بطن الوادي فإنه أسهل لكم وأوسع، فسلك الناس بطن الوادي. وسلكت العقبة، وأمر عمار بن ياسر أن يأخذ بزمام الناقة يقودها، وأمر حذيفة بن اليمان يسوق خلفه، فبينما رسول الله ﷺ يسير في العقبة، إذ سمع حسّ القوم قد غشوه فغضب وأمر حذيفة أن يردّهم، فرجع إليهم فجعل يضرب وجوه رواحلهم بمحجن في يده، فانحطوا من العقبة مسرعين حتى خالطوا الناس، وأتى حذيفة فسار به. فلما خرج من العقبة ونزل الناس قال: يا حذيفة، هل عرفت أحداً من الركب الذين رددتهم؟ قال: يا رسول الله، عرفت راحلة فلان وفلان، وكان القوم متلثمين فلم أعرفهم من أجل ظلمة الليل»، وقد الفت بعض الباحثين إلى أن مصادر مدرسة الخلفاء مع أنها أوردت الحادثة إلا أنها لم تعطيها حجمها الحقيقي وتجاوزتها بهدوء مع أنها عملية اغتيال مدبرة وكان أبطالها من «أصحاب رسول الله، ومن قريش، ونحو 15 أو 14 شخصاً» بل صرفت نحو أشخاص غير حقيقيين مثل عبد الله بن أبي وهو لم يكن في معركة تبوك وأوردوا أسماء لا شأن لهم في مثل هذه المحاولة. كما ألفت إلى أن هذه الحادثة تخرج تماماً أصحاب نظرية عدالة الصحابة.. وتخرج الخط القرشي بشكل واضح ولذلك قيل أن بعض زعماء هذه الخط كانوا يسألون حذيفة عما إذا كان اسمهم ضمن القائمة!

بل يرى البعض بأن النبي ﷺ، إنما خلف ابن عمه علياً عليه السلام في المدينة لوجود الأخطار المحيطة بها لا سيما والرسول قد خرج في جيش من ثلاثين ألف إلى تبوك وهذا يعني خلّو المدينة تقريباً من الفئة المقاتلة المطيعة لرسول الله ﷺ، فلم يبق فيها إلا «المعذرون» والمتقاعدون والذين رضوا بأن يكون مع الخوالف والساقطون في الفتنة، ومثل هؤلاء سيكونون أقرب إلى دنيا الخط القرشي منهم إلى دين الخط العلوي، كما أن حسابات هذا الخط كانت تعتمد على أن النبي ﷺ، سيهزم في حربه مع بني الأصفر الروم،⁽¹⁾ وكانوا يتمنون ذلك.

تدارك رسول الله الأمر فجعل على المدينة أقرب الناس إليه وأفضل أصحابه، مع أن مواقفه في الحروب لا تنكر وكانت الحاجة إليه بحسب الظاهر ملحّة في معركة تبوك على تقدير حصولها.

ونحن ننظر - يقول الباحثون - إلى ما قاله المنافقون وأعداء الخط العلوي من أنهم أشاعوا في المدينة لما أعلن النبي أنه

(1) الحميري؛ ابن هشام: سيرة ابن هشام 2/ 525: كان بعض من خرج منهم في الجيش يقول لبعض: «أَتَحْسِبُونَ جِلَادَ بَنِي الْأَصْفَرِ كَقِتَالِ الْعَرَبِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا! وَاللَّهِ لَكَأَنَّ بِكُمْ عَدَا مُقَرَّرِينَ فِي الْجِبَالِ».

سيخلف علياً عليها، بأنه إنما تركه فيها لعدم رغبته فيه، نظرة أبعد من الظاهر، بمعنى أنهم ستركون النبي بمقاتلتهم تلك بين أحد أمرين صعبين؛ فإما أنه للرد عليهم سيتراجع عن قراره ويستصحب علياً معه، فيتحقق ما يريدون من خلو المدينة من النبي أو من يقوم مقامه بصدق! أو لا يتراجع فتتحقق مقاتلتهم في أن النبي يكره علي بن أبي طالب ولا يطيق صحبته!

فإذا برسول الله ﷺ يضرب ضربة معلم، فيبقى علياً عليه السلام في المدينة وفي نفس الوقت يعطيه وساماً قد يتجاوز كل ما سبق من منازل ومقاماته وهو «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟»⁽¹⁾

وفي نفس هذا السياق نستطيع أن نفهم قضية مسجد الضرار⁽²⁾ أيضاً، فإن المنافقين بهذا العمل أرادوا إيجاد بيئة اجتماعية خاصة بهم ينفصلون بها عن تأثير رسول الله ﷺ ويتناقشون فيما بينهم خططهم.

(1) بالإضافة إلى ما سبق وقدمناه في باب مناقب الإمام من معاني هذا الحديث؛ نلفت النظر هنا إلى تشابه الموقعين، فموسى النبي كان يخشى على رسالته من تخريب السامري والنبي المصطفى يخشى على دعوته من تخريب الخط القرشي!

(2) مسجد بني لأبي عامر الذي كان يعرف بأبو عامر الراهب، وكان قد تنصر في الجاهلية وعظمه المشركون. عندما جاء الإسلام فرأى أبو عامر إلى الكافرين، فاتفقت طائفة من المنافقين على بناء مسجد وسمي بمسجد الضرار، لأنه بني على أساس الإضرار بالمسلمين واجتماعهم، وقد أمر رسول الله ﷺ بتخريبه بعدما جاء الأمر الإلهي باجتنابه بعدما عينه بأنه ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِزْكَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ فامر بأن ﴿لَا نَقْرَ فِيهِ أَبَدًا﴾ الآيتان 107 و108 من التوبة.

الثانية: في الطرف المقابل كان رسول الله ﷺ يعمل ما في وسعه لكيلا تتحقق آمال المنافقين والخطوط المائلة، فكان لا يترك مناسبة إلا ويظهر فيها فضل أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، وكونه اللائق بمقام رسول الله ﷺ، ففي هاتين السنتين (من 8 إلى 10) للهجرة حديث قصة المباهلة، وذلك أن النبي قد وجه لأسقف نصارى نجران ورؤيسهم الديني يدعوه إلى الإسلام، مثلما أرسل إلى سائر الممالك والقبائل غير المسلمة، وقد كان هؤلاء مطلعين على حركة رسول الله ﷺ، وانتصاراته المتتابة، وكانوا يقرأون في كتبهم البشائر به، إلا أنهم كانوا يعتبرون أنفسهم على دين سماوي، وبالتالي فلا حاجة لهم بدين آخر، ولهذا أرسلوا وفداً لرسول الله يتألف من ستين شخصاً من علمائهم ووجهائهم، ووصلوا إلى المدينة ودار بينهم وبين رسول الله ﷺ حوار، لم يستجب هؤلاء إلى أدلة رسول الله وحججه الدامغة، فكان أن وصل الأمر إلى المباهلة، التي نزل بشأنها آي القرآن ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾⁽¹⁾، فخرج النبي ﷺ، وترك كل المسلمين صغارهم وكبارهم وشريفهم ودينهم! واختار أهل بيته للمباهلة، فكان علي (عليه السلام) هو المعني بقول الله ﴿وَأَنْفُسَنَا﴾

(1) آل عمران: 61.

وكانت فاطمة هي المعنية بقوله ﴿وَنِسَاءَنَا﴾ وكان الحسنان هما المعنيان بقوله تعالى: ﴿أَبْنَاءَنَا﴾.

وقد تحدث العلماء كثيراً في موضوع المباهلة، ورأى بعضهم أن هذه الآية هي أعظم منقبة في حق علي بن أبي طالب حيث أنها جعلته في مقام (نفس النبي).

وكذلك كان الأمر في تبليغه سورة براءة للقرشيين فإنه في السنة التاسعة، وبعد أن خضعت الجزيرة العربية لسيطرة رسول الله ﷺ، جاء الأمر الإلهي للنبي بأن يغير ما سنّه المشركون في بيت الله الحرام من سنن باطلة، وأنه بعد هذا لن يدخل المسجد مشرك ولا يطوف بالبيت عريان، وأن من كان له عهد عند رسول الله ﷺ فإلى مدته، ومن كان بلا عهد فلا ينبغي أن يكون في مكة إن كان مشركاً.

ولتبليغ هذا الأمر - وهو الثقيل - على القرشيين، والمنذر بمواجهة، فقد أمر الرسول أبا بكر بن أبي قحافة ليقوم بهذه المهمة، فذهب إليهم، وإذا بالأمين جبرئيل ينزل على النبي ﷺ، ويخبره بأنه لا يؤدي عن الله عز وجل إلا النبي نفسه أو من يكون كنفسه وهو علي بن أبي طالب.⁽¹⁾

(1) انظر الأحاديث الواردة في تبليغ سورة براءة ويمكن البحث عنها بعبارة «لا يؤدي عنك إلا رجل منك».

وثالثة الحوادث ما كان من أمر اليمن، التي استعصى أهلها على من ذهب إليها، وكان آخرهم خالد بن الوليد الذي ما فتئ يخوض بمن معه المعارك، حتى مَلَّ ومُلَّ. من غير نتيجة واضحة.

فإذا برسول الله يبعث ابن عمه عليًّا إلى اليمن، فما أسرع ما استجابت قلوبهم، وتسارعت حركتهم للإيمان برسول الله ﷺ، حتى لقد اشتهر عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله فيهم؛

فلو كنت بوابًا على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام
وحين أخذ بعضهم الحسد من علي (عليه السلام) وانجازاته وجاء
لرسول الله شاكيًا عليًّا، لم يقبل منه النبي ذلك وتوج علي بن أبي
طالب بهالة جديدة من المناقب والفضائل.

الثالثة: لكي يُعلم المسلمين جميعًا بمنزلة علي بن أبي طالب
وكونه خليفة عنه على أمته، فقد أعلن في مجتمع المدينة أنه
سيحج هذا العام فليأت معه من أحب لكي يأخذ مناسكه عن
النبي ويحج بحجه وقد كرر هذا النداء مرارًا وبعث في ضواحي
المدينة ونواحيها من يخبر المسلمين عن هذا الأمر. فاجتمع
عشرات الآلاف ليحجوا بحجه وانطلق في السادس والعشرين من
ذي القعدة للسنة العاشرة فيما سمي بحجة الوداع.

وقد خطب النبي في تلك الحجة مرارًا وأكد فيها على أنه

راحل عنهم وأنه تارك فيهم ما إن تمسكوا به لن يضلوا: كتاب الله وعترته أهل بيته، لكنه في طريق العودة وبعدما فرغ من حجه صلوات الله عليه وآله، جاءه الأمين جبرئيل ليخبره عن الله عز وجل: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ فكانت قصة الغدير⁽¹⁾ التي نصب فيها النبي علياً عليه السلام، مولى للمؤمنين بل هو أولى بهم من أنفسهم بعد رسول الله ﷺ.

فلم يبقَ بعد هذه التصريحات والمواقف وإيكال المهمات الاستثنائية، في شأن خلافته وقيادة الأمة شيء إلا ما سيأتي من محاولته كتابة الكتاب الذي لن يضلوا من بعده وهو الوصية الأخيرة بأن يتبعوا علياً فهو خليفته،⁽²⁾ وهو الأمر الذي كان يؤكد النبي من بداية دعوته بدءاً من يوم الدار والإنذار فيه، وإلى يوم الغدير،

(1) المائدة: 67 حيث أوقف رسول الله ﷺ قوافل الحجيج بعد أن أتموا حجهم في مفترق الطرق عند غدير خم، وخطب في الناس خطبته المشهورة حيث قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» وأمر المسلمين جميعاً بالسلام عليه بإمرة المؤمنين فبايعوه وكان ممن بايعه الخلفاء الثلاثة وكبار أصحاب النبي. وفيها أنشأ حسان بن ثابت قصيدته المشهورة.. وقد ذكرنا تفصيل ذلك في كتابنا من هذه السلسلة: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

(2) يشير إليه محاوره الخليفة عمر وابن عباس كما عن ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة / 12 21 حيث جاء فيه قول عمر لابن عباس: يا عبد الله عليك دماء البُدن إن كنتمتيها! هل بقي في نفسه شيء من أمر الخلافة؟ قلت: نعم، قال: أيزعم أن رسول الله ﷺ نص علياً؟ قلت: نعم، وأزيدك سألت أبي عما يدعيه، فقال: صدق، فقال عمر: لقد كان من رسول الله ﷺ في أمره ذرؤ (كلام مجمل) من قول لا يثبت حجة، ولا يقطع عذراً ولقد كان يربع في أمره وقتاً ما ولقد أراد في مرضه أن يصرح باسمه فمنعت من ذلك!

والذي تصدى الخط القرشي فيه ⁽¹⁾ لمنعه من ذلك تصديقاً قوياً، والغريب أنهم فيما بعد افتروا على علي بن أبي طالب أنه لم يحب أن يسأل رسول الله لأنه إن منعهم إيّاها حرّموها إلى آخر العمر، ⁽²⁾ وكان النبي لم يخبر خلال هذه المدة! وكان علياً لم يفهم كلمات النبي المختلفة في المواضع المتعددة خلال حياته الشريفة!

13 / ارتحال النبي لخالفه : (مات أو قتل)؟

يتنازع هذا الموضوع اتجاهان؛

1 / اتجاه الميتة الطبيعية يرى أن النبي ﷺ قد مات ميتة طبيعية،

(1) الصورة المخففة ما جاء في البخاري عن ابن عباس، قال: لَمَّا حُضِرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَفِي الْبَيْتِ رَجُلٌ فِيهِمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: هَلُمَّ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضِلُّوا بَعْدَهُ، فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِ الْوَجَعُ وَعِنْدَكُمْ الْقُرْآنُ حُسْبُنَا كِتَابَ اللَّهِ، فَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْبَيْتِ فَاخْتَصَمُوا، مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ قَرَّبُوا يَكْتُبْ لَكُمْ النَّبِيُّ ﷺ كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ مَا قَالَ عُمَرُ فَلَمَّا أَكْثَرُوا اللَّغْوَ وَالْإِخْتِلَافَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: قُومُوا، قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ: فَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ إِنَّ الرِّزْيَةَ كُلَّ الرِّزْيَةِ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبَيْنَ أَنْ يَكْتُبَ لَهُمْ ذَلِكَ الْكِتَابَ مِنْ اخْتِلَافِهِمْ وَلَغَطِهِمْ.

(2) صحيح البخاري 6 / 12: عبد الله بن كعب بن مالك الأنصاري، وكان كعب بن مالك أحد الثلاثة الذين تيب عليهم: أن عبد الله بن عباس أخبره: «أن علي بن أبي طالب عليه السلام خرج من عند رسول الله ﷺ في وجعه الذي توفي فيه، فقال الناس: يا أبا حسن، كيف أصبح رسول الله ﷺ؟ فقال: أصبح بحمد الله بارئاً، فأخذ بيده عباس بن عبد المطلب فقال له: أنت والله بعد ثلاث عبد العصا، وإنني والله لأرى رسول الله ﷺ سوف يتوفى من وجعه هذا، إنني لأعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت، اذهب بنا إلى رسول الله ﷺ فلنسأله فيمن هذا الأمر، إن كان فينا علمنا ذلك، وإن كان في غيرنا علمناه، فأوصى بنا، فقال علي: إنا والله لئن سألناها رسول الله ﷺ فمنعناها لا يعطيناها الناس بعده، وإنني والله لا أسأله رسول الله ﷺ».

من غير تدخل خارجي وأنه كان مريضاً، مرضاً انتهى به إلى الوفاة. ولعل هذا الاتجاه يتبناه المشهور في مؤرخي ومحدثي مدرسة الخلفاء، ويمكن لهم أن يقدموا الأمور التالية في تأييد ما ذهبوا إليه:

الأول: أن عمر النبي ﷺ حين توفي كان (63) وهو عمر طبيعي - في تلك الأزمنة، فقد نقل عن النبي ﷺ أن «أعمار أمتي ما بين الستين والسبعين، وأقلهم من يجوز ذلك». ⁽¹⁾ فقد توفي مثلاً أبو بكر وعمر بن الخطاب وعمرهما 63 سنة. فإذا كان كذلك فالأمر طبيعي.

الثاني: أنه لا يمكن أن يقتل النبيّ أحد من المسلمين ممن يؤمن به كرسول من الله عز وجل، خاصة وهو الرؤوف الرحيم بالمؤمنين كما وصفه الله تعالى، ويستبعد ما قيل من أن يهودية سمته في كتف شاة، وأنه تأثر بذلك السم بعد عدة سنوات! حيث أن محاولة التسميم كانت في خبير سنة 7 هـ ووفاته كانت في سنة 11 هـ! على أن بعض الروايات تشير إلى أنه لم يأكل من تلك الشاة المسمومة لأنها أخبرته - إعجازياً - أنها مسمومة!

(1) رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي. ورواه الترمذي وابن ماجه.

إلا أن المشكلة أنهم يروون أن موت النبي كان بسبب تلك الأكلة، وأنه قال: «ما زلتُ أجد من الأكلة التي أكلت من الشاة يوم خيبر، فهذا أوان انقطاع الأبر مني» فماذا يصنعون في هذا؟ لقد ابتكر الزرقاني في شرح المواهب اللدنية حلاً فقال⁽¹⁾: بالمعجزة لم يؤثر السم فيه في نفس الوقت، وإنما بعد ثلاث سنوات ليكرمه الله بالشهادة!!:

الثالث: أنهم يفسرون الآية المباركة ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾⁽²⁾ بأنها لا تثبت قضية القتل، وإنما تعدد أنحاء الموت التي تحصل على الأنبياء كغيرهم، وأنهم سواء ماتوا أو قتلوا فإن ذلك لا يبرر انقلاب أتباعهم على الرسالة، فإن حاله سيكون مثل موت الرسل السابقين، بالقتل أو الموت.

الرابع: إن الجزم بكونه ﷺ قد قُتل، وأن ذلك قد تمَّ بهذه الطريقة المعينة، وأن من قام به هو فلان أو فلانة، يحتاج إلى

(1) الزرقاني؛ محمد بن عبد الباقي: شرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية 260 / 8.

(2) ال عمران: 144

روايات متواترة تفيد القطع، ولا يكتفى فيها بشمول عمومات، أو وجود رواية واحدة حتى لو كانت صحيحة السند ما لم تكن متواترة وواضحة الدلالة.. وإذ لا يوجد ذلك فلا.

2/ اتجاه أنه مات مقتولاً: ونال الشهادة حيث أكرمه الله بها وهذا المعنى يظهر من قسم من اتباع مدرسة الخلفاء وقد ذكره عن ابن مسعود والزهري، لكن مع تقييده بأنه بسبب سم اليهودية، والتوجيهات الآتية لا تتصل بهذه الفئة.

كما أنه هو الغالب في رأي الإمامية⁽¹⁾ لا سيما في الفترة الأخيرة، ويتم توجيه هذه الفكرة بما يلي:

أولاً: أن القرآن الكريم قد صرح بذلك في الآية المباركة (أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ) بتفسير (أو) بمعنى (بل) للترقي، وهو أحد معانيها كما ذكر اللغويون ذلك وفسروا الآية المباركة ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾⁽²⁾ بأن معناها بل يزيدون،⁽³⁾ حذراً من التريد المؤدي إلى الجهل بعددهم تعالى الله عنه.

(1) وقد أشار إليه الشيخ الصدوق وعده من عقائد الشيعة حيث قال: «اعتقادنا في النبي ﷺ أنه سُم في غزاة خيبر، فما زالت هذه الأكلة، تعاوده حتى قطعت ابهره فمات منها... وقد أخبر النبي والأئمة أنهم مقتولون ومن قال: إنهم لم يقتلوا فقد كذبهم...» اعتقادات الصدوق: 109-110.

(2) الصفات: 147

(3) تفسير الطبري ذكر عن ابن عباس أنه كان يقول: معنى قوله (أو): بل يزيدون.

وثانيًا: بأن الشهادة مرتبة عالية من المراتب ولا يعقل أن يخلو منها سيد الأنبياء وأفضل الخلق، ولأن تكون عنده أخرى من أن لا تكون. وثالثًا: بما ورد من الروايات من طريق الإمامية وهي تفيد بأنه «ما منا إلا مقتول أو مسموم». وهي تشمل بعمومها رسول الله ﷺ، كما شملت عترته المعصومة.

ورابعًا: بأن رسول الله ﷺ كان مستهدفًا بالاغتيال طيلة حياته، بدءًا من ليلة المبيت على يد مشركي مكة، وما أعقبها من مطاردتهم إياه حتى وصلوا إلى الغار الذي كان النبي بداخله وأرعى الله عليه ستر حمايته له، ثم محاولة يهود بني النضير اغتياله بإلقاء صخرة عليه، وذلك حين ذهب يستعين بهم في دية قتيلين، وقد ذكرنا ذلك عند الحديث عن إجلاء النبي لهم بعد تلك الحادثة. ومحاولة اليهودية زينب بنت الحارث تسميم النبي بعد فتح خيبر في لحم شاة (وهي التي يتم الحديث عن تأثيرها على النبي في مصادر مدرسة الخلفاء). ومحاولة المنافقين والخطوط المنحرفة في المسلمين باغتياله في العقبة بعد العودة من غزوة تبوك.. وهكذا.

لكن يبقى سؤال من الفاعل في هذه العملية؟

فإن قبلنا رواية مدرسة الخلفاء وهكذا ما ذكرناه عن الشيخ الصدوق أنفًا، فهي تسجل الاغتيال على امرأة يهودية وتغلق

الملف، وإن كانت تبقى تثير سؤالاً حقيقياً عن إمكانية أن يؤثر السم - إلى درجة الموت - بعد ثلاث سنوات، وخصوصاً مع القول بأن كتف الشاة المسموم أخبر النبي بصورة اعجازية بأنه مسموم فلفظه بعدما أكل، أو أنه لم يأكل!

وإن رفضنا تلك الطريقة لمشكلاتها.. ومع ملاحظة المقدمات السابقة، فقد يرى بعض الباحثين بأن التسميم تمّ من داخل البيت النبوي! (1)

ولكن يبقى السؤال هل يمكن أن يحصل هذا؟ وهل هناك قرائن مقنعة لحصوله؟ أو أن هناك أسباباً داخلية تدعو إلى فعل هذا الأمر؟

وتبقى مسألة أخرى أيضاً: وهي ارتباط هذا بعصمة الله إياه من الناس، ووعد الله إياه ﴿وَاللَّهُ يَعِصُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ (2) فهل تشمل عصمة الله جل شأنه له ﷺ هذا المورد أيضاً؟ أو أنه مستثنى؟ أو أن العصمة خاصة بما كان مرتبطاً بالتبليغ؟

(1) قال السيد جعفر علم الهدى لذلك يحتمل قوياً - كما يظهر من بعض رواياتنا - أنه توفي بسبب السم الذي دسّته إليه بعض أزواجه / <https://research.rafed.net> وهكذا جعله السيد جعفر مرتضى العاملي في كتابه الصحيح من سيرة النبي الأعظم 33 / 176 محتملاً لوجود روايات تشير إليه. وتبناه الشيخ نجاح الطائي في كتابه السيرة النبوية 2 / 312.

(2) المائدة: 67.

مصادر المسلمين عندما تشوه صورة النبي

من يقرأ آيات القرآن الكريم وهو دستور الله الكامل لحياة البشر، وفيه مناهج الحياة الطيبة من عقائد وأحكام وأخلاق، يجد في آياته إعلاءً لمقام هذا النبي الكريم وإعلامًا للمسلمين بعلو منزلته، فترى في آياته كما سيأتي تفصيله في بحث لاحق، حتى على مستوى اللفظ فضلًا عن المعنى، فهو إذا خاطب سائر الأنبياء والرسل مع جلالتهم يخاطبهم بأسمائهم فيقول: ﴿يَنُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾⁽¹⁾ و﴿وَنَدَيْنَاهُ أَنْ يَتَّزِجْهُمْ﴾⁽²⁾ و﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَمْوَسَّى﴾⁽³⁾، ﴿يَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَ إِلَهَيْنِ﴾⁽⁴⁾ لكنه عندما يخاطب نبيه المصطفى ﷺ يناديه بـ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ

(1) هود: 46.

(2) الصافات: 104 - 105.

(3) طه: 17.

(4) المائدة: 116.

شَهِدَا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا⁽¹⁾ في موضع آخر يقول: ﴿يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ⁽²⁾﴾ ولا يخاطبه باسمه المجرد بأن يقول مثلاً (يا محمد)⁽³⁾ وربط محبة الله والدليل عليها باتباع رسول الله ﷺ فقال: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ⁽⁴⁾﴾، وطاعته بطاعته ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ⁽⁵⁾﴾ واسمه تعالى باسمه ﷺ فكانت الشهادتان؛ لله بالوحدانية ولمحمد بالنبوة والرسالة بوابة الدخول للإسلام، وعلامة الدعوة للصلاة وإقامتها. ووصفه ربه وهو العظيم الذي يتواضع له كل شيء ويخضع له كل عظيم، وصفه بأنه ﴿لَعَلَّ خُلُقٍ عَظِيمٍ⁽⁶⁾﴾ ونص القرآن على عصمته من خلال ربط طاعة الله بطاعته، وجعلها طاعة مطلقة ليس فيها استثناء، فهو مطاع في كل شيء يأمر به! وجعل من علامات المؤمنين أنهم لا يترددون في التضحية بأنفسهم عن نفس رسول الله وهو عليٌّ ﷺ فضلاً عن أن يرغبوا بأنفسهم عن النبي!

(1) الأحزاب: 45.

(2) المائدة: 67.

(3) وبالنسبة لأول سورة طه ويس، فإن الأمر فيها عندهم مختلف، بين كونها أسماء للنبي أو ليست كذلك!

(4) آل عمران: 31.

(5) النساء: 80.

(6) القلم: 4، وقد يقال في تفسيرها أنها تختلف عن إنك لذنو خلق عظيم، وإنما هو ﷺ فوق الخلق العظيم ومستعلياً عليه.

ويأتي بقية حديث في الفصل الخاص عن مقاماته ومناقبه صلوات الله عليه وآله.

فمن العجيب والغريب بعد هذا أن نجد أن ما جعل عند مدرسة الخلفاء في مرتبة نازلة عن القرآن وأصح كتاب بعد كتاب الله، وهو الذي يغذي بما فيه عقيدة القسم الأكبر من أبناء الأمة المسلمة، يحتوي على أمور لا تليق بحال خاصة المؤمنين فضلاً عن الرسول الكريم، ونحن هنا إنما نشير إليها لندعو كافة المسلمين إلى رفض هذا التقصير في حق رسول الله، وإلى لزوم التفكير الناقد لما يقرأونه.

ونقول بوضوح تام: إن أي رواية – سواء كانت في مصادر السُّنة أو الشيعة – إن كانت تؤدي إلى الإخلال بمنزلة رسول الله الثابتة له، أو تنسب له شيئاً غير لائق بمقامه، فلا بدّ من رفضها وإن كان رواتها جميعاً عدولاً ثقات! فالقرآن هو أصدق القائلين وقد أثبت للنبي تلك المنازل التي ذكرنا قسماً منها آنفاً.

وقد تتبع العلامة النجمي في كتابه أضواء على الصحيحين⁽¹⁾ تلك الموارد المختصة برسول الله ﷺ والتي وردت في صحيحي

(1) النجمي؛ الشيخ محمد صادق أضواء على الصحيحين، ص 233.

البخاري ومسلم وغيرهما والتي لا تتناسب مع مقام الرسول، ونورد قسمًا مما ذكره:

أولاً: هل كان الرسول الأعظم يأكل من الذبائح التي تذبح على النُّصْب والأوثان؟ قواعد التعظيم والتنزيه للنبي وكونه تحت رعاية الله سبحانه مذ كان فطيماً⁽¹⁾ تقول كلا، لكن ما جاء في صحيح البخاري يخالف هذا ويرى أن النبي كان يأكل منها بينما كان زيد بن عمرو بن نفيل يتعفف عن ذلك ولا يأكل إلا ما ذكر اسم الله عليه!⁽²⁾ وأعجب منه ما جاء في مسند أحمد حين أكمل الرواية بالقول: فما رُئي النبي ﷺ من يومه ذاك يأكل مما ذبح على النُّصْب حتى بعث!

وهل كان يهدى له الخمر؟ يعتقد الإمامية أن هذا الكلام كذبٌ من أي قلم صدر وفي أي كتاب وُجد! فإن الخمر كان لا يقربها حتى غير المؤمنين بوجود إله، لما فيها من الآثار السيئة! فكيف كان يهدى له – والعياذ بالله – الخمر؟ ولكن مسند أحمد يروي

(1) قال الامام علي: «قرن الله به ﷺ من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره».

(2) صحيح البخاري 7/ 91 عن رسول الله ﷺ: «أنه لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بلدح، وذاك قبل أن ينزل على رسول الله ﷺ الوحي، فقدم إليه رسول الله ﷺ سفرة فيها لحم فأبى أن يأكل منها، ثم قال: إني لا أكل مما تذبحون على أنصابكم، ولا أكل إلا مما ذكر اسم الله عليه!»!

رواية يظهر منها أن النبي كان - نعوذ بالله - يؤتى بالخمير من بعض باعته فعن نافع بن كيسان أنه قال: «إن أباه كيسان أخبره أنه كان يتجر في الخمير في زمن النبي ﷺ، وإنه أقبل من الشام ومعه خمير في الزقاق يريد بها التجارة، فأتى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله جئت بك بشراب جيد، فقال رسول الله ﷺ: يا كيسان إنها حرمت بعدك!». (1)

ونقول: إن شخصاً كان طيلة حياته قبل البعثة يأكل ما ذُبِح على النصب والأوثان، ويؤتى بشراب الخمير الجيد قبل تحريمه.. هذا لا نعرفه في زمرة الأنبياء. إنما نعرف نبياً اصطنعه الله على عينه لنفسه منذ كان في عالم الأنوار وقبل خلقه الخلق، وهو سيد البشر محمد ﷺ.

ثانياً: من الثابت عندنا في العقائد أن النبي ﷺ، لا يسهو.. إلا أن صحيح البخاري ينقل عن أبي هريرة حادثة لم يكن في وقتها قد أسلم أو جاء إلى المدينة، تفيد بأن النبي قد سها في الصلاة وسلم على ركعتين وتحدث مع الناس واستدبر القبلة! فلما نبهه أحدهم إلى ما فعل.. أكمل صلاته وكأن شيئاً لم يكن! (2)

(1) مسند أحمد 31 / 291.

(2) صحيح البخاري 1 / 103 عن أبي هريرة قال: «صلى بنا رسول الله ﷺ إحدى صلاتي العشي =

ثالثاً: وهل كان رسول الله ينسى سور القرآن؟ إن الله سبحانه يخبر عنه أنه لا ينسى ﴿سُنُّرُكَ فَلَا تَنْسَى﴾⁽¹⁾ إلا أن ما هو في صحيح البخاري خلاف ذلك! فعن عائشة أنها قالت: «سمع النبي ﷺ قارئاً يقرأ من الليل في المسجد، فقال: يرحمه الله، لقد أذكرني كذا وكذا آية، أسقطتها من سورة كذا وكذا». ⁽²⁾ وسيكون ذلك القارئ - بهذا الحديث - أحفظ للقرآن وأذكر من رسول الله الذي نسي آيات أسقطها من عدة سور! فأين إخبار الله أنه سيقرئه فلا ينسى بعد ذلك؟

وما الذي يطمئنا إلى أن النبي - والعياذ بالله - قد نسي آيات أو سوراً ولم يجد أحداً يذكره بها؟ ونسيان رسول الله ﷺ للآيات، وإن كانت بلية وطامة إلا أن الأطم منها ما زعم من أنه سُحِرَ حتى أصبح لا يعقل ما يصنع..

= قال ابن سيرين: سماها أبو هريرة، ولكن نسيت أنا قال: فصلى بنا ركعتين ثم سلم، فقام إلى خشبة معروضة في المسجد، فاتكأ عليها كأنه غضبان، ووضع يده اليمنى على اليسرى، وشبك بين أصابعه، ووضع خده الأيمن على ظهر كفه اليسرى، وخرجت السرعان من أبواب المسجد، فقالوا: قصرت الصلاة؟ وفي القوم أبو بكر وعمر، فهابا أن يكلماه، وفي القوم رجل في يديه طول، يقال له ذو اليمين، قال: يا رسول الله، أنسيت أم قصرت الصلاة؟ قال: لم أنس، ولم تقصر. فقال: أكما يقول ذو اليمين؟ فقالوا: نعم، فتقدم فصلى ما ترك.. هذا مع اتفاقهم على أن ذا اليمين (الشمالين) قد قتل في معركة أحد سنة 3هـ، فمتى شهد أبو هريرة الذي جاء في سنة 7هـ؟ وكيف يقول: صلى بنا؟

(1) الأعلى: 6.

(2) صحيح البخاري 6 / 194.

قالوا كما في البخاري⁽¹⁾: «سحر رسول الله ﷺ رجلٌ من بني زريق يقال له لبيد بن الأعصم، حتى كان رسول الله ﷺ يخیل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله». ونسأل: كم استغرق هذا السحر المزعوم؟ أياماً أو أسابيع أو شهوراً؟ وماذا كان تكليف الناس في هذه الفترة؟ وإن قصرت.. هل يطيعون رجلاً مسحوراً لا يعقل ماذا يصنع؟ هل كان يخیل إليه أنه قد صلى ولم يصل؟ أو يخیل له أنه قد توضأ وهو لا يزال على غير وضوء؟ كيف كانت عباداته؟ وكيف هي أوامره ونواهيه؟ نعوذ بالله من هذا الافتراء على نبيه!

رابعاً: صحيحٌ أن النبي بشرٌ ولكن الله أدبه فأحسن تأديبه فلا تجد مكرمة أخلاقية إلا وله النصيب الأعلى فيها والدرجة النهائية! ولذلك لا يمكن أن يؤذي أحداً بسببٍ أو تعدد لفظي فضلاً عن الاعتداء البدني بالجلد ونحوه! لكن أبا هريرة في صحيح مسلم⁽²⁾ له رأي آخر، حين يقول إن النبي لما كان بشراً فإنه يغضب كما يغضب البشر ويتصرف كما يتصرفون، من السب والجلد والإيذاء.. زعم أن النبي دعا ربه أن يجعل ذلك للمسبوب

(1) صحيح البخاري 7/ 136.

(2) صحيح مسلم 4/ 2008 ومثله في البخاري: «سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ «اللَّهُمَّ! إِنَّمَا مُحَمَّدٌ بَشَرٌ. يَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ الْبَشَرُ. وَإِنِّي قَدْ اتَّخَذْتُ عِنْدَكَ عَهْداً لَنْ تَخْلِفْنِيهِ. فَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ آذَيْتَهُ، أَوْ سَبَبْتَهُ، أَوْ جَلَدْتَهُ. فَاجْعَلْهُ لَكَ كَفَّارَةً، وَقُرْبَةً تَقْرِبُهُ بِهَا إِلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

والمجلود كفارة وقربة! أنبيُّ هكذا يتصرف هو الموصوف بقول
الله ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾⁽¹⁾ ؟

خامساً: وبينما يشدد الدين على اجتناب النجاسة ومنها البول ويرى أن أكثر عذاب أهل النار هو من عدم توقيهم من ذلك، وكذلك يؤكد على الابتعاد في قضاء الحاجة عن أعين الناس، ترى الرواية في هذه المصادر أن النبي يبول واقفاً فقد روى أنه «أتى النبي ﷺ سباطة قوم خلف حائط فبال قائماً». هكذا بينما ينقلون عن أبي موسى الأشعري أنه يشدد في البول!! ومع أنهم ينقلون في مواضع آخر عن أنه من حدثكم أن رسول الله بال قائماً فكذبوه! وأنه نهى عن البول قائماً.

سادساً: ونعتقد أن ما جاء في صحيح مسلم عن عائشة من أنه «جاء حبش يزفنون»⁽²⁾ في يوم عيد في المسجد. فدعاني النبي ﷺ. فوضعت رأسي على منكبه، فجعلت أنظر إلى لعبهم حتى كنت أنا التي أنصرف عن النظر إليهم»⁽³⁾ لا يمكن أن يكون صحيحاً وإن جاء في الصحيح عندهم، لأنه لا يتوافق مع

(1) القلم: 4.

(2) قوم من الحبشة، وزفنون يعني يرقصون.

(3) صحيح مسلم 2/ 609.

قداسة النبي ﷺ، بل لا يتوافق مع مكانة عامة المؤمنين، ولا يمكن تصحيحه بوجه لأنه لا يتوافق مع ما وقف له المسجد - خصوصًا - النبوي! فقد وقف للعبادة لا لرقص الحبشة!

وسابعًا: ما ذكروه عن حياته الزوجية والتي تصور النبي ﷺ في صورة شخص شهواني - نعوذ بالله - مشغوف باللذة البدنية ومشغول بها، وتروى هذه الأحاديث الباطلة عن بعض خدمه أو زوجاته، فيسيل لها لعاب بعض المستشرقين ممن يبحثون في الأرض والسماء عن مثلية ومنقصة في رسول الله، فلا يجدون ليجدوا بين أيديهم هذا الكنز! فقد رووا أنه «كان يطوف على نسائه في الليلة الواحدة، وله يومئذ تسع نسوة»⁽¹⁾ «بغسل واحد»، وحين رأى بعضهم أن هذا العدد قليل بالنسبة ليلة كاملة، روى ما هو أكثر: «كان النبي ﷺ يدور على نسائه في الساعة الواحدة، من الليل والنهار، وهن إحدى عشرة. قال: قلت لأنس: أو كان يطيقه؟ قال: كنا نتحدث أنه أعطي قوة ثلاثين»⁽²⁾ ولا أحد يعلم كيف علموا ذلك؟

(1) صحيح البخاري 1/ 65.. وجاء المتأخرون منهم ليقعوا في إيراد ومصرف، في كيف يتفق هذا مع كون كل زوجة لها ليلة خاصة، ولا تشاركها فيها غيرها؟ فهل كان يخرج منها ويذهب إلى غيرها؟ ثم كيف يتسق هذا مع كونه يقوم الليل كله إلا قليلا كما في القرآن؟ مع ملاحظة أنهم كن تسع نساء!

(2) صحيح البخاري 1/ 62.

وغيرها من الموارد في غيرها من الكتب والمصادر!

استخلاص: يرى بعض الباحثين أن هذه الأحاديث وأمثالها لم تكن عفوية وإنما يراد لها أن تكون أرضية لما بعدها! فإذا كان النبي بشر يغضب ويسب فلماذا تسجل أحاديثه باعتبارها وحيًا وهو الذي قالته قريش صراحة لعبد الله بن عمرو بن العاص ناهية إيّاه عن تسجيل كل ما يصدر عن النبي! بل ما المانع من أن تتم مراقبة كلماته وتمنع بحسب المصلحة العامة؟ فإذا كان يهجر (!) فلا ينبغي أن يصغى لمطالبه! بل لا بدّ من الاختصار فيما بعد على آيات الكتاب وحسبنا كتاب الله، فلا بدّ من منع تدوين السنة النبوية وكتابتها ونشرها.. وهو ما حصل بالفعل.

وإذا كان بشرًا يرضى ويغضب ويحب ويكره فلماذا تعتبر كلماته أوامر حين يقول في ابن عمه عليّ «من كنت مولاه فعليّ مولاه»؟ أو يقول في عترته «كتاب الله وعترتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدي» إنما هي ساعة الرضا منه (والأريحية) ولا تعني شيئًا في العقيدة!

وكذلك عندما يغضب من جماعة ويلعنها ويسميها بالشجرة الملعونة في القرآن، ويأمر بالبراءة منها فلا ينبغي أن يؤخذ ذلك على محمل الجد وإنما هي ساعة الغضب والانفعال الذي لا يسيطر فيه الإنسان على أقواله!

وإذا كان يمكن أن يكون النبي مسحوراً فإنه يحتاج إلى من يصلح ما يتخذه من قرارات، وما يرتئيه من اجتهادات ولا يسلم بها بالكامل! فإذا أمر أن يذهب بعض الأصحاب تحت راية أسامة بن زيد ليكونوا خارج المدينة حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً، فلا ينبغي أن يتعامل مع هذا الأمر على أنه شيءٌ نهائيٌّ بل يمكن أن يُعدّل ويغير، ويتمّ تجاوزه أيضاً! لم لا؟

مقامات رسول الله في القرآن الكريم

حيث أن المعرفة تزيد في الإيمان ومن الثواب؛ يلزم أن نتعرف بصورة أوسع على مقامات رسول الله ﷺ ومنازله. أما كونها تزيد في الإيمان فهو واضح، فإن كثيراً من الانحراف عن العقائد الصحيحة راجع إلى الجهل بها أو المعرفة الناقصة. وقد دلت الروايات على أن زيادة المعرفة بالله، والنبى، بل وحتى الفرائض توجب زيادة في الأجر الأخروي.

ومن أفضل المصادر للتعرف على مقامات النبي الكريم ما جاء في القرآن من آيات، لجهة كونها وحياً قطعياً لا يتسرب إليه الشك، ولا يعتريه ما يعتري الروايات من احتمال الزيادة والنقصان وأمثال ذلك.

وينبغي أن نشير إلى أننا نتعرض لهذه المقامات ونستوحي دلائلها من آيات القرآن الكريم مع اعترافنا بعجزنا عن تتبع كل ما جاء في القرآن مما يشير إلى منازلها، فهذه لا يطيقها إلا المعصوم،

بل وفي كل مورد من الموارد بحيث نحيط بأبعاده، ولكن حيث أنه لا يترك الميسور بالمعسور نذكر ما تيسر في نقاط:

1 / التوقير في مقام الاسم والنداء:

نلاحظ في القرآن الكريم أن الله سبحانه قد وقر نبيه الكريم بصورة لا مثيل لها في سائر الأنبياء والمرسلين - على جلالتهم - وبالرغم من أن ذكر اسم بعض الأنبياء كموسى في آيات القرآن هو أكثر من ذكر اسم رسول الله المصطفى إلا أن الفرق كبير في طريقة النداء والخطاب، ففيما نادى الله أنبياءه ورسله باسمهم المجرد، نادى رسول الله باللقب، وشتان بين الأمرين (مع أن الجميع عباده وهو خالقهم). فإن الله يناديهم بأسمائهم فهو سبحانه يخاطب آدم بقوله: ﴿يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾⁽¹⁾ ونوحًا بقوله سبحانه: ﴿يٰ نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾⁽²⁾ وإبراهيم بقوله سبحانه: ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرٌ رَبِّكَ﴾⁽³⁾ وموسى بقوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ يَمِينُكَ يٰمُوسَى﴾⁽⁴⁾ وعيسى بقوله: ﴿يَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي آلِهَتَيْنِ﴾⁽⁵⁾.. وهكذا سائر الأنبياء

(1) البقرة: 35.

(2) هود: 46.

(3) هود: 76.

(4) طه: 17.

(5) المائدة: 116.

والرسل. بينما عندما يخاطب الله تعالى نبينا محمداً ﷺ، يناديه هكذا ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (*) وداعياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿⁽¹⁾، وفي موضع آخر ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ ⁽²⁾ ويقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ﴾ ⁽³⁾ ويقول أيضاً: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسْكِرُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ ⁽⁴⁾.

وبشيءٍ من التتبع رأينا أن نحو (31) مرة استعملت كلمة (النبى) إما مسبوقة بياء النداء مع التفعيم (يا أيها) أو بدونها في الإخبار عن رسول الله وشؤونه، واستعملت كلمة (الرسول) كذلك نحو (50) مرة بنفس الترتيب السابق، وما عثرنا على نداء من الله للرسول باسمه المجرد الصريح كأن يقول: يا محمد أو يا أحمد! ⁽⁵⁾

(1) الأحزاب: 45 - 46.

(2) المائدة: 67.

(3) الأحزاب: 28.

(4) المائدة: 41.

(5) طه ويس، من الحروف المقطعة في بدايات السور القرآنية وقد أورد العلامة الطباطبائي في الميزان - ناقلاً عن الطبرسي في مجمع البيان - أن الأقوال فيها أحد عشر قولاً، ومن الأقوال في خصوص طه ويس، أنها عبرية ومنها أن طه فعل، ومنها أن الكلمتين خاصتان بالرسول ﷺ وخصوصاً في الفترة الأخيرة. وكما قال الشيرازي في تفسير الأمل أن (طه) ك (يس) قد أصبحت تدريجياً وبمرور الزمان اسماً خاصاً للنبي ﷺ، حتى أنهم يسمون آل النبي ﷺ آل طه أيضاً، وعبر عن الإمام المهدي ﷑ في دعاء الندبة بـ (يا بن طه).

نعم؛ هناك بعض الموارد ذكر القرآن فيها اسم النبي ﷺ صريحاً، وهي تلك التي لا يتأدى فيها تمام المعنى الذي أراده إلا بذكر الاسم الصريح، فقال في بشارة المسيح عيسى بمجيء النبي الكريم ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾⁽¹⁾ فهذا لا بد من تعريفه بالكامل وباسمه الصريح وإلا لا تتم تلك البشارة!

وبالنسبة لاسمه الشريف «محمد» فقد جاء في أربعة مواضع في القرآن؛ ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾⁽²⁾، ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾⁽³⁾، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾⁽⁴⁾، ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾⁽⁵⁾. وأنت ترى عزيزي القارئ أن المعنى هنا لا يكون واضحاً إلا بالتسمية المباشرة، فلو أبدلت كلمة محمد هنا بكلمة الرسول أو النبي، لا يصل المعنى المطلوب.

ومع هذا التوقير الكبير من خالق الكون للنبي العظيم نتعجب

(1) الصف: 6.

(2) آل عمران: 144.

(3) الأحزاب: 40.

(4) محمد: 2.

(5) الفتح: 29.

بعد ذلك من أنه كيف كان يتعامل بعض أصحابه معه، من التقدم عليه في الكلام، والوقوف أمام أوامره. بما لا ينبغي من الاحترام حتى أنزل الله سورة هدد فيها الفاعل لذلك بإحباط أعماله وعدم قبولها. (1)

وقد يكون هذا النمط من الاحترام والتوقير للرسول من العباد أمراً مطلوباً وطبيعياً لكن أن يكون من الله سبحانه وهو خالق النبي، والنبي هو أعبد عبده! فهو أمر ملفت للنظر، خاصة مع المقارنة بسائر المرسلين وحتى أولي العزم منهم.

2 / الصلاة عليه من ربه والملائكة :

وهذه مرتبة لم نعهد لها في نبي أو رسول، وصيغة الأمر لم نعهد لها في أمر من الأوامر التشريعية، فإن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (2) والناظر للآية المباركة بتأمل يأخذه العجب! فما من واجب من الواجبات في الشرع قد بدأه الله سبحانه بهذا النحو، على عظمة تلك الواجبات، بحيث مثلاً أن

(1) سورة الحجرات 2 ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ﴾.

(2) الأحزاب: 56.

يقول: إن الله يجاهد لنصر دينه فيا أيها المؤمنون جاهدوا، أو إن الملائكة يصومون أو يؤدون الفرائض فيا أيها المؤمنون افعلوا ذلك! لكنه هنا في ما يرتبط بالصلاة على النبي (وآله) يقدم هذه المقدمة: إن الله والملائكة يصلون.. يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه! كذلك لم نعهد أن الله سبحانه فعل ذلك بنبي من الأنبياء والمرسلين، بحيث يكون هذا حالة دائمة ومستمرة، بينما الآية المباركة حيث أن بصيغة المضارع (يصلون) تفيد الدوام والاستمرار، وكأنها تقول إن هذه الصلاة كانت مع الله سبحانه ثم مع الملائكة وهي مستمرة خالدة.

ولأجل ذلك ذهب بعض العلماء إلى وجوب الصلاة على النبي ولو مرة في العمر، واستفادوا ذلك من صيغة الأمر (صلّوا عليه)، والصحيح أنها مستحبة في أعلى درجات الاستحباب، وينبغي المداومة عليها، ولها آثارٌ معنوية وأخلاقية وأخروية يحتاج كل من هذه العناوين إلى حديث خاص بها.

وتختلف صلاة الله سبحانه على نبيه عن صلاة العباد من الملائكة والإنس والجن، من جهات؛ فمن حيث المعنى كانت «صلاة الله رحمة من الله، وصلاة ملائكته تزكية منهم له، وصلاة

المؤمنين دعاء منهم له»⁽¹⁾ ومن حيث الكمية والمقدار فإن فعل كل فاعل هو بقدره، وعطاء كل معطٍ بحجمه، فإذا كان الفاعل للصلاة والمعطي هو الله سبحانه الذي لا يحده شيء فلك أن تتصور هذا العطاء بالنظر لما قدمناه من أن صلاة الله سبحانه كانت على نبيه منذ خلق الخلق أو أسبق ومستمرة إلى ما لا نهاية له في الزمان، وهكذا الحال في الملائكة الذين يكون عدد البشر بالقياس إليهم كذرة رمل في صحراء مترامية الأطراف، وكل هؤلاء يصلون على النبي (وآله)، ثم البشر مأمورون إن كانوا يطيعون الله بذلك.. فهل ترى شرفاً يعدل هذا الشرف؟ ومنزلة تقارب هذه المنزلة؟

ثم إن الصلاة التي أجملها القرآن الكريم في معناها وقد بينها المعصوم كما عن الإمام الكاظم (عليه السلام) أنفأ، كما أجمل حدودها وصيغتها فهي تحتاج إلى تبين في هذه الحدود وتلك الصيغة، وقد بينها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، أما حدودها فهي تشمل (آل النبي محمد) وأما صيغتها فقد وردت في أحاديث عنه، ويجمع ذلك الحديث المشهور «أَنَّ رَجُلًا أَتَى نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ (!)، فَقَالَ: كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ؟ قَالَ: قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ،

(1) رواه الصدوق في ثواب الأعمال عن الإمام الكاظم.

وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ،
وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ
إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»⁽¹⁾.

وللأسف فإن اتجاه التنكر لأهل بيت النبي ﷺ قام بخطوتين
في هذا الاتجاه؛

الأولى: أنهم «عوّموا» تلك الحدود وجعلوها مفتوحة، فبدلاً
من كون تلك المنزلة بالمقاييس التي ذكرناها آنفاً، خاصة
لرسول الله ﷺ، وهو قام بتعيين حدودها بحيث تشمل آل محمد،
إلا أنهم أضافوا عليها أزواجه! ⁽²⁾ مع أن سياق الحديث لا ينسجم
مع إضافة الأزواج، بغض النظر عن علاقاتهن مع رسول الله ﷺ
فيما صرح به القرآن، فإن المشبه به وهو النبي إبراهيم لم يأت

(1) سنن النسائي 3/ 48: ومن العجيب المضحك أن من نقلوا هذا الحديث وفيه تعليم النبي
إياهم الصلاة عليه وأنها بإضافة آل محمد، لكنهم مع ذلك يتركونها في نفس السطر، فانظر
إلى الحديث أعلاه، فإن نصه هكذا: أتى رسول الله ﷺ!! وهو ينقل بعده أن النبي يقول: قولوا
اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، فكان أول الناقلين للحديث هو أول التاركين لسنة
النبي وتعليمه! وترى مصادر مدرسة الخلفاء تعنون الباب: الصلاة على النبي ﷺ! وكذلك نقله
المعجم الكبير للطبراني 17/ 251: والمشكلة أننا قد ننقل من مصادره – نصاً لكليلاً يقال زاد أو
نقص – فننقل هذه الصلاة البتراء!

(2) فترى في الصحيحين صيغة أخرى وهي: صحيح البخاري 4/ 146: أبو حميد الساعدي «أنهم
قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك؟ فقال رسول الله ﷺ قولوا اللهم صل على محمد وأزواجه
وذريته كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل
إبراهيم إنك حميد مجيد».

فيه ذكر لأزواجه، مما يعلم به أنه تم إضافة هذه الكلمة في الأحاديث تلك. بل أراد بعضهم جعلها شاملة للأمة كاملة!!⁽¹⁾

والخطوة الثانية؛ أنه تم اتخاذ قرار رسمي - على مستوى العالم الإسلامي - بعدم الالتزام بتعليم رسول الله ﷺ، لأئمة بأنهم إذا أرادوا أن يصلوا عليه فليقرنوا آله معه، حتى يمكن أن يُعرف اليوم المسلمون غير أتباع أهل البيت بعلامة لا تخفى وهي قصر الصلاة على النبي وترك الآل، مما يعد مخالفة صريحة لتعليمه ﷺ. فبمجرد أن ترى شخصاً يتر الصلاة المحمدية⁽²⁾ تعرف أنه من أتباع المدرسة الأخرى، وتتعجب من شخص يكون من مدرسة الخلفاء ومع ذلك يشمل بالصلاة آل النبي!

اعتناء الإمامية بذكر الصلاة على محمد وآله:

التزاماً من الإمامية الإثني عشرية بما ورد عن الرسول الكريم بواسطة أئمتهم، وعن أئمتهم أيضاً قد اهتموا اهتماماً كبيراً بذكر الصلاة على محمد وآله، حتى أصبحت من العلامات التي يعرفون

(1) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن 1/ 389 «وقالت طائفة من أهل العلم: الأهل معلوم، والآل الأتباع».

(2) الهيثمي؛ أحمد بن حجر: الصواعق المحرقة 2/ 430. ويروى «لَا تَصَلُّوا عَلَيَّ الصَّلَاةَ الْبَتْرَاءَ!» فَقَالُوا: وَمَا الصَّلَاةُ الْبَتْرَاءُ؟ قَالَ: «تَقُولُونَ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَتَمْسُكُونَ بِلِ قَوْلُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ»

بها بين كل المسلمين⁽¹⁾، وتجد التربية على الالتزام بذكر الصلاة بهذا النحو تبدأ مع الطفولة المبكرة، كما تجد هذا الذكر حاضراً في كل مناسبة، ففي الأفراح تكون الصلوات المحمدية حاضرة، وفي الأحزان كذلك، وفي المجالس والمحاضرات في أول الافتتاح وفي ختامه، بل وكلما ذكر اسمه ﷺ، وفي الأدعية فلا تجد دعاء - في الغالب - إلا مبدأه الصلاة وختامه كذلك بل قد يكون جوهره هو الصلاة على النبي وآله.⁽²⁾ ويرون ذكر الصلاة على محمد وآله، كذكر التسييح والتهليل والتحميد والتكبير في استحبابها وآثارها. والحديث في هذا كثير، والمجال هنا لا يتسع للاستقصاء، فسنتصر على بعض الأحاديث الواردة عنهم في شأن ذكر الصلاة على محمد وآله.

فعن رسول الله ﷺ: «من عسرت عليه حاجة فليكثر بالصلاة عليّ فإنها تكشف الهموم والغموم، وتكثر الأرزاق، وتقضي الحوائج» وهذه من الآثار والنتائج التي تترتب على الإكثار من الصلاة على محمد وآله.

(1) حتى عاب عليهم (ويا للعجب) بعض المسلمين ما سماه بالمبالغة في الصلوات على محمد وآله!!

(2) نشير هنا إلى الصلوات المحمدية الشعبانية التي يدعى بها في كل يوم من أيام شهر شعبان (اللهم صل على محمد وآل محمد شجرة النبوة وموضع الرسالة.. إلى آخر الدعاء).

وشبيهه ما سبق في تأثير الصلاة على محمد وآله في قضاء الحوائج: ما ورد عن الصادق (عليه السلام)، من قوله: «إِنَّ فِي كِتَابِ عَلِيِّ (عليه السلام): إِنَّ الثَّنَاءَ عَلَى اللَّهِ، وَالصَّلَاةَ عَلَى رَسُولِهِ قَبْلَ الْمَسْأَلَةِ.» وأما ثوابها فمما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام): «مَنْ صَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ عَشْرًا، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَمَلَائِكَتُهُ مِائَةَ مَرَّةٍ.»

وعن أحدهما (الباقر والصادق) (عليه السلام): «مَا فِي الْمِيزَانِ شَيْءٌ أَثْقَلُ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَتَوْضَعُ أَعْمَالُهُ فِي الْمِيزَانِ، فَتَمِيلُ بِهِ، فَيُخْرَجَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ الصَّلَاةَ عَلَيْهِ، فَيَضَعُهَا فِي مِيزَانِهِ، فَتَرْجَحُ.»

عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام): «إِنَّ الصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ وَآلِهِ تَهْدِمُ الذُّنُوبَ هَدْمًا»⁽¹⁾.

وإن المنزلة العالية لهذا الذكر بين سائر الأذكار لأن الذاكِر فيه يجمع بين أصول الإسلام والإيمان الأساسية، وهذا واضح بالتأمل في مفرداتها. فعندما يقول: «اللَّهُمَّ» فهو يعترف بوحدانية الله ويتوجه إليه، وهو يعمق بذلك أصل التوحيد عنده، وإذا قال: «صَلِّ» فإنه ينظر إلى مجازاة الله تعالى لنبهه في إعلاء درجته

(1) هذه الروايات وغيرها تجدها في كتاب: النور المبين في فضل الصلاة على محمد وآله الطاهرين لمؤلفه حسين طالب.

في الجنان وهذا يستبطن مبدأ الإيمان بالمعاد والجزاء في يوم القيامة. والإتيان باسم «محمد» يعني الاعتراف بنبوته ﷺ، وأما «آل محمد» فهو يعني الاعتراف بإمامتهم وقيادتهم وأنهم خلفاء النبي واختيارهم من بين سائر الخلائق.

3 / تكفل الله تعالى برفع ذكره ﷺ

فقال: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾⁽¹⁾؛ فالناظر يرى أن شرط دخول الإسلام هو الاتيان بالشهادتين (أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله) والنطق بهما عن اعتقاد، فإذا قال ذلك ترتبت عليه أحكام الإسلام، وصارت له حقوق المسلم، ولو اكتفى شخص بالشهادة بالتوحيد وترك ذكر الرسول ﷺ، لم يُعَدَّ مسلماً، ولم يكتف الباري سبحانه بهذا وهو اشتراط دخول الإسلام بذكره ونبيه الكريم، بل قرن العبادات بذكر النبي ﷺ، فما من صلاة يدعى إليها في مكان من الدنيا بالأذان إلا وذكر فيها النبي المصطفى ﷺ، وهذا يعني أن ذكره حاصل في كل ساعة من ساعات الليل والنهار، بملاحظة أن المسلمين منتشرون في مختلف بقاع الأرض، ومنذ طلوع الفجر في أدنى نقطة في شرق العالم إلى مثلها في غرب

(1) الشرح:4

العالم، مرورًا بالنهار والليل حيث يوجد مسلمون فهم يرفعون الأذان ويذكرون رسول الله ﷺ، كما يذكرون ربهم في الأذان، والحال نفسه في الإقامة التي بها تقام الصلوات حيث تحتوي على ذكره صلوات الله عليه وآله والشهادة له بالرسالة.

وقد قارن بعضهم بين إبراهيم عليه السلام ونبينا المصطفى في هذا، فقال: إن إبراهيم سأل ربه ﴿وَجْعَلْ لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾⁽¹⁾ فأعطاه، بينما النبي محمد ﷺ، أعطي ذلك بلا سؤال منه! فقال: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾⁽²⁾.

وقد ذكر بعض العلماء بأن أحد معاني صلاة الله على نبيه هو رفع ذكره وإعلاء شأنه.

4 / وأقسم بحقه وحياته

فقال سبحانه: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾⁽³⁾ وقد جاء في تفسير الطبري «عن ابن عباس، قال: ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفسًا أكرم على الله من محمد ﷺ، وما سمعت الله أقسم بحياة أحدٍ غيره، قال الله تعالى ذكره ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾»⁽⁴⁾.

(1) الشعراء: 84

(2) الشرح: 4.

(3) الحجر: 72

(4) الطبري؛ محمد بن جرير: تفسير الطبري جامع البيان 17 / 118.

وقد ذكر العلامة المجلسي عن تفسير فرات الكوفي، بسنده عن الأعمش قال: خرجت حاجاً إلى مكة، فلما انصرفت بعيداً رأيت عمياء على ظهر الطريق تقول: بحق محمد وآله ردّ عليّ بصري، قال: فتعجبت من قولها وقلت لها: أي حقّ لمحمد وآله على الله؟ إنما الحق له عليهم!

فقلت: مه يا لكع والله ما ارتضى هو حتى حلف بحقهم، فلو لم يكن لهم عليه حقّ ما حلف به!

قال: قلت: وأي موضع حلف؟ قالت قوله: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾⁽¹⁾ والعمر في كلام العرب الحياة.

قال فقضيت حجتني ثم رجعت فإذا بها مبصرة في موضعها وهي تقول: أيها الناس أحبوا علياً فحبّه ينجيكم من النار، قال: فسلمت عليها وقلت: أأست العمياء بالأمس تقولين: بحق محمد وآله ردّ عليّ بصري؟ قالت: بلى، قلت: حدثيني بقصتك، قالت: والله ما جُزّئني حتى وقف عليّ رجلٌ فقال لي: إن رأيت محمداً وآله تعرفينه؟ قلت: لا ولكن بالدلالة التي جاءتنا، قالت: فيينا هو يخاطبني إذ أتاني رجلٌ آخر متوكئاً على رجلين فقال: ما قيامك

معها؟ قال: إنها تسأل ربها بحق محمد وآله أن يرد عليها بصرها فادع الله لها، قال: فدعا ربه ومسح على عيني بيده فأبصرت..»⁽¹⁾

5 / وأخبره بأنه يعطيه مقدار رضاه؛

فالناظر إلى الآيات القرآنية يرى عجباً في أن الله سبحانه وتعالى وهو الخالق يتطلب رضى نبيه وهو المخلوق، ومن دون أن يطلب رسول الله ﷺ من ربه ذلك الأمر، يقول ربنا سبحانه جل شأنه: ﴿قَدْ زَرَى ثَقَلُ بْنُ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾⁽²⁾، وليس هذا فحسب بل أخبره الباري سبحانه بأنه سوف يعطيه حتى يرضى ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾⁽³⁾ وقد عُدَّت هذه من أرجى الآيات القرآنية كما نقل الفخر الرازي عن الإمام الباقر قوله: أهل القرآن يقولون: أرجى آية قوله: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾⁽⁴⁾ وإنا أهل البيت نقول: أرجى آية قوله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾⁽⁵⁾.

(1) المجلسي: بحار الأنوار 42 / 45.

(2) البقرة: 144.

(3) الضحى: 5.

(4) الزمر: 53.

(5) الرازي؛ فخر الدين: تفسير الرازي = مفاتيح الغيب 31 / 194.

ومن المؤلم أن يتم التقصير في حق هذا النبي الكريم الذي يعطيه ربه العظيم كل مناه ومطالبه، حتى قبل أن يفوه بها، فإذا به تسوقه الأمور إلى أن يبتغي مرضاة أزواجه،⁽¹⁾ لكي يحافظ على بناء أسرته! فيحرم على نفسه ما أحل الله له، في القصة المعروفة.

6 / وعلم المسلمين الأدب مع رسول الله :

فأنزل سورة الحجرات لتكفل آياتها بتعليم المسلمين منزلة رسول الله ﷺ ومقامه الرفيع، فأمرهم بأن لا يتقدموا على الرسول في شيء، وإنما يكونون تابعين له في أوامره ونواهيه، وكذلك أن لا يرفعوا أصواتهم عنده، أو يجهروا له بالقول كما يجهر بعضهم لبعض ويعارض أحدهم الآخر فإن نتيجة ذلك أن لا تقبل عباداتهم، وأن تحبط أعمالهم.⁽²⁾

وحذرت السورة المباركة من أن الذين ينادون النبي ﷺ من وراء الحجرات هم خارجون عن دائرة العقلاء، وكان الأجدر بهم

(1) التحريم: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِرَحْمَةٍ مَّا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْنِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

(2) سبب نزولها كما في صحيح البخاري 6 / 137 هو ما جرى بين أبي بكر وعمر، من النزاع وارتفعت أصواتهما عند رسول الله ﷺ، فقد روى بسنده أنه «قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺ، فقال أبو بكر: أمر القعقاع بن معبد، وقال عمر: بل أمر الأقرع بن حابس، فقال أبو بكر: ما أردت إلى - أو: إلا - خلافي، فقال عمر: ما أردتُ خلافاً، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما، فنزل في ذلك: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْقُوا اللَّهَ﴾ [الحجرات: 1] حتى انقضت الآية.»

أن يصبروا حتى يخرج النبي لهم، وأن يكونوا كأولئك نفر الذين يغضون أصواتهم - وغض الصوت هو من علامات الخضوع الكامل - وذلك لا ريب هو خير لهم.

هذه النقاط - مع أننا لم نستوعب كل آيات القرآن الكريم وإنما أوردنا نماذج منها - كلها في التوقير والتكريم وبيان المنزلة العالية لهذا النبي العظيم.

وأما الكلام عن مراتبه ومقاماته - من الناحية العقديّة والدينية - وما الذي يجب له من الحقوق اللازمة، فإليك إيّاها، ونستكمل بها النقاط السابقة بحسب التسلسل:

7 / من هو النبي محمد في القرآن؟

إن القرآن يصرح بأن النبي محمداً ﷺ هو ذلك الذي قد حظي برعاية الله سبحانه ونظرته إليه منذ كان في أصلاب آبائه ﴿الَّذِي يَرَبُّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ (*) وَتَقْلُبُكَ فِي السَّجْدِينَ ﴿١﴾ وبالرغم من أن التفسير الظاهري للآية المباركة يشير إلى أن الله سبحانه يرى النبي حال قيامه الليل وحين يصلي جماعة بالمسلمين الساجدين، إلا أن هناك احتمالاً آخر أشارت إليه بعض الروايات من طريق مدرسة

(1) الشعراء: 218 - 219

الخلفاء، ومدرسة أهل البيت ﷺ وهو أن المقصود من ذلك هو كونه يتقلب في أصلاب الساجدين الطاهرين حتى أخرجه الله تعالى، ومنها رواية ابن عباس قال: «وَقَلْبُكَ فِي السَّاجِدِينَ»⁽¹⁾ قال: من صلب نبي إلى صلب نبي حتى صرت نبياً⁽²⁾. وفي نفس المعنى أخرج أبو نعيم في دلائل النبوة عن رسول الله ﷺ قوله: «لم يلتق أبواي في سفاح، لم يزل الله عز وجل ينقلني من أصلاب طيبة إلى أرحام طاهرة، صافياً مهذباً، لا تتشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما»⁽³⁾.

ونفس هذا الحديث نقله الشيخ الصدوق في كتابه الأمالي⁽⁴⁾ عن جابر بن عبد الله الأنصاري. وفي تفسير علي بن إبراهيم القمي عن أبي جعفر ﷺ أنه قال: «الَّذِي يَرَبُّكَ حِينَ تَقُومُ» (*) وَقَلْبُكَ فِي السَّاجِدِينَ»، قال: في أصلاب النبيين صلوات الله عليهم أجمعين» وهو الذي أشار إليه الطبرسي في مجمع البيان بقوله «وهو المروي عن أبي جعفر، وأبي عبد الله، صلوات الله عليهما،

(1) الشعراء: 218 - 219

(2) العسقلاني؛ ابن حجر: مختصر زوائد مسند البزار على الكتب الستة ومسند أحمد 2/ 98. وقد وصف ابن حجر العسقلاني الإسناد بأنه حسن.

(3) الأصبهاني؛ أبو نعيم: دلائل النبوة ص 57.

(4) ابن بابويه؛ الصدوق: الأمالي ص 723.

قالا: في أصلاب النبين، نبيّ بعد نبيّ، حتى أخرجهم من صلب أبيه، من نكاح غير سفاح، من لدن آدم (عليه السلام).⁽¹⁾

8 / ما كان أبا أحد من رجالكم

ولكن رسول الله وخاتم النبيين: يذكر المؤرخون سبب نزول هذه الآية، وأنها جاءت لإبطال ما كان عليه المشركون من الاعتقاد الباطل من أن زوجة المتبنى هي كزوجة الابن الحقيقي تحرم على متبنيه، وذلك أن زيد بن حارثة الشيباني كان قد استرق في الجاهلية ويبيع في مكة فصار ملك خديجة بنت خويلد (عليها السلام) فلما تزوجها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهبته إياه، فأعتقه النبي وصار ولاؤه له! وأحسن إليه فلما علم أهله بأنه في مكة جاؤوا يستعيدونه ولو بأغلى الأثمان، فأخبرهم النبي أنه إن اختارهم فلا يطلب ثمنًا، وإن اختار النبي فلا يستطيع قهره على الرحيل، وعندما عرض الأمر على زيد، اختار رسول الله، فلما رأوا منه ذلك تبرأوا منه، ونفوا انتسابه لهم! فقال رسول الله هنا - كما ذكر المؤرخون - زيد ابني! ولعل ذلك لأجل ترميم حالته من تبري أسرته منه! لكن نظام التبني كان موجوداً في قريش! وعندما زوجه النبي

(1) الطبرسي: مجمع البيان 7 / 358.

بنت عمته زينب بنت جحش ولم يتفقا، زوج الله نبيه منها ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي زَوْجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾⁽¹⁾ فأرجف المنافقون هنا بأن رسول الله قد تزوج زوجة ابنه وهو عارٌ ومنقصة ومحرمٌ، فنزلت الآية المباركة، لتنفي هذا الانتساب، إذ بالتبني الاجتماعي لا يكون المتبنى ابناً حقيقياً، ولا المتبني أباً!

وعرفت الناس بعظيم منزلته وأنه رسول الله وخاتم النبيين!

والعجيب أنه مع وضوح المراد منها فإن بعض الحاكمين الظالمين في الأمة أراد تعميمها لتشمل الحسنين (عليهما السلام) وأنهما ليسا أبناء رسول الله بمقتضى قوله: ما كان محمد أباً أحد من رجالكم! والرد الواضح عليهم هو أنه هل ينفي بذلك العموم بنوة إبراهيم بن رسول الله؟ لأنه ليس أباً أحد من رجالكم؟ قطعاً لا! وأين موقع آية المباهلة (وأبناءنا وأبناءكم) فهل يتناقض القرآن وتتخالف آياته؟

9 / وإنك لعلى خلق عظيم

بالرغم من أن الآية هذه جاءت في سياق الرد على الكفار الذين اتهموا رسول الله ﷺ بتهم مختلفة كاذبة من أجل فصل

(1) الأحزاب: 37

الناس عنه، وحجب دعوته عنهم، فكان مما اتهموه به الجنون الذي برأه الله منه فقال ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾⁽¹⁾ وتعقبها بهذه الآية وكأنها دليل على تلك التبرئة فقد قال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ويريد بقوله هذا: ومن كان على خلق عظيم فلا يعقل أن يكون مجنوناً.

غير أن هذه الآية أصبحت أم الباب في أخلاق رسول الله ﷺ وشخصيته، وذلك لما احتوت عليه من جهات؛ منها: أن وقت نزول هذه الآية كان في أول الدعوة بقرينة أنها تعالج اتهامات قريش والكفار والتي كانت في أول دعوة رسول الله. وفي ذلك الوقت تحدث القرآن عنه بأنه لعل خلق عظيم، ومعنى ذلك أنه تحلّى بتلك الأخلاق العظيمة قبل أن يكون مبعوثاً، وهذا ما أشارت إليه روايات عن أهل البيت (عليهم السلام)⁽²⁾ وكأنها كانت بمثابة المقدمة التي ترتب عليها نتيجة أن يفوض الله إليه أمر عباده.

(1) سورة القلم: 2.

(2) منها ما روي من «إِنَّ اللَّهَ أَدَّبَ مُحَمَّدًا ﷺ فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِهِ فَقَالَ: «خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ، وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ» - قال: فلَمَّا كَانَ ذَلِكَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ فَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ فَوَّضَ إِلَيْهِ دِينَهُ فَقَالَ: «مَا أَنَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ - عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ».

وشبيه بها رواية الفضيل بن يسار قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول لبعض أصحاب قيس الماصر: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَدَّبَ نَبِيَّهَ فَأَحْسَنَ أَدْبَهُ، فَلَمَّا أَكْمَلَ لَهُ الْأَدَبَ قَالَ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، ثُمَّ فَوَّضَ إِلَيْهِ أَمْرَ الدِّينِ وَالْأَمَّةِ لَيْسَ عِبَادَهُ، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا أَنَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: 7].

ومنها ما أشرنا إليه في ما سبق، من عناصر التوكيد اللفظي والمعنوي في الآية المباركة، فمن جهة الألفاظ استعمل الباري سبحانه (إنّ) التي هي للتوكيد، وحتى الخطاب أيضاً فيه شمة التوكيد وكأنه يقول: أنت لا سواك، وربما يكون هذا أبلغ من الإخبار عنه بالغائب، وكذلك فقد استعمل اللام التي جاء سابقة لحرف الجر، وهي للتوكيد أيضاً، ونفس استخدام (على خُلق)، بما يفيد معنى الاستعلاء والتجاوز والفوقية على الخُلق، وأخيراً توصيف ذلك الخُلق بالعظيم، فإذا جاء هذا التوصيف من العظيم الذي غيره يكون كل شيء حقيراً وصغيراً، دل على عظمة ذلك الخُلق الذي كان عليه رسول الله ﷺ.

وهذه الآية تكشف عن مقدار تأثير أخلاق رسول الله في الدعوة إلى الله، وإقناع الغير بحقانية الإسلام. وفي نفس الوقت تجيب على كثير من الأسئلة الحائرة؛ مثل أنه لماذا لم يقتل النبي المنافقين الذين كانوا في المدينة حوله؟ ولماذا لم يقم بخطوة استباقية في معاقبة من يعلم أنهم سوف يفسدون على المسلمين ديانتهم وشريعتهم في المستقبل؟ وأمثال ذلك والتي عبر عنها أحياناً بقوله: إنه يكره أن يقال إن محمداً يقتل أصحابه. وهو هنا كان يقدم المنطق الأخلاقي على المنطق السياسي والذرائعي الذي يسمى بالواقعي!

كما أن هذه الآية المباركة تصلح أن تكون مقياساً صارماً لبيان

بُعد وقُرب الروايات عن الحقيقة، فإذا جاءت رواية تقول إن النبي عبس وتولى عن الأعمى! فإن آية وإنك لعلی خلق عظیم ترفض هذا رفضًا تامًا، فإن هذا السلوك المذكور لا يفعله من كان على خلق بسيط فكيف بمن كان على خلق عظیم؟

10 / رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم

حريص عليكم، رؤوف رحيم: هذه الصفات التي جاءت في آية واحدة ترسم للعرب والمسلمين صورة رائعة للنبي محمد، فهو من جهة: من أنفسهم (جمع نفس) وهذا يحقق مقدارًا من الألفة وينفي الغربة، فلا هو من جنس آخر كالملائكة والجن لا يعرف الإنس أبعادهم وطريقة حياتهم، ولا هو من الإنس الغرباء الذين قد يستوحش الشخص من معاشرتهم.

وهو (إنسان) من صنف متميز، إذ أن مشاعره وقلبه الرحيم بلغ حدًا يعز عليه ما يسبب العنت والتعب والأذية للناس، بل يتأذى بسبب ذلك وإن كان لا مدخلة له في تعب الناس، لكنه يتأذى بحصوله لهم، وهو حريص على مصالحهم ويسعى لتحقيقها. عن هذا النبي الكريم يقول ربنا: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾⁽¹⁾.

(1) التوبة: 128.

11 / مهماته الرسالية :

تميز النبي المصطفى بأنه قد بعث للجن والإنس وهؤلاء على اختلاف ألسنتهم وأعراقهم ودياناتهم، ليؤمنوا برسالته الخاتمة لسائر الرسالات، فقال ربنا سبحانه ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (*) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿١﴾. وكل كلمة من هذه الكلمات والصفات لها أبعادها.

وقد اختير من قبل ربه بعناية كافية، ليؤدي هذه المهام كما لا يستطيع أحد غيره أن يؤديها، ولذلك اعتبر انتخابه واصطفائه لها (منّة) على المؤمنين به، وقد ذكرها الله تعالى وذكر بها، مع ذكر العطايا والمن بها على الآخذين لها قد لا يكون محبباً لكنه هنا، لعظمة العطية مع عدم سؤالها من قبل المستلمين لها، ذكرها الله تعالى فقال: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾. (٢) ولعمري إن القيام بمهمة تعليم الآيات وهي أشبه بالقواعد الكلية والاعتقادات العامة وخريطة الحياة، ويقوم في نفس الوقت بالتربية الأخلاقية والنفسية

(١) الأحزاب: ٤٥ - ٤٦.

(٢) آل عمران: ١٦٤.

فيرتقي بالإنسان بالتركية والسمو، وأخيرًا يعلمهم أحكام الدين وهي السبيل الحكيم لإدارة النفس والمجتمع.. إن القيام بكل ذلك لشخص واحد هو أمر صعب فكيف إذا كان المطلوب قيادة المجتمع كله بهذا الاتجاه؟ وكم من الوقت والجهد يحتاج؟ لكنه ﷺ فعل ذلك فأدى المهمة وبلغ الرسالة.

12 / رحمة للعالمين؛

هكذا اختصر القرآن الكريم وجود رسول الله ﷺ، فقال ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾⁽¹⁾ ووقوع الرحمة بين النفي والاستثناء يفيد القصر والحصر، يعني غرض إرسال الله إياه للعالمين هو الرحمة بهم لا شيء غير ذلك.

ولعل القارئ الكريم يلحظ العلاقة بين (الرحمن الرحيم) وهما صفتا الله سبحانه اللتان تفتتح بهما سور القرآن وأعظم تجلٍّ لله في خلقه إذ ما من شيء في الخلق إلا وهو يشهد برحمانية الله ورحيميته، و﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾⁽²⁾ وبين أن النبي هو (رحمة للعالمين).

(1) الأنبياء: 107.

(2) الأعراف: 156.

كما يلحظ أن الرسول ليس رحمة للمسلمين فقط وليس للناس وإنما للعالمين (إنسهم وجنهم)، بل صالحهم وطالحهم، ولعلك تسأل قد عرفنا الصالح وكونه رحمة له فماذا عن الطالح والفاسق، وجوابه: أنه رحمة عظيمة له في مستوى أن لا يعذب بعذاب الاستئصال كما كان في الأمم السابقة، فإن الله سبحانه وتعالى قد تكرم على الناس بأن لا يعذبهم والرسول فيهم فممنع عنهم أنواع العذاب التي كانت شائعة في الأجيال السابقة عليه، من الطوفان العظيم، والريح العقيم، والخسف السحيق، وغيرها. وهذه النعمة إنما كانت لأن رسول الله رحمة للعالمين بمن فيهم هؤلاء العصاة، فلا يحل عليهم هذه الأنواع من العذاب.

ومن جهة أخرى فرحمة النبي تامة في حد ذاتها وشاملة حتى لهذا العاصي والطالح لكن عصيانه وسوء اختياره وفحش قوله وفعله هو الذي يمنع هذه الرحمة من أن تؤثر أثرها، وتفعل فعلها، وهذا شبيه بالشمس التي تشرق على البر والفاجر وفيها قابلية نفع الجميع لكن الفاجر مثلاً لو غطى عينه عن نورها فما ذنب الشمس هنا لو اصطدم بالجدار أو وقع في الحفرة؟

وقد يؤكد هذا المعنى ما نقل في أحواله ﷺ، من رحمته حتى بالكافرين - ولو لجهات آخر - أن قومه الذين حاربوه «وجهدوا

على قتله أنه لم يدع عليهم، فهبط عليه جبرئيل وقال له: «إِنَّ اللَّهَ تعالى قد سمع قول قومك لك، وما ردّوا عليك، وقد أمر ملك الجبال تأمره بما شئت فيهم، وهبط عليه ملك الجبال وعرفه امتثالاً لأمره، فقال ﷺ: «أرجو أن يخرج الله من أصلاهم من يعبد الله تعالى، ولا يشرك به شيئاً»⁽¹⁾ وروي عنه في موضع آخر وقد طلب منه بعض أصحابه أن يدعو على الكافرين بعذاب كما صنع نوح عليه السلام حين قال: ﴿لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾⁽²⁾ فقال: «إني لم أبعث لعاناً، وإنما بعثت رحمة».⁽³⁾

بالطبع الفارق كبير بين كونه رحمة للصالح المؤمن وكونه كذلك للطالح والكافر، فإن رحمته بالمؤمن شاملة عامة في حياته الدنيوية والدينية والأخروية، بينما هي لذاك هي في حدود كفايته عذاب الاستئصال الدنيوي، وتوفير إمكان النجاة من العذاب الأخروي لو اختار الكافر هذا الطريق ويمكن القول أن من بركات وجوده أنعم الله على البشر بالنعيم، فكانت النعم عامة على الخلق بمن فيهم العاصون. وهو مفاد أحاديث كثيرة من أن الله سبحانه لولا محمد وآله لما خلق الخلق.

(1) القرشي؛ الشيخ باقر شريف أخلاق النبي وأهل بيته ص 25.

(2) نوح: 26.

(3) النيشابوري: صحيح مسلم 4/ 2007.

بل يمكن القول: إن ما تقدم ذكره من المهمات التي قام بها ﷺ من التبشير والإنذار والتعليم والتزكية هو كل من آثار رحمته بالعالمين ومن نتائجها.

ومن رحمته أيضاً شفاعته للخاطئين من أمته، وقد اشتهر بين المسلمين حديثه «ادخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» وفي نص آخر «أعددت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» بل وصفه المجلسي الأول بأنه مستفيض.⁽¹⁾

بل تلمس في شريعته وأحكامه - وهي شريعة ربه - الرحمة واليسر وهذا مبحث طويل.

13 / علاقة النبي بربه وبمن أرسل لهم

في هذا العنوان سوف نجد آيات كثيرة تربط بين النبي وبين خالقه برباط يجعل ما يرتبط بالرسول مرتبطاً بالله تعالى، ولولا أن الله قال في كتابه ذلك، لعدَّ هذا من الغلو.

فالرزق والغنى: من المعلوم أن الله سبحانه وتعالى هو الرزاق الذي يغني عباده وهو التوحيد الخالص، لكن الله سبحانه في

(1) المجلسي؛ محمد تقي: روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه 2/ 703. وذكره بدون أعددت أو ادخرت في مسند أحمد 20/ 439، والترمذي في السنن والحاكم في المستدرک وغيرهم.

الكتاب العزيز كما ينسب إغناء الخلق إليه، ينسبه إلى رسوله
فيقول: ﴿وَمَا نَقْمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾⁽¹⁾.

وجعل الله طاعة نبيه طاعته؛ وهذا ينفي كل ما قيل من أن النبي
قد يجتهد في أوامره أو يخطئ - والعياذ بالله - تشخيصاته، أو أن
من الحرية الاعتراض عليه من قبل بعض المسلمين، فكل ذلك
أمام هذه الآيات يغدو هباءً منثورًا إن الله تعالى يقول: ﴿مَنْ يُطِيعِ
الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾⁽²⁾ وبطبيعة الحال من يعصه فقد عصى
الله سبحانه، وأن من آثار طاعة النبي أن يهتدوا إلى سبل الحياة
السليمة⁽³⁾ ويجعل بيعتهم النبي بيعه الله سبحانه⁽⁴⁾ ولا يقبل القرآن
الكريم الفصل بين الرسول وبين خالقه بأن يقول بعضهم إننا نعبد
الله ولكن لا نصدق الرسول! ويعتبر من يكذب الرسول مكذبًا
بالله تعالى وجاحدًا له ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتٍ
اللَّهُ يَجْحَدُونَ﴾⁽⁵⁾ ويعين الطريق الوحيد لممارسة الإنسان محبته
لله وعبادته إيَّاه وهو أن يكون بواسطة رسول الله ﷺ، فيقول

(1) التوبة: 74.

(2) النساء: 80.

(3) النور: 54 ﴿وَأَنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾.

(4) الفتح: 10 ﴿إِنَّ الَّذِي يَبَايِعُكَ إِنَّمَا يُبَايِعُ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾.

(5) الأنعام: 33.

ربنا مخاطباً نبيه: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. (1)

وأعلى مراتب العلاقة بين النبي وبين المؤمنين هي مرتبة الولاية، وأنه ولي أمرهم، بل هو أولى بهم من أنفسهم، فقراراته بالنسبة لهم مقدمة على قراراتهم لأنفسهم، وهو الحاكم فيها قبل حكمهم في أنفسهم ف﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾. (2)

(1) آل عمران: 31.

(2) الأحزاب: 6.

من علم النبي ﷺ

سوف نرى في ما يأتي وهو قطرة من بحر، مما هو في فضل رسول الله ﷺ، أن علمه لا يعدله علم بشر في سابق الزمان أو لاحقه. وكما سبق فإننا سنعتمد هنا أيضاً التسلسل على أساس الأرقام لتسهيل المأخذ.

1 / رسول الله مدينة العلم :

وأول ما سيلفت النظر هو حديثه ﷺ عن نفسه بقوله المشهور «أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها». وللأسف فإن بعض علماء مدرسة الخلفاء من الاتجاه الأموي في مناكفة واضحة لفضائل الإمام أمير المؤمنين فقد ردّوا الحديث المذكور الذي يثبت منقبة عظيمة لرسول الله، لأنه يثبت فضيلة تتبعها للإمام عليّ.

والعلم هنا الذي أضيف إلى المدينة، مطلق فهو يشمل كل ما صدق عليه الاسم سواء كان دينياً أو طبيعياً!

وهذا الحديث أخرجه الحاكم النيشابوري في المستدرک بسنده

عن ابن عباس: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلَيَّ بَابُهَا، فَمَنْ أَرَادَ الْمَدِينَةَ فَلْيَأْتِ الْبَابَ» هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ إِسْنَادًا، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ⁽¹⁾.

وقد كتب علامة الهند آية الله السيد حامد حسين النقوي،⁽²⁾ في تصحيح هذا الحديث وتتبع من صححه من مصادر المدرسة الأخرى وعلمائها ما جاء فيه بما يشفي الغليل ويبرئ العليل فله دره، حيث أفرد جزءاً كاملاً من كتابه عبقات الأنوار لهذا الحديث وتتبع أسماء من رواه من الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم،

(1) المستدرك على الصحيحين (3/ 137 ط العلمية)، ولعمري لولا ذيل الحديث لما تأبى أحمد بن حنبل عن نقله وتصحيحه خوفاً من المتوكل الذي عرف بالنصب، إن أحسن الظن، وكذا البخاري لاتجاهه الخاص الذي لا يخفى على الباحثين. وأسوأ من هذا اعتبار الذهبي إياه: أنه موضوع! وهو متوقع من الذهبي فإنه لا يحتمل ما دون هذا من فضائل الإمام بكثير فكيف يحتمله؟ وأعجب من الجميع ما ذكره في منهاج السنة (7/ 515):! من دليل متهاك في الموضوع عندما قال: «فإن النبي ﷺ إذا كان مدينة العلم، ولم يكن لها إلا باب واحد، ولم يبلغ عنه العلم إلا واحداً، فسد أمر الإسلام، ولهذا اتفق المسلمون على أنه لا يجوز أن يكون المبلغ عنه العلم واحداً» ولا نعلم ما هو الارتباط بين أن يكون المبلغ واحداً وبين فساد أمر الإسلام! أترى لو أن قائلاً قال: إن علم الله تعالى لو لم يكن له إلا باب واحد (وهو النبي) فإنه يفسد أمر الهداية؟ بل نحن نلاحظ أن هذا الحديث فيه سدُّ للأبواب الناقصة التي لا يبلغ أصحابها منزلة باب النبي ووراث علمه! وهو في الجانب العلمي والمعنوي مشابه لما هو في الواقع الخارجي من سد النبي أبواب الصحابة كلهم، وإبقاء باب علي على المسجد، وقد تعرضنا لذلك في كتابنا عن أمير المؤمنين عليه السلام.

(2) لمن أراد معرفة سيرة السيد حامد حسين النقوي، وما جاء في كتابه (عبقات الأنوار) وهو موسوعة عظيمة، يمكن أن يرجع لكتابنا: من أعلام الإمامية.

ومن ذكره في مصنفه، وقد اختصره آية الله الميلاني في ما يزيد على 418 صفحة، فليرجع إليه من أراد التفصيل.

وما عُرف عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) من علم، بحيث كان يقول: «سلوني قبل أن تفقدوني» فإنما كان رشة من علم رسول الله ﷺ، وثمرة تعليمه، فقد نقل في مصادر مدرسة الخلفاء عن علي (عليه السلام)، وقد سئل إنه لماذا كان أكثرهم حديثاً؟ فقال: «كنتُ إذا سألتُ رسول الله ﷺ أعطاني وإذا سكتُ ابتداني»⁽¹⁾ وأما مفصله فقد ذكره الكليني في حديث طويل جاء فيه «وكنت إذا سألتُه أجابني، وإذا سكت وفيت مسائلي ابتداني، فما نزلت على رسول الله ﷺ آية من القرآن إلا أقرأنيها وأملاها عليّ فكتبتها بخطي، وعلمني تأويلها وتفسيرها، وناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، وخاصها وعامها، ودعا الله لي أن يؤتيني فهمها وحفظها، فما نسيت آية من كتاب الله، ولا علماً أملاه عليّ وكتبته منذ دعا الله لي بما دعا، وما ترك شيئاً علمه الله من حلالٍ ولا حرامٍ ولا أمرٍ ولا نهْيٍ كان أو يكون، ولا كتابٍ منزلٍ على أحدٍ قبله في أمرٍ بطاعةٍ أو نهْيٍ عن معصيةٍ إلا علّمني وحفظته فلم أنس

(1) وهذا المقدار هو المختصر المضغوط من حديث طويل، وقد نقل المختصر الحافظ النسائي في السنن الكبرى 5/ 142 والترمذي في السنن 5/ 637 وابن أبي شيبة الكوفي في المصنف 7/ 495 وغيرهم.

حرفاً واحداً، ثم وضع ﷺ يده على صدري ودعا الله لي أن يملأ قلبي علماً وفهماً وحكماً ونوراً⁽¹⁾.

إن كل فضيلة علمية تذكر عن عليّ ﷺ وأولاده الطاهرين هي في حقيقتها فضيلة لرسول الله ﷺ حيث هو الأساس والأصل والمعلم الأول، ولهذا لا غرابة أن يأتي الحديث عن الإمام جعفر الصادق: «حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدي، وحديث جدي حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين ﷺ وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله ﷺ وحديث رسول الله قول الله عز وجل»⁽²⁾. وفي هذا الإطار أيضاً يأتي حديث أمير المؤمنين ﷺ «علمني رسول الله من العلم ألف باب يفتح لي من كل باب ألف باب»⁽³⁾.

(1) الكليني: الكافي 1/ 64.

(2) الكليني: الكافي 1/ 53. وبغض النظر عن سند الحديث الذي رأى بعضهم فيه ضعفاً، فإن مضمونه موجود في عشرات الأحاديث الأخرى، ويوافقه الاعتبار كذلك.

(3) قال ابن شهر اشوب في مناقب آل أبي طالب 2/ 315 بعد أن روى الحديث: «وقد روى أبو جعفر بن بابويه هذا الخبر في الخصال من أربع وعشرين طريقاً، وسعد بن عبد الله في بصائر الدرجات من ستة وستين طريقاً».

وجاء في الكافي 1/ 239 عن أبي بصير قال: دخلت على أبي عبد الله ﷺ فقلت له: جعلت فداك إنني أسألك عن مسألة، ههنا أحد يسمع كلامي؟ قال: فرفع أبو عبد الله ﷺ سترًا بينه وبين بيت آخر فأطلع فيه ثم قال: يا أبا محمد سل عما بدا لك، قال: قلت: جعلت فداك إن شيعتك يتحدثون أن رسول الله ﷺ علم علياً ﷺ باباً يفتح له منه ألف باب؟ قال: فقال: يا أبا محمد علم رسول الله ﷺ علياً ﷺ ألف باب يفتح من كل باب ألف باب.

2 / ألم يعلم رسول الله سائر الصحابة؟

لعل سائلاً يسأل ألم يعلم رسول الله سائر الأصحاب؟ وهل كتم العلم عن من كان يسأله غير عليٍّ؟ والجواب على ذلك: ما أجاب به الإمام محمد الباقر (عليه السلام) من قوله: «إنَّ رسول الله أنال في الناس وأنال وعندنا عرى العلم وأبواب الحكم ومعامل العلم وضياء الأمر وأواخيه»⁽¹⁾، على أنه لا ينكر أن التصاق أمير المؤمنين برسول الله كما تقدم ذكره في الحديث السابق يختلف عن كل أحد، ولذا احتاج من يعتمد مدرسة الخلفاء إلى الآراء الخاصة، والاستحسانات، وما هو شائع عند أهل المدينة وهكذا، في الوقت الذي كانت مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) غنية بإغناء رسول الله إياهم بأصول العلم وأبواب الحكم.

وقد أشار أمير المؤمنين (عليه السلام) في حديث طويل إلى أسباب اختلاف المسلمين في النقل عن رسول الله وبين أن بعضهم قد سمع من رسول الله حكماً ولم يسمع منه ناسخه، أو سمع العام منه ولم يسمع مقيده، فنقل الأول شيئاً ونقل غيره الشيء الآخر وهكذا. هذا فضلاً عن السياسة الخاطئة التي أمرت بعدم تدوين

(1) عطاردي؛ الشيخ عزيز الله مسند الإمام الباقر (عليه السلام) 1 / 429 وقريب منه كلام ابنه الإمام جعفر الصادق (عليه السلام).

حديث النبي بعد وفاته، ومنعت منه بمبررات واهية، وترافق هذا فيما بعد مع موجة وضع الأحاديث التي حصلت في أيام بني أمية ومن تلاهم.

3 / ماذا ترك النبي لأهل بيته؟

كان من الطبيعي أن النبي ﷺ، وهو يوصي أمته بالتمسك بالثقلين وأحدهما كان عترته أهل بيته، ويجعلهم بالتالي مرجعية لهذه الأمة، أن يترك معهم وعندهم ما يؤهلهم للقيام بهذا الدور، فليس الأمر كما هو الحال في الحكومات الوراثية التي يكتفى فيها بالنسب. ولذا فقد ترك عندهم ما عرف: «بكتاب علي» وهو سنة النبي وإملاؤه من فمه المبارك وخط علي بن أبي طالب بيده الكريمة.

إن كتاباً محفوظاً كهذا – والذي سيستشهد به فيما بعد الأئمة كثيراً – سيكون «حلال المشاكل» و«فيصل الحكم» فيما يقال ويروى عن النبي من هنا وهناك! إذ لا يوجد من هو أقرب من علي بن أبي طالب لرسول الله عليهما وآلهما السلام، كما أن كونه مكتوباً ومدوناً يعطيه ميزة في الانحفاظ والبقاء، قد لا تكون موجودة في ما هو محفوظ في الصدور على فرض سلامة المحدث من الرغبة والرغبة! ومن تمادي الزمان، حيث سيمر

نحو قرن من الزمان على حديث النبي ويذهب جيل ويأتي جيل بعده أو أكثر، هذا فضلاً عما ذكرنا آنفاً من الموقف الرسمي الممانع⁽¹⁾.

ويصعب على الباحث تتبع ما تركه رسول الله ﷺ، من العلم والمعرفة لأئمة، فإن جميع المذاهب تتسابق لإثبات أن ما عندها هو «سنة رسول الله؛ قوله وفعله وتقريره» فالمذاهب الفقهية الأربعة بل الخمسة بل السبعة.. كلُّ صاحب مذهب يحاول أن ينسب الأحكام التي يتبناها إلى أنها هي سنة رسول الله أو مستقاة منها.

وهكذا الحال في المذاهب الكلامية المتعددة.

ولا ريب أنه يوجد من سنة رسول الله ﷺ، في هذه المذاهب شطر وافر، وهو الذي عبر عنه حديث الإمامين الباقر والصادق بأن رسول الله أنال وأنال.

4 / هل كان النبي يجتهد في الأحكام؟

لا بدَّ من توضيح كلمة الاجتهاد هنا، فإن كثيراً من سوء الفهم

(1) الكليني: الكافي 1/ المقدمة 4 «إن أول كتاب - في الحديث - ألّف في الإسلام، كتاب علي عليه السلام، أملاه رسول الله ﷺ وخطه علي عليه السلام على صحيفة، فيها كل حلال وحرام. وله كذلك صحيفة في الديات، كان يعلقها بقراب سيفه وقد نقل البخاري منها» وللتفصيل في موضوع كتاب علي راجع البحث الخاص به في كتابنا: باقر العلم؛ الإمام محمد بن علي بن الحسين عليه السلام.

يكون لعدم تحديد المصطلح، فيثبت شخص شيئاً⁽¹⁾ بينما ينفي غيره شيئاً آخر! وهنا حديثنا عن الاجتهاد بمعنى أن النبي قد يعوزه الحكم الواقعي، فيلجأ إلى الاجتهاد وإعمال رأيه فيما لديه من القواعد وينتهي إلى حكم! وهو تماماً ما يفعله المجتهدون في هذا الزمان، فإذا أعوزهم النص الشرعي (لعدم وجوده أو لإجماله أو لتعارضه) فإنهم يعملون قدرتهم الاستنباطية ويصلون إلى رأي يظنون أنه حكم الله في الواقعة المعينة! وهنا قد يصادف اجتهادهم حكم الله الواقعي، وقد يخطئه فلا يصادف حكم الله، لكنهم معذورون في ذلك.

ونسبة الاجتهاد بهذا المعنى للنبي ﷺ، عند الإمامية باطلة ولا تصح أبداً. بل نسبتها إلى الأئمة المعصومين وهم خلفاء النبي باطلة فضلاً عن النبي! وقد أشارت لذلك أحاديث كثيرة عنهم ﷺ ينكرون فيها أن يكونوا يقولون برأيهم! فكيف الحال بالنسبة لرسول الله ﷺ؟

فعن أبي جعفر الباقر (عليه السلام)، قال أبو جعفر: يا جابر، والله لو كنا

(1) مثلما جاء في «موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين» (3/ 1 / 253): «أما اجتهاده عليه الصلاة والسلام، فهو بمنزلة الوحي يجب الوقوف عنده، والإيمان بأنه حكم من لا معقب لحكمه» فهذا غير ما ينفيه آخرون!

نَحَدَّثَ النَّاسَ أَوْ حَدَّثَانَهُمْ بِرَأْيِنَا لَكِنَّا مِنَ الْهَالِكِينَ، وَلَكِنَّا نَحَدِّثُهُمْ بِأَثَارٍ عِنْدَنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، يَتَوَارَثُهَا كَابِرٌ عَنْ كَابِرٍ، نَكْنُزُهَا كَمَا يَكْنُزُ هَؤُلَاءُ ذَهَبَهُمْ وَفَضَّتَهُمْ. ⁽¹⁾

وهذا التقريب معتمد على أن الله نزل على رسوله ﷺ ﴿الْكِتَابَ تَبَيَّنَّا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ ⁽²⁾ من أمور الدين وبرامج الحياة السليمة، وبشكل واضح رواه الحسن بن سماعة عن أبي الحسن موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام)، قال: قلت له: أكلُّ شيء في كتاب الله وسنة نبيه، أو تقولون فيه؟ قال: بل كلُّ شيء في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ. ⁽³⁾

وأما قضية إعمال الرأي فكما جاء في خبر قتيبة، قال: سأل رجل أبا عبد الله عن مسألة فأجابه فيها، فقال الرجل: رأيت إن كان كذا وكذا ما يكون القول فيها؟ فقال له: «مه، ما أجبتك فيه من شيء فهو عن رسول الله، لسنا من: رأيت، في شيء» ⁽⁴⁾ وقريب منه خبر عنبسة.

(1) البروجردي؛ السيد حسين: جامع أحاديث الشيعة 1/ 39.

(2) النحل: 89.

(3) وقد تعرض الشيخ محمد جعفر الطوسي في كتابه: تمسك العترة الطاهرة بالقرآن الكريم إلى (774) آية وردت في أحاديثهم ﷺ وقد استدلووا بها على الأحكام الشرعية.

(4) الكليني: الكافي 1/ 106.

إذن: المعروف عن الإمامية أنهم يمنعون الاجتهاد بالمعنى المتقدم عن الأئمة الاثني عشر، فضلاً عن سيدهم رسول الله ﷺ. وأما في مدرسة الخلفاء فالمعروف عنهم هو خلاف ذلك، وهو الذي أشار إليه صاحب اللمع فقال: «كان يجوز لرسول الله ﷺ أن يحكم في الحوادث بالاجتهاد ومن أصحابنا من قال: ما كان له ذلك. لنا: هو أنه إذا جاز لغيره من العلماء الحكم بالاجتهاد فلا أن يجوز للرسول ﷺ وهو أكمل اجتهاداً أولى.

وقد كان الخطأ جائزاً عليه إلا أنه لا يُقرّ عليه ومن أصحابنا من قال ما كان يجوز عليه الخطأ وهذا خطأ لقوله تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾⁽¹⁾ فدل على أنه أخطأ ولأن من جاز عليه السهو والنسيان جاز عليه الخطأ كغيره». ⁽²⁾

ونحن لسنا في مقام مناقشة هذه الفكرة الخاطئة، ولكن بشكل سريع يقال: إن مركز اعتماد هذه الفكرة ينتهي إلى عدم عصمة النبي ﷺ، وهو كلام ثبت في علم الكلام بطلانه، ويضاف لذلك

(1) التوبة: 43.

(2) الشيرازي؛ أبو أسحاق: اللمع في أصول الفقه ص134، وأشار إليه من المعاصرين مناع القطان في كتابه تاريخ التشريع الإسلامي ص112 فقال: «وذهب جمهورهم إلى أنه يجوز له الاجتهاد، وأنه يخطئ في اجتهاده ويصيب، ولكنه لا يقر على خطأ. وهذا هو الذي تضافرت النصوص عليه في صور مختلفة».

أنه مع الالتزام بفكرة خطئه صلوات الله عليه وآله - والعياذ بالله - فإن المؤمن يتعارض عنده أمران متضادان بل متناقضان؛ فمن جهة هو مأمور بالأخذ بكل ما جاء به الرسول ﷺ ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾⁽¹⁾ وبإطلاق ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾⁽²⁾ ومن جهة أخرى هو مأمور برد رسول الله حيث أنه بحسب الفرض قد اجتهد وأخطأ ولا ينبغي متابعته في خطئه بل لا بد من الرد عليه ونهيه عما هو سائر فيه! فهل يمكن هذا؟ والحال أن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾⁽³⁾!

وأظن - والله العالم - أن علماء مدرسة الخلفاء عندما رأوا اعتراضات بعض الصحابة الكبار على رسول الله ﷺ في مواقف متعددة، فكان المخرج فيها هذا، أن ينزه الصحابة هؤلاء بالقول بأن ما اعترضوا به على الرسول كان لأجل اجتهد الخاطيء!!

(1) الحشر: 7 . قال بعضهم بأن الآية واردة في باب الغنائم، والمقصود أن ما أعطاكم الرسول من الغنيمة فاقبلوه، وما منعكم عنه فانتهاوا! وجوابه: أنه ما الميزة للنبي محمد في ذلك؟ فقد أعطى لسليمان مثلاً في قوله تعالى: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [ص: 39] بل الميزة هي لسليمان هنا بلحاظ سعة ملكه الذي لا ينبغي لأحد من بعده! ومن العجيب أن يلتزم القائل بأنه يلزم على من أعطاه رسول الله شيئاً أن يقبله، وأن يتمتع عما نهاه عنه.. في دراهم معدودة، لكن لا يلزم ذلك في أصول الدين وأحكام الشريعة!!

(2) النساء: 80.

(3) النساء: 64.

ويبدو كذلك أن أصل الفكرة هي قادمة من ممارسة أولئك الصحابة الذين كانوا يعتبرون رسول الله بشراً يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، ويأتيه الوحي بعض الأحيان لمهمات محددة، وأما سائر الشؤون ففيها قد «يغضب فيضرب، ويشتم، ويهجر، ويجامل فيمدح..» ولذلك لم يكن لديهم مانع أن يغيروا كثيراً مما جاء به من سنن وأحكام لأنها اجتهادات شخصية لزمن محدد، وبإمكانهم أن ينقضوها⁽¹⁾ باجتهاد أفضل!

5 / النبي أميٌّ أو أعلم خلق الله؟

ذهب غير الإمامية إلى أن النبي محمداً ﷺ؛ أميٌّ لا يعرف القراءة ولا الكتابة، قبل البعثة وحينها وإلى وفاته!

وأما الإمامية فالمشهور بينهم⁽²⁾ على أن النبي ﷺ، لم يكن أمياً وإنما كان لا يمارس الكتابة والقراءة، لكيلا يُتَّهم بأن ما جاء به هو من كتب السابقين. فلأجل هذا الغرض لم يمارس ذلك.

أدلة القائلين بالأمية :

وقد استدلل القائلون بأميته بالمعنى السابق، بما يلي :

-
- (1) للتفصيل يمكن مراجعة كتاب النص والاجتهاد للإمام السيد عبد الحسين شرف الدين.
 (2) ذهب إلى خلاف ذلك المرحوم الشهيد مرتضى المطهري، حيث رأى أن النبي كان أمياً بمعنى أنه لم يكن يعرف القراءة والكتابة وكتب في ذلك كتاباً بعنوان: النبي الأمي.

1/ آيات القرآن الكريم: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَا زَنَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾⁽¹⁾، فإنها بحسب رأيهم تشير إلى أن النبي ما كان يقرأ كتاباً قبل بعثته ولا يكتب، وإلا لو كان كذلك لا تهم بأنه نقل هذه القصص والمعلومات من تلك الكتب، ولكان ما قالوه من تهمة أنه ﴿أَكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾⁽²⁾ أقرب إلى التصديق!

ومنها ما جاء بعنوان «الأمي»⁽³⁾ وصفاً له، وأنه بعث في «الأميين» وهو منهم⁽⁴⁾ ومعنى الأمي في اللغة هو من لا يقرأ ولا يكتب!

2/ ما ذكر في كتب الحديث والسيرة: فمنه ما جاء عنه بحسب مصادر مدرسة الخلفاء من «أنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب»، وينقلون أيضاً بأن النبي عندما نزل عليه جبرئيل أول البعثة، وأمره بالقراءة قال له النبي: «ما أنا بقارئ»⁽⁵⁾

(1) العنكبوت: 48.

(2) الفرقان: 5.

(3) الأعراف: 156 ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوزًا عِنْدَهُمْ﴾ والآية التي بعدها في نفس السورة.

(4) الجمعة: 2 ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾.

(5) صحيح البخاري: 1/ 7.

وهذا يعني أنه أميٌّ حيث نفى عن نفسه القدرة على القراءة! ويضيفون إلى ذلك ما قيل في قضية صلح الحديبية فإنه بعدما تم الاتفاق على المودعة وألا يدخل النبي مكة في عامه ذاك، أمر عليًّا أن يكتب صورة الصلح «فكتب هذا ما قاضى عليه رسول الله، فقالوا: لو علمنا أنك رسول الله لم نمنعك ولا تبعنك، ولكن اكتب: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله، فقال: أنا محمد بن عبد الله، وأنا والله رسول الله، فقال لعليٍّ: امحُ رسول الله، فقال عليٌّ: والله لا أمحوه أبدًا، قال: أرنيه، قال: فأراه إيَّاه، فمحاها النبي بيده..⁽¹⁾

وأشار الشهيد المطهري في كتابه النبي الأمي، إلى أن «من الأمور الواضحة في حياة الرسول الأكرم ﷺ أنه لم يتعلَّم ولم يتلمذ على أحدٍ، ولم يطلع على مقالٍ أو كتاب. ولم يدع له ذلك أي مؤرخ سواء كان مسلمًا أو غير مسلم، لا في دور طفولته أو شبابه ولا بالأحرى في دور الكهولة والشيخوخة وهو دور الرسالة».

مضيفاً «كما أنه لم يذكر أحد أو يعرض سنداً يوضح أنه ﷺ قد قرأ سطرًا واحدًا أو كتب كلمة واحدة قبل عصر البعثة».

(1) صحيح البخاري: 4/ 104.

وانتهى إلى أن «مسألة كتابته حتى في عصر الرسالة منتفية طبق القرائن والإمارات القطعية، أمّا مسألة قراءته في عصر البعثة فلا يمكن نفيها جزماً، وإن كنا لا نملك دليلاً قطعياً على قراءته فيه، بل تخالف ذلك أكثر القرائن...»⁽¹⁾

3/ اعتبر علماء مدرسة الخلفاء أن كونه أُمياً مع إتيانه بهذه العلوم والمعارف هو أنسب بالإعجاز! بحيث يجتمع فيه هذان الجانبان المتخالفان، فمن جهة هو أُميٌّ لا يقرأ ولا يكتب ومن جهة أخرى يكون على هذا المستوى من العلم بتاريخ الرسل والديانات، وأحوال البشر، والتشريعات والأخلاق ويأتي بها عن الله عز وجل.. فهذا أقرب إلى المعجزة وأنسب بتصديق كونه يؤدي عن الله سبحانه.

أدلة القائلين بكونه غير أُميٍّ:

وهم أكثرية الإمامية – وأفراد محدودون من مدرسة الخلفاء، فيستدلون بما يلي:

أولاً: بأن الآية المباركة وهي العمدة في الاستدلال ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَأَزْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾⁽²⁾

(1) مطهري؛ مرتضى: النبي الأُمي 21 نسخة الكترونية على موقع شبكة الإمامين الحسينين.

(2) العنكبوت: 48.

لا تنفع الفريق الأول، فإن غاية ما تقول إنه (لم يكن يفعل ذلك) لم يكن يقرأ كتاباً، ولا يخط بيمينه وهذا أعم من أن يكون أمياً فقد لا يقرأ لأنه لا يستطيع، أو أنه لم يقرأ لسبب آخر، مثلما يقول إنسان إن فلاناً لم يُقدِّ سيارة في حياته فهذا قد يكون بسبب عدم معرفته بالسياسة، أو بسبب صحي، أو لعدم امتلاكه السيارة، أو لسبب غير ذلك. وما نحن فيه هو من هذا القبيل، فما كان النبي يتلو كتاباً.. لماذا؟ قد بين القرآن السبب وهو أنه لأجل أن تسقط اتهامات الكفار بأن النبي «سرق» هذه المعلومات من كتب آخر. مع ملاحظة أن الفعل «تتلو» غالباً ما يأتي في قراءة الكتب المقدسة، وليس في مطلق القراءة! يعني أنك لم تكن تتلو الكتب السماوية السابقة، لأنك لو كنت تتلوها لجاء الاتهام لك بأنك ناقلٌ عنها!

وثانياً: بأن ما استدلوأ به من وصف النبي بأنه الأميُّ، وبأنه بعث في الأميين وهو منهم.. فيه احتمالان:

الأول ما ذكر من أن الوصف يشير إلى عدم القدرة على القراءة والكتابة، والثاني: هو أنه منسوب لأُم القرى، مثلما تنسب لعبد القيس فتقول فلان العبدى. ومن المعروف أن مكة هي أم

القرى. ⁽¹⁾ وكان اليهود يسمون العرب القاطنين في مكة بالأُميين إما للنسبة إلى البلد، أو لأنهم يعتبرون كل من لا يملك كتاباً سماوياً فهو أُميٌّ، ولا ربط لذلك بالتالي بمسألة القراءة والكتابة.

وثالثاً: أن الفريق الأول يتمسكون بكل لفظ يشير - من قريب أو بعيد - إلى الأُمية، ويتجاهلون أو يردون ألفاظاً آخر قد تكون أوضح دلالة، أو مساوية في دلالتها، فمثلاً تراهم يتمسكون بظاهر الآيتين مع احتمالهما لمعان آخر، بينما يهملون مثلاً دلالة «آتوني بدواة وكتبك أكتب لكم» فيفسرونها بأن المقصود أمر من يكتب! مع وضوحها في المباشرة! وفي صحيح البخاري وغيره كلمات متخالفة المعنى أخذوا منها ما أرادوا وتركوا ما يقابلها مثل ما جاء في قضية الحديدية، لما امتنع الإمام علي عن مسح وصف الرسالة عن رسول الله كما طلب منه سهيل بن عمرو «فأخذ النبي الكتاب وليس يحسن أن يكتب فكتب مكان رسول الله؛ محمد بن عبد الله فركزوا على جملة «وليس يحسن أن يكتب» وتركوا جملة «فكتب مكان رسول الله..» ⁽²⁾

(1) ﴿وَلَنُنَزِّلُ آثَمَ الْقُرْآنِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الأنعام: 92].

(2) مسند أحمد 30 / 594: أقول: ولذلك وقع شراح هذا الحديث في حيص ويص في كيفية التوفيق بين الجملتين، والعجب أن بعضهم قال: إن الله أجرى على يده بأن كتب بالقلم وهو غير عالم بما كتب!

ورابعًا: نتساءل ما هو السر الذي يجعل النبي لا يعرف القراءة والكتابة من بداية عمره إلى نهاية عمره الشريف، ويعجز أن يمتلك هذه القدرة خلال 63 سنة؟ وهو الذي أمر زيد بن ثابت أن يتعلم السريانية وهي لغة اجنبية بالنسبة للعرب، فأتقنها زيد في أسبوعين (نصف شهر) ورسول الله الذي ما خلق الله خلقًا أكمل منه يبقى مع هذا النقص! إذ لا ريب أن الأمية وعدم امتلاك القدرة على القراءة والكتابة (من حيث هي) تعد نقصًا، وأن من يمتلكها هو أكثر كمالًا ممن يفتقدها! فما هو السر الذي يجعل النبي لا يتمكن من قدرة القراءة والكتابة ولا يستطيعها إلى آخر عمره؟ لا نفهم لذلك معنى واضحًا! وأما حكاية تطرق التهمة لرسالته وارتباب المبطلين فيكفي فيه أن لا يمارس تلك من أول عمره ولا يعرف عنه أنه كان يتلو الكتب!

وخامسًا: وهذا الجواب خاص بالمؤمنين بمدرسة أهل البيت فإن الروايات الكثيرة التي تصرح بأنه لم يكن أميًا بمعنى عدم القراءة والكتابة، تنفي موضوع الأمية تمامًا، فمن جهة يُتَعَجَّب في الروايات من هذا القول، مع ملاحظة أن النبي هو معلم البشر! ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾⁽¹⁾، وتصدم بعض الناظر

(1) الجمعة: 2.

بصراحتها وصرامتها القوية في تكذيب القول المذكور، قائلة:
كذبوا!

وسنقل عدة روايات من مصادر الإمامية، تفيد أن نسبة الأمية للرسول الأكرم ﷺ، خاطئة تماماً ويحق لنا أن نتعجب هنا من عدم تعرض المرحوم المطهري لهذه الروايات أصلاً مع إقرارنا بأن قسمًا منها من حيث السند لا يتم، ولكن اعتماد الفقهاء عليها واشتهارها جدًّا لا سيما الرواية الأولى عن الإمام الجواد عليه السلام وكونها معللة ينفع في التمسك بها. وقد جمع هذه الروايات العلامة الشيخ الأحمدي رحمه الله تعالى في كتابه مكاتيب الرسول:

1 - ما رواه الصدوق رحمه الله في العلل بإسناده عن أبي جعفر الجواد عليه السلام: قال الراوي قلت: يا بن رسول الله لم سمي النبي الأمي؟ فقال: ما يقول الناس؟ قلت: يزعمون أنه إنما سمي الأمي، لأنه لم يحسن أن يكتب!

فقال عليه السلام: كذبوا عليهم لعنة الله، أنى ذلك والله يقول في محكم كتابه: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾⁽¹⁾ فكيف كان يعلمهم ما لا

(1) الجمعة: 2.

يحسن؟ والله لقد كان رسول الله ﷺ يقرأ ويكتب باثنين وسبعين أو قال بثلاثة وسبعين لساناً، وإنما سمي الأمي، لأنه كان من أهل مكة، ومكة من أمهات القرى، وذلك قول الله عز وجل: ﴿وَلَنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾⁽¹⁾.

2 - وبإسناده عن علي بن حسان عن علي بن أسباط وغيره رفعه عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت: إن الناس يزعمون أن رسول الله ﷺ لم يكتب ولا يقرأ، فقال: كذبوا لعنهم الله، أنى يكون ذلك وقد قال الله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾⁽²⁾ فكيف يعلمهم الكتاب والحكمة وليس يحسن أن يقرأ ويكتب؟ قال: قلت: فلم سمي النبي الأمي؟ قال: لأنه نسب إلى مكة وهو قول الله عز وجل: ﴿وَلَنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ فأم القرى مكة، فقليل أمي لذلك.

3 - وعن أحمد بن محمد بن أبي نصر عن بعض أصحابه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان مما من الله عز وجل على رسول الله ﷺ أنه كان يقرأ ولا يكتب، فلما توجه أبو سفيان

(1) الأنعام: 92.

(2) الجمعة: 2.

إلى أحد كتب العباس إلى النبي ﷺ فجاءه الكتاب وهو في بعض حيطان المدينة، فقرأه ولم يخبر أصحابه وأمرهم أن يدخلوا المدينة، فلما دخلوا المدينة أخبرهم».

4 - عن عبد الرحمن بن الحجاج قال: «قال أبو عبد الله عليه السلام: إن النبي ﷺ كان يقرأ ويكتب ويقرأ ما لم يكتب»⁽¹⁾.

وخامساً: بالطبع هذا لا يعني - بالضرورة - أنه جلس إلى معلم أو أخذ ذلك عن كتاب، وإنما كما علمه الله سبحانه ما شاء من العلوم والمعارف حتى أحاط به من غير وسيلة ولا زمان فإنه قد علمه هذا الأمر. فقد يكون كما أخبر أمير المؤمنين عليه السلام بأنه «قرن الله به ﷺ من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره»⁽²⁾ وهذا المعنى يكفي في فهم ما جاء عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام في مناظرته مع اليهود من أنه ﷺ «ومن آياته أنه كان يتيمًا فقيرًا راعيًا أجيرًا لم يتعلم كتابًا ولم يختلف إلى معلم، ثم جاء بالقرآن الذي فيه قصص الأنبياء ﷺ وأخبارهم حرفًا حرفًا،

(1) الأحمدي الميانجي؛ علي: مكاتيب الرسول 1 / 95.

(2) الشريف الرضي؛ محمد بن الحسين الموسوي: نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، ص 300.

وأخبار من مضى ومن بقي إلى يوم القيامة.»⁽¹⁾ نعم هو لم
يختلف إلى معلم ولم يتعلم كتابًا وإنما كان علمه إفاضة من الله
عز وجل.

(1) ابن بابويه؛ الصدوق: التوحيد ص 430.

خيط نور من شمس علمه

يصعب علينا في هذا المقام أن نتناول مفردات علم رسول الله كعناوين، فإن ذلك يعني أن نأتي بكل ما صح عندنا من أحاديث رويت عن رسول الله ﷺ في مختلف أبواب العلم؛ بدءاً من قضايا العقائد ومعرفة الله وصفاته وأسمائه، وخلق الكون، وأحوال الأنبياء والرسل، وطريقة الحياة السليمة، والأخلاق الفاضلة. وذلك يعني أن نستشهد بكل ما جاء عن المعصومين الثلاثة عشر عليه السلام حيث أن لسان كل واحد منهم يقول، بأن حديثه ينتهي لحديث رسول الله ﷺ.

وقد جمع المرحوم الشيخ محمد محمدي الري شهري ما تيسر له من أحاديث وحكم رسول الله ﷺ، وأخرجه في مجلدات سبعة،⁽¹⁾ وجاء فيها بـ (12025 حديثاً) فمن أراد أن يرتع

(1) الري شهري؛ محمد: كتاب حكم النبي الأعظم ﷺ.

في تلك الحديقة الغناء والجنة الفيحاء فليرجع إليه، وهنا سوف نذكر بعض العناوين ونشير إلى ما قاله رسول الله ﷺ فيها:

وصايا النبي وخطبه

مما يؤسف له أن خطب رسول الله ﷺ في غالبها، غير موجودة بين المسلمين! فإن صلاة الجمعة تحتوي على خطبتين قبل الصلاة، وقد صلاها النبي أول ما وصل المدينة، وإن كانت بعض الروايات تشير إلى أنه أمر مصعب بن عمير بصلاتها قبل وصول النبي للمدينة، فمعنى ذلك أنه ﷺ قد أقام الجمعة إلى حين وفاته نحو عشر سنين، وفي كل سنة خمسون جمعة، وفي كل جمعة خطبتان فينبغي أن يكون النبي ﷺ، قد خطب خلال هذه الفترة حوالي 1000 (ألف خطبة).. فأين ذهبت هذه الخطب والتوجيهات؟ قد لا نجد ربع هذه الخطب في مصادر المسلمين، ولعل للقرار الرسمي من الخلافة بعد النبي بمنع التدوين والتحديث كان السبب الرئيس في اختفاء هذه الخطب و«تبخرها».

لكن الباقي والمنقول في الكتب من وصاياه، يكشف عن قيامه ﷺ بالتوجيه الخاص وما يطلق عليه بالتربية الفردية لأصحابه، بالإضافة إلى توجيه العام للمسلمين، ويصلح الأمران للتربية الأخلاقية والدينية للمسلمين في كل الأزمنة. حيث أن

المناسبة التي قيلت فيها هذه الوصايا أو تلك الخطب ليست مقيدة لها بتاريخها زماناً ولا لجغرافيتها أو أشخاصها.

فمن وصاياه ﷺ :

- وصاياه لأمر المؤمنين علي (عليه السلام)، وهي سبع وصايا تقع في نحو 27 صفحة كما نقلها العلامة المجلسي في البحار، وكل واحدة منها تستحق أن تشرح شرحاً مفصلاً. لا سيما الثالثة وهي طويلة جداً، تحتوي على إعلاء منزلة العقل، وبيان فضله وبماذا خاطبه الله أول ما خلقه! كما أن فيها الكثير من الأحكام الشرعية نحو ما الذي عفي عن المرأة فيه بينما هو مفروض (وجوباً أو استحباباً) على الرجل، وفيها توجيهات أخلاقية أشبه بخارطة طريق للحياة الصحيحة، يعدد فيها الخصال التي يسعد أو يشقى بها الإنسان، ويختتمها النبي ﷺ بما اختص الله سبحانه وتعالى به علياً، وفي أي الأماكن كان اسم علي (عليه السلام) مقروناً باسم النبي، ثم يقول له: «يا علي إن الله تبارك وتعالى أعطاني فيك سبع خصال: أنت أول من ينشق عنه القبر معي، وأنت أول من يقف على الصراط معي، وأنت أول من يكسى إذا كسيت ويحيى إذا حييت، وأنت أول من يسكن معي عليين، وأنت أول من يشرب معي من الرحيق المختوم الذي ختامه مسك.»⁽¹⁾

(1) المجلسي: بحار الأنوار 77 / 62.

ويظهر من نهاية هذه الوصية أن سلمان الفارسي وأبا ذر الغفاري كانا يستمعان لرسول الله، حيث خاطبهما فيها.

وصاياه لأبي ذر الغفاري، والموجود منها اثنتان، روى أولاهما الشيخ الطوسي في كتابه الأمالي بسنده عن أبي الأسود الدؤلي قال: قدمت الربذة فدخلت على أبي ذر جندب بن جنادة فحدثني أبو ذر، قال: دخلت ذات يوم في صدر نهاره على رسول الله ﷺ في مسجده، فلم أر في المسجد أحداً من الناس إلا رسول الله ﷺ وعليه عليه السلام إلى جانبه جالس، فاغتنمت خلوة المسجد، فقلت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي! أوصني بوصية ينفعني الله بها. فقال: «نعم وأكرم بك يا أبا ذر، إنك منا أهل البيت، وإنني موصيك بوصية إذا حفظتها فإنها جامعة لطرق الخير وسبله، فإنك إن حفظتها كان لك بها كِفْلان...»⁽¹⁾.

والأخرى وصيته ﷺ إليه، فقد قال أبو ذر - رحمه الله -: ودخلت يوماً على رسول الله ﷺ وهو في المسجد جالس وحده، فاغتنمت وحدته فقال: يا أبا ذر، إن للمسجد تحية. قلت: وما تحيته، يا رسول الله؟ قال: ركعتان تركعهما. ثم التفت إليه

(1) الطوسي؛ محمد بن الحسن: الأمالي 557، وقد ذكرنا شرحاً مختصراً لما جاء فيها في ضمن ترجمة أبي ذر الغفاري وشرح مواقفه في كتابنا: أصحاب النبي محمد ﷺ.

فقلت: يا رسول الله، أمرتني بالصلاة، فما الصلاة؟ قال: خير موضوع، فمن شاء أقل، ومن شاء أكثر.

قلت. يا رسول الله، أي الأعمال أحبُّ إلى الله - عز وجل - قال: الإيمان بالله، ثم الجهاد في سبيله. قلت: يا رسول الله، أي المؤمنين أكملهم إيماناً؟ قال: أحسنهم خلقاً. قلت: فأَي المؤمنين أفضل؟ قال: من سلم المسلمون من يده ولسانه. قلت: أَي الهجرة أفضل؟ قال: من هجر السوء. قلت: فأَي الليل أفضل؟ قال: جوف الليل الغابر. قلت: فأَي الصلاة أفضل؟ قال: طول القنوت. قلت: فأَي الصدقة أفضل؟ قال: جهد من مقلَّ إلى فقير في سر..⁽¹⁾

- ووصيته عليه السلام لعبد الله بن مسعود: والتي يقول في مقدمتها: دخلت أنا وخمسة رهط من أصحابنا يوماً على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد أصابتنا مجاعة شديدة ولم يكن ذقنا منذ أربعة أشهر إلا الماء واللبن وورق الشجر، قلنا: يا رسول الله إلى متى نحن على هذه المجاعة الشديدة؟ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لا تزالون فيها ما عشتُم فأحدثوا لله شكرًا فإنني قرأت كتاب الله الذي أنزل عليَّ وعلى من كان قبلي فما وجدت من يدخلون الجنة إلا الصابرون..

(1) الطوسي؛ محمد بن الحسن: الأمالي ص 539.

ثم استرسل رسول الله ﷺ في ذكر ما ينفع ابن مسعود ومن معه في الصبر على الشدة التي يمرون بها، وذكرهم بتاريخ أنبياء الله ورسله، وزهدهم، ومدى صبرهم على الشدائد؛ ثم يبين في تلك الوصية كيف سينتهي الأمر بالخطوط المنحرفة في داخل الأمة إلى تزيف الدين وتشويه أحكامه وعقائده، والموقف الذي ينبغي اتخاذه منهم، فيقول: «يا بن مسعود يأتي على الناس زمان الصابر على دينه مثل القابض على الجمرة بكفه. يقول لذلك الزمان إن كان في ذلك الزمان ذئبًا وإلا أكلته الذئب. يا بن مسعود علماؤهم وفقهاؤهم خونة، فجرة، ألا إنهم أشرار خلق الله وكذلك أتباعهم ومن يأتيهم ويأخذ منهم ويحبهم ويجالسهم ويشاورهم أشرار خلق الله، يدخلهم نار جهنم».

- وله وصايا أخر أوصى بها أبا أيوب الأنصاري (خالد بن زيد) وقيس بن عاصم، وعبد الله بن عمر، وغيرهم.

توجيهات في الخريطة العامة للحياة السليمة :

نجد في هذا العنوان عددًا كبير من الأحاديث،⁽¹⁾ منها:

(1) تمت الاستفادة في هذا العنوان مما جمع في «أحكام العبادات» للمرجع الديني السيد محمد تقي المدرسي حفظه الله.

1/ رَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ: الْإِسْلَامُ عُرْيَانٌ فَلِبَاسُهُ الْحَيَاءُ وَزِينَتُهُ الْوَفَاءُ وَمُرُوءَتُهُ الْعَمَلُ الصَّالِحُ وَعِمَادُهُ الْوَرَعُ وَلِكُلِّ شَيْءٍ أَسَاسٌ وَأَسَاسُ الْإِسْلَامِ حُبُّنَا أَهْلَ الْبَيْتِ.

2/ وَقَالَ: ثَلَاثٌ أَخَافُهُنَّ بَعْدِي عَلَى أُمَّتِي: الضَّلَالَةُ بَعْدَ الْمَعْرِفَةِ؛ وَمَضَلَّاتُ الْفِتَنِ؛ وَشَهْوَةُ الْبَطْنِ وَالْفَرْجِ.

3/ وَقَالَ ﷺ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْحَيَّيَّ الْحَلِيمَ الْعَفِيفَ الْمُتَعَفِّفَ.

4/ وَقَالَ لِأَعْرَابِي جَاءَ إِلَيْهِ ﷺ وَسَأَلَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَّمَنِي عَمَلًا أَدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةَ؟ فَقَالَ ﷺ: مَا أَحْبَبْتَ أَنْ يَأْتِيَهُ النَّاسُ إِلَيْكَ فَأَتَهُ إِلَيْهِمْ، وَمَا كَرِهْتَ أَنْ يَأْتِيَهُ النَّاسُ إِلَيْكَ فَلَا تَأْتِهِ إِلَيْهِمْ.

5/ وَقَالَ ﷺ: مِنْ عَلَامَاتِ الشَّقَاءِ جُمُودُ الْعَيْنِ وَقَسْوَةُ الْقَلْبِ وَشِدَّةُ الْحِرْصِ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا وَالْإِضْرَارُ عَلَى الذَّنْبِ.

6/ وَقَالَ: إِنَّ أَوَّلَ مَا عُصِيَ اللَّهُ بِهِ سِتَّةٌ: حُبُّ الدُّنْيَا، وَحُبُّ الرِّئَاسَةِ، وَحُبُّ الطَّعَامِ، وَحُبُّ النَّوْمِ، وَحُبُّ الرَّاحَةِ، وَحُبُّ النِّسَاءِ.

7/ وَقَالَ ﷺ: أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ فِي نُورِ اللَّهِ الْأَعْظَمِ: مَنْ كَانَ عِصْمَةً أَمْرِهِ شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَمَنْ إِذَا أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ قَالَ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَمَنْ إِذَا أَصَابَ

خَيْرًا قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَمَنْ إِذَا أَصَابَ خَطِيئَةً
قَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ.

8/ وَقَالَ ﷺ: إِنِّي لَعَنْتُ سَبْعًا لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَكُلُّ نَبِيٍّ مُجَابٍ. قِيلَ:
وَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الزَّائِدُ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَالْمُكَذِّبُ
بِقَدْرِ اللَّهِ، وَالْمُخَالِفُ لِسُنَّتِي وَالْمُسْتَحِلُّ مِنْ عِزَّتِي مَا حَرَّمَ
اللَّهُ وَالْمُسَلِّطُ بِالْجَبَرُوتِ لِيُعْزَّ مَنْ أَدَّلَ اللَّهُ وَيُذِلَّ مَنْ أَعَزَّ اللَّهُ
وَالْمُسْتَأْثِرُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِفَيْئِهِمْ مُتَّحِلًا لَهُ وَالْمُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ
اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

9/ وَقَالَ: مَنْ أَصْبَحَ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ آمِنًا فِي سَرِيرِهِ عِنْدَهُ قُوَّةٌ
يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا خَيْرَتْ (حيزت) لَهُ الدُّنْيَا، وَقَالَ: عَلَيْكُمْ بِحُسْنِ
الْخُلُقِ، فَإِنَّ حُسْنَ الْخُلُقِ فِي الْجَنَّةِ لَا مَحَالَةَ، وَإِيَّاكُمْ وَسُوءَ
الْخُلُقِ، فَإِنَّ سُوءَ الْخُلُقِ فِي النَّارِ لَا مَحَالَةَ.

قواعد وأصول نبوية لاستنباط الأحكام

حيث أن الوقائع المستجدة وقضايا الحياة لا تنتهي، ولأن
المسلم يحتاج إلى حكم الله سبحانه فيها، فقد ترك رسول الله ﷺ
لعترته وأمته، قواعد وأصولاً يستطيع العلماء المتخصصون
استكشاف أحكام الله تعالى من خلالها.

فبالإضافة إلى ما ترك من كتاب الله وعترته أهل بيته، لدلالاتهما على الخط الإلهي العام، فقد ترك قواعد يستنبط منها الأحكام الشرعية التفصيلية؛ ونحن ذاكرون بعضها في هذا العنوان:

1/ فمنها قوله صلى الله عليه وآله: «البينة على من ادعى واليمين على من أنكر»⁽¹⁾ وهذه القاعدة مفتاح مهم في معرفة المطلوب من المتداعين في القضايا، وباب مهم في مسائل القضاء.

2/ ومنها قوله صلى الله عليه وآله قال: «الولد للفراش وللعاهر الحجر» ومعناها أنه لو ولد مولود لامرأة متزوجة بشكل شرعي وكان ممكناً أن ينسب إلى صاحب الفراش وهو زوجها، فإنه ينسب إليه، ولو ادعى مدع أنه زنى بتلك المرأة وأن المولود له، فلا شيء له سوى الحجر، وقيل أن الحجر بمعنى أنه لا شيء له، بل قيل إنَّ ما يستحقه هو العقوبة والرجم بالأحجار!

3/ ومنها قول رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «لا ضرر ولا ضرار» في القصة المعروفة بين سمرة بن جندب وبين الأنصاري، وقد كتب العلماء دراسات استدلالية موسعة في مؤدى هذه القاعدة، مع أنها لا تتجاوز أربع كلمات، وربما أضيف إليها

(1) صحيحة هشام عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: البينة على من ادعى واليمين على من ادعى عليه».

كلمتا «في الإسلام». ومعناها «الحكم الضرري في الشريعة المقدسة، وذلك امتناناً على العباد، فعليه كل عبادة أو معاملة كان مستلزماً للضرر ينتفي امتناناً للمكلف، كما إذا كان الوضوء أو البيع مثلاً موجباً للضرر فعندئذ يرتفع وجوب الوضوء وينفسخ البيع، لعدم جعل الحكم الضرري في الإسلام»⁽¹⁾.

4/ ومنها قوله ﷺ: «الإسلام يُجِبُّ ما قبله»⁽²⁾ أن الإسلام يُسْقِطُ عن الكافر الذي أسلم، خطاياهُ (في حق الله) مثلما لو ارتكب ذنباً قبل إسلامه كشرب الخمر والزنا فإنه لا يعاقب بحدودها بعد إسلامه، هذا دون المعاملات وحقوق الناس، فإن معاملاته السابقة لا يُسْقِطُهَا الإسلام ولا تسقط حقوق الناس.

5/ ومنها قوله ﷺ: «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب»⁽³⁾ فإن ما جاء في القرآن الكريم من قوله تعالى: ﴿وَأُمَّهَاتُكُمْ

(1) المصطفوي؛ السيد محمد كاظم: القواعد الفقهية 1/ 243.

(2) الأحسائي، ابن أبي جمهور: عوالي اللآلي 2/ 54، والألباني، محمد ناصر: إرواء الغليل 5/ 121.

(3) الطوسي؛ محمد بن الحسن: الاستبصار 4/ 18.

الَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوْتُكُمْ مِنَ الرِّضْعَةِ ﴿١﴾ ظاهره أن الحرمة خاصة بالمرتضع والمرضعة (ضمن شروط ذكرت في السُّنَّة والحديث)، لكن هذا الحديث الشريف يوسع الدائرة ليساوي بين العلاقة الرضاعية والنسبية، فكما تحرم الأم الرضاعية على المرتضع، فكذلك تحرم عليه أخته من الرضاعة وعمته وخالته وجدته وهكذا. وكذلك يحرم على المرتضعة أبوها الرضاعي (زوج مرضعتها ويسمى صاحب اللبن) وأبنائه (وهم إخوتها من الرضاعة) وإخوته (وهم أعمامها) وهكذا.

6/ ومنها قوله ﷺ: «من أحيأ أرضاً مواتاً فهي له» (2) ومعناها: أن الأراضي التي لا مالك لها، وهي موات (ليس عليها بناء أو زرع) فقد أذن الشرع المقدس بأن يملكها - ضمن شروط معينة - من يحييها فيستزرعها أو يعمرها. وهذه القاعدة من أفضل أنحاء إعمار الأرض وإغناء البشر. وبها وبمثلها ينتفي الفقر من الإنسانية. فإن من العجيب أن مساحة الكرة الأرضية تكفي لأضعاف سكانها (غذاء ولباساً وسكناً) ولكننا مع ذلك

(1) النساء: 23.

(2) الطوسي: تهذيب الأحكام 7/ 152. والطبراني: المعجم الأوسط 4/ 247.

نجد الشكوى في كل مكان من عدم وجود المسكن، ومن تفشي الفقر المؤدي إلى الجريمة.. وقد جرب هذا الإنسان الأنظمة الاشتراكية فزادته فقرًا ولم يكن حاله مع الأنظمة الرأسمالية إلا أسوأ. وأصبحت هذه الأرض التي خلقها الله للناس! أغلى شيء ولا يمكن الحصول عليه إلا بإنفاق العمر كاملاً، وإتلاف الصحة!

وفي المقابل هذا نظام كامل في الإحياء الزراعي والعمراني، يقضي بأن «من أحيأ أرضاً مواتاً فهي له» ونتيجته أن تعمّر الصحاري وتزرع وأن يغنى المحتاجون الجادون.

7/ وقال ﷺ: «لَا يَحِلُّ مَالُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا عَنْ طِيبِ نَفْسِهِ»⁽¹⁾ وبذلك يكون قد ألغى كل المعاملات التي تقوم على أساس الإجبار وعدم الاختيار، فضلاً عن الغصب، وتنفع في عدم الاعتراف بما سموه شرعية الأمر الواقع. فما دام لم يكن ذلك بطيبة نفس فلا يحل ذلك المال، بيتاً كان أو مزرعة أو سيارة أو نقداً. أو وطنًا ولا تنفع قرارات الحكومات أو أهل القوة في جعله حلالاً، وإن تطاول الزمان.

(1) الأحسائي: عوالي اللثالي 2/ 113.

8/ وقال ﷺ: «الصلح جائز بين المسلمين إلا صلحًا أحل حرامًا أو حرم حلالًا» وهذا باب من أوسع أبواب الإصلاح المجتمعي، فإن المتداعين إذا أراد كل واحد منهم إثبات حقه بالدقة الكاملة قد لا يتيسر له لنقص في الأدلة والمعلومات، ونتيجة ذلك من الممكن أن تعطل حقوق ذوي الحقوق، وتبقى المشاحنات والعداوات إلى ما لا نهاية، فقرر سيدنا رسول الله ﷺ أن التصالح طريق سالك، وأمر جائز ونافذ بين المتداعين، فبإمكانهم أن يتصالحوا على حل - بغض النظر إن كان بمقدار حق أحدهم أو أقل أو أكثر- وهكذا بإمكان الزوجين أن يتصالحا على شيء، من أجل استمرار الحياة الزوجية بينهما، سواء كان عطاءً أو كان تنازلاً عن أحد الحقوق الثابتة، ولا مانع في ذلك. وهكذا لو استدان منه شيئاً واختلفا على المقدار ولم يستطع أي منهما أن يثبت المقدار الذي يقول، فبالإمكان اللجوء إلى التصالح على مبلغ يرضيان به، سواء كان أكثر أو أقل.. ففتح بهذا القانون باباً واسعاً من أبواب الصلح الاجتماعي بين الناس.

نعم لو كان يؤدي إلى تحليل الحرام أو تحريم الحلال، فإنه لا يجوز. وهذا واضح فإن الصلح هو حل اجتماعي ولا يستطيع أن ينقض الحكم الإلهي.

9/ وقال ﷺ: «لا ميراث للقاتل» فمنع من توريثه من مال المقتول شيئاً، مع أنه قد يكون داخلاً في ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾⁽¹⁾ عقوبة له، ونفيًا لغرضه الذي دفعه لقتل المورث، وقد رأينا كيف أن هذا القانون والسنة النبوية، تساهم في الحد من تفكير القتل والمجرمين لتنفيذ جرائمهم، عند معرفتهم بأن لن ينالوا شيئاً! وفي المقابل لك أن تتصور عزيزي القارئ لو لم يكن هذا القانون، وكان بالإمكان أن يرث قاتل أبيه من الأب، وقتل زوجته منها وهكذا!

10/ ونجده ﷺ، ينفي بحسب الظاهر حصول عناوين، بمعنى عدم ترتيب الآثار عليها حتى لو حصلت ظاهراً، كقوله: «لا طلاق قبل نكاح ولا عتاق إلا بعد ملك ولا وصال في صيام ولا يئتم بعد احتلام ولا رضاع بعد فطام ولا صمت يوم إلى الليل»؛ يعني أنه لا تترتب آثار الطلاق لو كان قبل النكاح الصحيح، وهكذا لو أعتق عبداً ما لم يكن في ملكه، أو يجيز المالك. ولا يكون الصوم مشروعاً. فينفي صحة صوم الوصال الذي يواصل فيه الفرد الليل بالنهار صائماً وكان هذا موجوداً عند بعض الرهبان وأصحاب الرياضات ليعتبره الرسول ﷺ

(1) الأنفال: 75.

غير مشروع، ومثله في عدم المشروعية صوم الصمت، كما لا ينطبق عنوان اليتيم على الفرد بعد بلوغه الشرعي، وعلامته في الشاب الاحتلام.

وينفي الرسول ﷺ أن يترتب أثر على الرضاع بعد الحولين وهي مدة الرضاع، فلا ينشر الرضاع بعد هذه المدة، ولا يحقق المحرمية. ومثل هذا القانون يمكن أن يحل مشكلة كبيرة انشغلت بها الأوساط الدينية لمدة من الزمان عندما قرروا - بناء على حديثٍ رواه عن عائشة زوجة رسول الله - أن رضاع الكبير ينشر الحرمة ويحقق آثار الرضاع! فهذا القانون ينفي ذلك الحديث ويرفض مؤداه! «لا رضاع بعد فطام». مع أنه يمكن أن يتحقق من الناحية الخارجية فقد ترضع مرضعة طفلها أو طفلاً آخر بعد سنتين ونصف، ولكن هذا الإرضاع لا يترتب عليه أثر شرعي! مما يترتب على الإرضاع في مدة السنتين.

وفي تفاصيل الأحكام الشرعية:

يكون الأمر هنا أكثر عسرًا لو أردنا الإحاطة بما جاء عن رسول الله ﷺ، لجهة أصل المطلب ولجهة استيعاب هذا الكتاب (المبني كسائر كتب سلسلة المعصومين على حجم معين)، ولكن سنشير إشارات ونمثل بعض الأمثلة:

1/ فإن كفيات العبادات ومقدماتها لم يكن ممكناً أن يعرفها المسلمون لولا شرحها من قبل رسول الله ﷺ لفظياً وعملياً، فقد علم الرسول عترته وأصحابه وعموم المسلمين كيفية الوضوء والغسل.

وكان يصلي أئمتهم وهو إمامهم ويقول لهم: «صلوا كما رأيتموني أصلي».

وعندما أراد أن يعرف الناس بمناسك الحج باعتباره المظهر الأكبر لقوة الدين الإسلامي و«تشييداً للدين» دعاهم إلى أن يحجوا بحجه في السنة العاشرة للهجرة، وقال: «خذوا عني مناسككم» وعرفهم بها كما أشارت إليه رواية جابر بن عبد الله الأنصاري التي قالها في حضور الإمام محمد بن علي الباقر (عليه السلام) ⁽¹⁾ وفي تلك الحجة كانت الوصية بالتمسك بالثقلين كتاب الله والعترة في منى، وكان بعدها واقعة الغدير التي نصب فيها النبي علياً (عليه السلام)، ولياً على المسلمين وخليفة للرسول الكريم.

2/ وضوء الرسول: وقد حكى الإمام محمد بن علي الباقر وضوء رسول الله ﷺ كما رواه عنه زرارة بن أعين قال: قال

(1) ذكرنا نصها وتفاصيل الحادثة في كتابنا: باقر العلم؛ الإمام محمد بن علي بن الحسين.. من هذه السلسلة.

أبو جعفر عليه السلام: «ألا أحكي لكم وضوء رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقلنا: بلى، فدعا بقعب فيه شيء من ماء فوضعه بين يديه ثم حسر عن ذراعيه ثم غمس فيه كفه اليمنى ثم قال: هكذا إذا كانت الكف ظاهرة، ثم غرف ملأها ماء فوضعها على جبهته ثم قال: بسم الله. وسدله على أطراف لحيته، ثم أمر يده على وجهه وظاهر جبهته مرة واحدة ثم غمس يده اليسرى فغرف بها ملأها ثم وضعه على مرفقه اليمنى فأمر كفه على ساعده حتى جرى الماء على أطراف أصابعه ثم غرف بيمينه ملأها فوضعه على مرفقه اليسرى فأمر كفه على ساعده حتى جرى الماء على أطراف أصابعه، ومسح مقدم رأسه، وظهر قدميه بيلة يساره، وبقية بلة يميناه»⁽¹⁾.

وأخبر المسلمين بأنه قد «جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَتُرَابُهَا طَهُورًا، أَيْنَمَا أَذْرَكْتَنِي الصَّلَاةُ صَلَّيْتُ».

3/ رسول الله ورَكَعات الفرائض والنوافل: إِنَّ الله عز وجل فرض الصلاة ركعتين ركعتين عشر ركعات، فأضاف رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الركعتين ركعتين، وإلى المغرب ركعة، فصارت عدل الفريضة لا يجوز تركهن إلا في سفر، وأفرد

(1) الكليني: الكافي 3/ 25.

الركعة في المغرب فتركها قائمة في السفر والحضر، فأجاز الله له ذلك كله فصارت الفريضة سبع عشرة ركعة، ثم سن رسول الله ﷺ النوافل أربعاً وثلاثين ركعة مثلي الفريضة، فأجاز الله عز وجل له ذلك.⁽¹⁾

4/ الأذان وجبرئيل ينزله على الرسول: «لما هبط جبرئيل بالأذان على رسول الله ﷺ كان رأسه في حجر علي، فأذن جبرئيل وأقام فلما انتبه رسول الله ﷺ قال: يا علي أسمعت؟ قال: نعم، قال أحفظت؟ قال: نعم، قال: ادع بلالاً فعلمه فدعا علياً ﷺ بلالاً وعلمه».⁽²⁾

5/ أثر الصلاة: تطهير النفس ومغفرة الذنب: قال رسول الله ﷺ: «لو كان على باب دار أحدكم نهر واغتسل في كل يوم منه خمس مرات أكان يبقى في جسده من الدرن شيء؟! قيل: لا، قال: فإن الصلاة كمثل النهر الجاري كلما صلى صلاة كفرت ما بينهما من الذنوب».⁽³⁾ كما «إِنَّ عَمُودَ الدِّينِ الصَّلَاةُ، وَهِيَ أَوَّلُ مَا يُنْظَرُ فِيهِ مِنْ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ، فَإِنْ صَحَّتْ نُظِرَ فِي عَمَلِهِ، وَإِنْ لَمْ تَصَحَّ لَمْ يُنْظَرْ فِي بَقِيَّةِ عَمَلِهِ».

(1) المصدر نفسه 1/ 266.

(2) المصدر نفسه 3/ 302.

(3) الحر العاملي؛ محمد بن الحسن: وسائل الشيعة (آل البيت) 4/ 12.

6/ ثواب الصوم المتكامل هو العتق من النار: عن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: مَنْ صَامَ شَهْرَ رَمَضَانَ وَحَفِظَ فَرْجَهُ وَلِسَانَهُ وَكَفَّ أَذَاهُ عَنِ النَّاسِ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ ذُنُوبَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْهَا وَمَا تَأَخَّرَ وَأَعْتَقَهُ مِنَ النَّارِ وَأَحَلَّهُ دَارَ الْقَرَارِ⁽¹⁾.

7/ التقصير والإفطار في السفر هدية الله: «إِنْ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَصُومُ شَهْرَ رَمَضَانَ فِي السَّفَرِ؟ فَقَالَ: لَا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ عَلَيَّ يَسِيرٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنْ أَلَّاهُ عَزَّ وَجَلَّ تَصَدَّقْ عَلَى مَرْضَى أُمَّتِي وَمَسَافِرِهَا بِالْإِفْطَارِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ أَحِبَّ أَحَدَكُمْ لَوْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ أَنْ تَرُدَّ عَلَيْهِ»⁽²⁾.

8/ مواقيت الحج والعمرة بوضع رسول الله: «الاحرام من مواقيت خمسة وَقَّتْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يَنْبَغِي لِحَاجٍ وَلَا لِمُعْتَمِرٍ أَنْ يَحْرِمَ قَبْلَهَا وَلَا بَعْدَهَا، وَقَّتْ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ ذَا الْحُلَيْفَةِ وَهُوَ مَسْجِدُ الشَّجَرَةِ يُصَلِّي فِيهِ وَيَفْرُضُ فِيهِ الْحَجَّ وَوَقَّتْ لِأَهْلِ الشَّامِ الْجَحْفَةَ وَوَقَّتْ لِأَهْلِ نَجْدِ الْعَقِيقِ وَوَقَّتْ لِأَهْلِ الطَّائِفِ قَرْنَ الْمَنَازِلِ وَوَقَّتْ لِأَهْلِ الْيَمَنِ يَلْمَلَمَ وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَرْغَبَ عَنْ مَوَاقِيتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»⁽³⁾.

(1) المصدر نفسه 10 / 243.

(2) الكليني: الكافي 4 / 127.

(3) المصدر نفسه 4 / 319.

ونورد بعض أحاديثه صلوات الله عليه وآله في المعاملات؛

1/ هل للذنوب آثار وضعية في الطبيعة: عن أبي جعفر عليه السلام قال:

وجدنا في كتاب رسول الله ﷺ: «إذا ظهر الزنا من بعدي كثر موت الفجأة وإذا طففت المكيال والميزان أخذهم الله بالسنين والنقص وإذا منعوا الزكاة منعت الأرض بركتها من الزرع والثمار والمعادن كلها وإذا جاروا في الأحكام تعاونوا على الظلم والعدوان وإذا نقضوا العهد سلط الله عليهم عدوهم وإذا قطعوا الأرحام جعلت الأموال في أيدي الأشرار وإذا لم يأمرؤا بالمعروف ولم ينهؤا عن المنكر ولم يتبعوا الأخيار من أهل بيتي سلط الله عليهم شرارهم فيدعو خيارهم فلا يستجاب لهم»⁽¹⁾.

2/ وفي الآداب العامة للمعاملات: يقول الرسول الكريم ﷺ:

«من باع واشترى فليحفظ خمس خصال وإلا فلا يشتري ولا يبيعن الربا والحلف وكتمان العيب والحمد إذا باع والذم إذا اشترى»⁽²⁾.

3/ الملعونون في الخمر: «لعن رسول الله ﷺ في الخمر عشرة:

(1) المصدر نفسه 2/ 374.

(2) المصدر نفسه 5/ 151.

غَارِسَهَا وَحَارَسَهَا وَعَاصَرَهَا وَشَارَبَهَا وَسَاقِيَهَا وَحَامِلَهَا
وَالْمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ وَبَايَعَهَا وَمَشْتَرِيَهَا وَآكَلَ ثَمْنَهَا»⁽¹⁾. وَإِذَا كَانَتْ
الْخَمْرُ بِعُتْوَانِهَا الْخَاصَّ قَدْ حَرَمَتْ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فَإِنْ
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِمَا فَوَّضَ اللَّهُ إِلَيْهِ قَدْ حَرَّمَ كُلَّ مَسْكِرٍ كَمَا جَاءَ
فِي الْحَدِيثِ عَنِ الْإِمَامِ جَعْفَرِ الصَّادِقِ قَالَ: «حَرَّمَ اللَّهُ الْخَمْرَ
بِعَيْنِهَا وَحَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كُلَّ مَسْكِرٍ فَأَجَازَ اللَّهُ ذَلِكَ لَهُ وَلَمْ
يَفْوَضْ إِلَى أَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ غَيْرِهِ»⁽²⁾.

4/ الْخِيَانَةُ مِنَ الْجَارِ فِي الْأَرْضِ: لَكِي يَتَرَبَّى الْمُسْلِمُونَ عَلَى
الْأَمَانَةِ وَهِيَ أَسَاسُ التَّعَامُلِ الَّذِي يَنْبَنِي عَلَى الثِّقَةِ وَالْاعْتِمَادِ
وَبِوَاسِطَتِهَا تَدُورُ عَجَلَةُ الْاِقْتِصَادِ فَتَجْلِبُ الرِّزْقُ، بَيْنَمَا إِذَا
فَقَدْتَ مِنْ سَوْقٍ فَلَا أَحَدَ مُسْتَعِدٍّ لِأَنْ يَسْتَشْمِرَ فِيهَا، وَلِذَا قَالَ
النَّبِيُّ ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ أَخْلَفَ بِالْأَمَانَةِ»، وَقَالَ: «الْأَمَانَةُ
تَجْلِبُ الرِّزْقَ وَالْخِيَانَةُ تَجْلِبُ الْفَقْرَ».

بَلْ شَنَعَ الرَّسُولُ الْأَعْظَمُ ﷺ عَلَى الْخِيَانَةِ حَتَّى لَوْ كَانَتْ
بِمَقْدَارِ شِبْرِ مِنَ الْأَرْضِ! فَقَدْ حَدَّثَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ (عليه السلام)
عَنْ آبَائِهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَدِيثِ الْمَنَاهِي قَالَ: «مَنْ خَانَ

(1) الصدوق: الخصال ص 445.

(2) الحر العاملي: وسائل الشيعة (آل البيت) 25 / 333.

جاره شبرًا من الأرض جعله الله طوقًا في عنقه من تخوم الأرض السابعة حتى يلقي الله يوم القيامة مطوقًا إلا أن يتوب ويرجع». (1)

5/ وأكثر ما يتلى به الناس في دينهم؛ حقوق الغير: ولذا فقد بين الرسول الكريم حقوق الفئات الاجتماعية بعضها على البعض الآخر، وفيما بين الأرحام، فقال لامرأة جاءت إليه ﷺ فقالت يا رسول الله، ما حق الزوج على المرأة؟ فقال لها: «أن تطيعه، ولا تعصيه، ولا تتصدق من بيته إلا بإذنه، ولا تصوم تطوعًا إلا بإذنه، ولا تمنعه نفسها وإن كانت على ظهر قتب، ولا تخرج من بيتها إلا بإذنه، وإن خرجت بغير إذنه لعنتها ملائكة السماء». (2)

ولذلك فإن «من كان له امرأة تؤذيه لم يقبل الله صلاتها ولا حسنة من عملها حتى تعينه وترضيه وإن صامت الدهر وقامت وأعتقت الرقاب وأنفقت الأموال في سبيل الله وكانت أول من ترد النار، ثم قال: قال رسول الله ﷺ: وعلى الرجل مثل ذلك الوزر والعذاب إذا كان لها مؤذيًا ظالمًا». (3)

(1) المصدر نفسه 386.

(2) الكليني: الكافي 5/ 507.

(3) وسائل الشيعة (آل البيت) 20/ 164.

وَقَدْ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا حَقُّ ابْنِي هَذَا؟ قَالَ ﷺ: «تُحَسِّنُ اسْمَهُ وَأَدَبَهُ وَضَعُهُ مَوْضِعًا حَسَنًا» وَقَالَ أَيْضًا: «رَحِمَ اللَّهُ مَنْ أَعَانَ وَلَدَهُ عَلَى بَرِّهِ. قَالَ قُلْتُ: كَيْفَ يُعِينُهُ عَلَى بَرِّهِ؟ قَالَ ﷺ: يَقْبَلُ مِيسُورَهُ وَيَتَجَاوَزُ عَنْ مَعْسُورِهِ وَلَا يُرْهِقُهُ وَلَا يَخْرُقُ بِهِ».

6/ الرسول وبناء الأسرة: قد رغب رسول الله ﷺ في بناء الأسرة، من خلال علاقة زوجية مشروعة بين الرجل والمرأة باعتبارها تقضي على نصف مسببات الانحراف - إن لم يكن أكثر من ذلك - ولذلك فإنه «ما بني بناء في الإسلام أحب إلى الله تعالى من التزويج»، و«من تزوج أحرز نصف دينه - وفي حديث آخر - فليترك الله في النصف الباقي»⁽¹⁾.

وتبين أهمية هذه التوجيهات إذا علمنا أن مركز المؤامرة الدولية اليوم هو ضرب الأسرة وتفتيتها بمختلف الأساليب والوسائل. بدءاً مما رفعوا من شعارات تحرير المرأة، ثم تمكين المرأة، وأخيراً الحركة الشاذة المسماة بالمثلية.

7/ الوصية والاهتمام النبوي بها: كما أن الوصية على مستوى

(1) المصدر نفسه 3/ 383.

الأمة كانت مهمة، ولذلك فقد أوصى رسول الله ﷺ أمته بما فيه سعادتها ونجاتها من الضلال، وحديث الثقلين: القرآن والعترة شاهد على ذلك، فقد أوصى كل شخص من المسلمين بالوصية في دائرته الفردية والاجتماعية، وذلك أن المسلم قد يكون مطلوباً ومديوناً بديون الله تعالى كواجبات لم يؤدها (من حج وصوم وصلاة) وقد يكون مطلوباً بديون لعباد الله (كاقتراض منهم وأمانات ائتمنوه عليها وأثمان لم يسدها.. وغير ذلك) وهنا قد شُرِّع له للخروج من عهدة هذه الديون عنوان الوصية، فهو يوصي من يشاء للقيام بتنفيذ ما سبق، ولو في مقابل مال، فإذا نفذها الوصي أصبحت ذمة الموصي بريئة.

لأجل هذا قال رسول الله ﷺ: «لا ينبغي للمرء المسلم أن يبيت إلا ووصيته تحت رأسه، ومن مات بغير وصية مات ميتة جاهلية».

8/ العقوبات في مواجهة الانحراف الجنسي: وقد أقر الرسول ﷺ عدداً من العقوبات (بالإضافة إلى ما ذكره الله في القرآن) لتطهير المجتمع المسلم من الانحرافات الجنسية، لا سيما تلك التي تقف وراءها منظمات وجهات تريد انهيار المجتمع

المسلم، ومنها اللواط والشذوذ الجنسي بين الذكور، فقد أوجب فيه رسول الله ﷺ على كل من الفاعل والمفعول المطاوع عقوبات شديدة رادعة، فقد روي عنه ﷺ أنه قال: «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط، فاقتلوا الفاعل والمفعول به»⁽¹⁾ واختص الفاعل بعقوبات مغلظة من حيث الشكل كما أخبر أمير المؤمنين (عليه السلام) عن رسول الله ﷺ أنه حكم في مثل ذلك بثلاثة أحكام: «ضربة بالسيف في عنقك بالغة منك ما بلغت، أو إهداب»⁽²⁾ من جبل مشدود اليدين والرجلين، أو إحراق بالنار»⁽³⁾.

هذا غيض من فيض ونقطة من بحر مما جاء عن رسول الله ﷺ ..
وبها يستدل على غيرها.

(1) الأحسائي: عوالي اللثالي 1/ 170، والحاكم النيسابوري: المستدرک 4/ 355.

(2) يعني إلقاء، وفي بعض المصادر إهدار أو إهداء.

(3) الكليني: الكافي 7/ 201.

الحياة الأسرية

للنبي محمد ﷺ

زوجات النبي أسماء وتاريخ

الزوجات اللاتي مكثن مع رسول الله مدة من الزمن هن التالية
أسماءهن:

1/ خديجة بنت خويلد: وهي أفضل نسائه قاطبة وأم أولاده
(فاطمة وزينب ورقية وأم كلثوم، والقاسم والطاهر)، وأطول
نسائه معه مكوثاً، تزوجها رسول الله وعمره 25 سنة⁽¹⁾ وعمرها
على الصحيح 28 سنة، وتوفيت عنه وعمره 50 سنة، في
السنة العاشرة بعد البعثة، أي سنة 3 قبل الهجرة. وقد بقيت
معه 25 سنة لم يتزوج أي امرأة طيلة وجودها معه. حضورها
في حياة رسول الله ﷺ، قبل بعثته وبعد بعثته بل حتى بعد
وفاتها ﷺ واضح، ولا يرقى إليه حضور أي من زوجاته، بل

(1) أو 26 كما سبق وأن أشرنا إليه في الفصل الأول.

هن مجتمعات. وقد كتبنا حول شخصيتها وسيرتها وفضائلها مواضيع متعددة فليراجعها من يطلب التفصيل.⁽¹⁾

2/ سودة بنت زمعة: وقد تزوجها رسول الله ﷺ بعد وفاة السيدة خديجة، وقد كانت قبل ذلك زوجة للسكران بن عمرو وهاجرت معه إلى الحبشة ثم عادا إلى مكة (وفي رواية أنه توفي في الحبشة)، ولا يظهر من سيرتها شيء استثنائي سوى ما قيل من أن النبي أراد طلاقها، (وفي بعض الروايات أنه طلقها) ولكنها طلبت إبقاءها أو إرجاعها لتحشر في زوجاته. وأنها قالت كلامًا يفهم السامع منه تحريضًا للكفار على الثبات في وجه رسول الله، الأمر الذي عاتبها فيه رسول الله، ولعل هذا كان داعيًا إلى ما سبق من طلاقها أو إرادته ذلك، تنقل مصادر الخلفاء أنها كانت من حزب السيدة عائشة وأنها أعطت ليلتها لها.⁽²⁾ توفيت سنة 54هـ.

3/ عائشة بنت ابي بكر بن أبي قحافة؛ وقد قيل إنه عقد عليها النبي ﷺ في مكة وتزوجها في المدينة، ويدور جدل كبير

(1) لتفصيل سيرتها وجهادها مع رسول الله ﷺ يمكن للقارئ مراجعة كتابنا: أعلام الأسرة النبوية.

(2) هو المشهور في مصادر مدرسة الخلفاء رواية عن عائشة، مع إضافة أنها فعلت ذلك لمعرفة بمحبة رسول الله لها.

حول عمرها حين تزوجها النبي فالرأي المشهور في مدرسة الخلفاء وهو معتمد على روايتها بأنها عقد عليها وهي بنت ست سنين، ودخل بها الرسول وهي بنت تسع،⁽¹⁾ بينما يشكك باحثون في هذه الروايات ويعتقدون بأنها كانت قد تخطت السادسة عشر حين دخل بها رسول الله. توفيت سنة 58هـ. تشير مصادر مدرسة الخلفاء على أنها «أعلم الصحابة بسنة رسول الله» ويُنقل عنها عن النبي 2210 أحاديث بينما تنقل تلك المصادر عن أمهات المؤمنين الثمان مجتمعة 612 حديثاً.⁽²⁾

وقد تساءل السيد العسكري في كتابه أحاديث أم المؤمنين عن ذلك قائلاً: «كيف أصبحت أكثر الصحابة إفتاء بما في ذلك الصحابة الخلفاء الذين كان المسلمون يرجعون إليهم في شؤونهم؟ وكيف بلغ مجموع أحاديث أزواج الرسول الثمان 612 حديثاً، وبلغ أحاديثها وحدها 2210 حديثاً؟ وقد دخلت بيت

(1) قد كتبت بحوث ودراسات تضعف هذا القول وتقوي القول الآخر من المذهبين، ونشير هنا إلى بحث الباحث المعاصر الشيخ حسين الخشن بعنوان: أبحاث حول السيدة عائشة؛ رؤية شيعية معاصرة. كما نُقل عن د. محمد ناصر قطبي في كتابه «أفلا يتدبرون القرآن» أن عمرها وقت دخول النبي بها كان 18 سنة، وأقل من ذلك نقل عن عباس محمود العقاد في كتابه الصديقة بنت الصديق أنها كانت عند زفافها للنبي لا تقل عن الثانية عشرة ولا تتجاوز الخامسة عشر بكثير.

(2) العسكري؛ السيد مرتضى: أم المؤمنين عائشة 2/ 32.

الرسول ﷺ في السنة الثانية من الهجرة ولم تتجاوز العام العاشر من عمرها وهي طفلة صغيرة تلعب باللعب، وتوفيت في السنة الثامنة أو التاسعة والخمسين من الهجرة. ودخلته أم سلمة أيضًا في السنة الثانية وهي امرأة كبيرة أئمة، ثم عاشت بعد عائشة ثلاث سنين حيث توفيت في السنة الثانية والستين أو الثالثة والستين من الهجرة. والفرق بين أحاديثهما كبير، وكيف كانت لا تسأل عن أمر إلا وعندها علم منه؟

ألا ينبغي لأحاديث بلغت من الكثرة والأهمية ما بلغته أحاديث أم المؤمنين عائشة أن تعنى بدراستها عناية خاصة؟ أما أصحاب الحديث الذين كانوا يدرسون الرواة وأحاديثهم فإنهم أحجموا عن ذلك!«⁽¹⁾

يرى محققون من الإمامية أن السيدة عائشة بالرغم من ذكائها، وقوة شخصيتها - بحيث أنها كانت رأس حزب في زوجات النبي مع صغر سنها وكبر سنهن - إلا أنهم يعتقدون أن تضخيم أدوارها (بما في ذلك كثرة الرواية عنها وذكر الخصال الكثيرة لها)⁽²⁾ لا يخلو من جانب عقدي فإنها كانت على رأس المواجهة

(1) المصدر السابق 2 / 35.

(2) الزركشي الشافعي؛ محمد بن عبد الله: الإجابة لإيراد ما استدرسته عائشة على الصحابة ص 54.

مع أمير المؤمنين علي عليه السلام في حرب الجمل، ولم تكن علاقتها معه حسنة قبل ذلك، كما أن تعظيمها وتناقل أحاديثها ينتهي إلى تعظيم وتقديم والدها أبي بكر على جميع المسلمين، وهو الأمر الذي يدعم موقع مدرسة الخلفاء.

4/ حفصة بنت عمر بن الخطاب؛ وينقل أن والدها بعدما توفي زوجها خنيس بن حذافة السهمي قد عرضها على كل من عثمان وأبي بكر، ورفض الاقتران بها تزوجها رسول الله ﷺ وكان ذلك في شهر شعبان سنة 3هـ. يظهر أن دورها كان دوراً تابعاً للسيدة عائشة،⁽¹⁾ ونلاحظ ذلك في ما قصه القرآن الكريم في سورة التحريم، وفي مواضع أخرى، بل وحتى ما بعد وفاة رسول الله حيث عازمت على الخروج مع السيدة عائشة إلى حرب الجمل لولا نهى أخيها عبد الله بن عمر إياها. توفيت سنة 45 هـ وقيل 41 هـ. وتنقل مصادر الإمامية وغيرهم أنها - مع بعض النساء المخالفات لأمر المؤمنين علي عليه السلام - قد اجتمعن

(1) مسند أحمد 43/ 41 «سمعت عائشة زوج النبي ﷺ، تخبر أن النبي ﷺ كان يمكث عند زينب بنت جحش، ويشرب عندها عسلاً، فتواطيت أنا وحفصة أن أيتنا ما دخل عليها النبي فلتقتل: إني أجد منك ريح مغاير، أكلت مغاير؟ فدخل على إحداهما، فقالت ذلك له، فقال: «بل شربت عسلاً عند زينب بنت جحش، ولن أعود له». فنزلت: ﴿لَمْ نُحَرِّمْ مَا أَكَلَ اللَّهُ لَكَ﴾، ﴿إِنْ نُؤَبِّئُ إِلَى اللَّهِ﴾ لعائشة وحفصة ﴿وَإِذْ أَسْرَأْتِنِي إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ﴾ [التحريم: 1 - 4] لقوله: بل شربت عسلاً».

شامتات بموقف الإمام لما نزل ذي قار، وأنه أصبح «كالأشقر إن تقدم عقر وإن تأخر نحر»⁽¹⁾ ويستفاد من بعض الروايات أن النبي ﷺ قد طلقها،⁽²⁾ ثم أرجعها بوساطة أبيها عمر.

5/ زينب بنت خزيمة؛ وهي التي تسمى بأم المساكين لعطفها وإنفاقها عليهم، تزوجها رسول الله ﷺ بعد زواجه بحفصة بنت عمر. لم تبق زينب مع رسول الله ﷺ غير شهرين كما قيل، فتوفيت في أيام حياته. وقد نقل عنه أنه وصفها بأنها أطول زوجاته يدًا (يعني إحسانًا) وأولهن لحوقًا به.

6/ أم سلمة هند بنت أبي أمية المخزومية، وهي بنت عمه النبي (برة بنت عبد المطلب) تزوجها بعد زينب أم المساكين، وكان عمرها بحدود 34 سنة، وكانت قبله عند أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد من بني مخزوم وقد استشهد بعد معركة أحد على أثر جراحة أصابته فيها وولدت له سلمة، وعمر، ودرة، وزينب، وقد بلغت منزلة عالية عند رسول الله ﷺ بحيث يعتقد الإمامية أنها تتلو خديجة في المرتبة بين نسائه، وتتقدم على باقي زوجاته..

(1) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة 14 / 13.

(2) مسند أحمد 25 / 271: «عن عاصم بن عمر، أن رسول الله ﷺ طلق حفصة بنت عمر بن الخطاب، ثم ارتجعها»

ونلاحظ ملاحظتين في السيدة أم سلمة؛ ابتعادها عن الفخر وميلها إلى التواضع، فهي تقول لرسول الله ﷺ وقد جاء بنفسه يخطبها «في خصال ثلاث، أما أنا فكيرة وأنا مُطْفِل وأنا غيور، فقال: أما ما ذكرت من الغيرة فندعو الله حتى يذهب عنك، وأما ما ذكرت من الكبر فأنا أكبر منك والطفل إلى الله وإلى رسوله»⁽¹⁾ وكثرة روايتها لأحاديث فضائل أهل البيت وولاية أمير المؤمنين علي عليه السلام، مثل حديث الكساء، وحديث الغدير، وحديث المنزلة، ولا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق، وحديث: علي مع القرآن والقرآن مع علي، وحديث: من سب علياً فقد سبني.. وغيرها وقد ذكرنا جانباً من ذلك في ترجمتها في كتابنا اعلام الأسرة النبوية.

وبالإضافة إلى روايتها لتلك الأحاديث كان موقفها صريحاً وواضحاً من ولاية أمير المؤمنين وتأيده في كل مواقفه، ويكفيك ما قالته للسيدة عائشة وقد دعتها للخروج معها في عسكر الجمل! فقد كان ردها عليها قوياً ونصحتها بالألا تخرج في ذلك الطريق الذي لا يرضاه الله ولا رسوله.

(1) البغدادي؛ ابن سعد: الطبقات الكبير 10 / 89: وبالفعل فقد رأينا كيف أذهب الله بدعاء النبي غيرتها، ولم يكن همها مناكفة غيرها بل لم يكن همها وهاجسها إثبات أنها هي المفضلة والمميّزة، ولولا دعاء النبي ربما كان الأمر مختلفاً.

7/ أم حبيبة بنت أبي سفيان تزوجها رسول الله ﷺ وعمرها بضع وثلاثون سنة وقيل إن ذلك كان في سنة 6 هـ⁽¹⁾، وكان زوجها عبيد الله بن جحش بن رئاب، قد هاجر معها مسلماً إلى الحبشة، لكنه تنصر هناك ومات عنها، ولها بنت منه اسمها حبيبة وهي التي تكنى بها.

8/ زينب بنت جحش وقد تزوجها رسول الله ﷺ بعد أم سلمة، وذلك في ذي القعدة سنة 5 هـ، وكان قد زوجها مولاه زيد بن حارثة، فلما لم يستقم أمر زواجهما لمشاكل بينهما، ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا﴾⁽²⁾. وكانت تفتخر على باقي نساء النبي بأن تزويجها كان من الله تعالى⁽³⁾ بمقتضى الآية المباركة، بينما تزويج باقي النساء كان بواسطة أوليائهن. وينبغي أن نشير بالمناسبة هنا إلى أن ما ورد في بعض التفاسير في خصوص ﴿وَتَخْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ﴾ من أن النبي لما رأى جمالها أعجبه

(1) بحار الأنوار 21 / 47

(2) الأحزاب: 37.

(3) وبهذا وأمثاله يمكن التأمل بما يذهب إليه أتباع مدرسة الخلفاء من أن اختيار النبي لعائشة كان ربانياً أو جاء به جبرئيل أو غير ذلك مما روي بعضه عنها، إذ لو كان كذلك لما افتخرت زينب بأنها هي التي زوجها الله تعالى بقوله: ﴿زَوَّجْنَاهَا﴾ إذ يمكن الاعتراض عليها بأنني أنا أيضاً جاءت صورتي له بواسطة جبرئيل.. كما نقلوا في الأخبار تلك.

وتمناها لنفسه! وأن الله عاتبه في ذلك، هذا التفسير الخاطئ يستقي من نفس الماء الآسن الذي يؤكد على خطايا الأنبياء والرسل، ويعارضه أئمة أهل البيت وشيعتهم.

9/ جويرية ابنة الحارث بن أبي ضرار؛ وقد تزوجها الرسول الله ﷺ بعد زينب بنت جحش، وكانت مما سبي في معركة بني المصطلق سنة 5 هـ، فصارت في سهم أحد المسلمين، فكاتبت⁽¹⁾ على نفسها، فأتت رسول الله ﷺ تستعينه في كتابتها، وقالت: يا رسول الله أنا جويرية ابنة الحارث، سيد قومه، وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك وقد كاتبت على نفسي فأعني على كتابتي، فقال رسول الله ﷺ: أو خير من ذلك، أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك؟ فقالت: نعم، ففعل رسول الله ﷺ، فبلغ الناس أن رسول الله ﷺ تزوجها، فقالوا: أصهار رسول الله ﷺ، فأرسلوا ما كان في أيديهم من بني المصطلق، فلقد أعتق بها مائة أهل بيت من بني المصطلق، فما أعلم امرأة أعظم بركة على أهل بيت منها.⁽²⁾

(1) معنى الكتابة في الفقه الإسلامي: عقد يُنشأ بين السيد المالك وبين العبد (أو الأمة) يشترى فيه العبد أو الأمة حريته في مقابل أداء عمل أو دفع مال معين، فإذا أتمه ووفاه أصبح حراً.

(2) ابن إسحاق: السير والمغازي ص 263.

10/ صفية ابنة حيي بن أخطب، وتزوجها رسول الله بعدما فتحت خيبر، وأخذت في السبي، فاصطفاه النبي ﷺ لنفسه، وأعتقها وجعل عتقها صداقها. وبقيت معه طيلة حياته. ويظهر من بعض القرائن أنها آمنت بالنبي بصدق وأحبته كذلك، وأنها قبل أن يتزوجها رسول الله ﷺ كانت ترى رؤيا فسرّها والدها وزوجها بأنها تتطلع لتكون زوجة رسول الله! وعوقبت على أثر ذلك، وأنها لما مرض رسول الله وكان على فراش مرضه كانت تقول: إني والله يا نبي الله لوددت أن الذي بك بي، فغمزن أزواجه ببصرهن فقال: «مَضْمُضْن» فقلن: من أي شيء؟ فقال: «من تغامزكن بها، والله إنها لصادقة». (1)

11/ ميمونة بنت الحارث الهلالية تزوجها رسول الله ﷺ، في مكة بعدما أحل وذلك بعد عمرة القضاء في سنة 7 هـ. (2)

ومن بين هذه النساء ماتت في حياته اثنتان؛ خديجة بنت خويلد، وزينب بنت خزيمة، فالاتي بقين معه إلى وفاته وقبض عنهن كانت تسع نساء.

وكانت عنده أيضاً مارية القبطية وهي جارية أهداها إليه مقوقس مصر، وجاءت إلى المدينة في أوائل السنة الثامنة،

(1) العسقلاني؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة 8 / 212.

(2) يختلف ترتيب بعض هذه الزيجات من مؤلف لآخر بين تقديم وتأخير.

وأنجبت له ابنه إبراهيم، الذي ما لبث بعد حوالي سنة ونصف أن قبضه الله تعالى. وقد تعرضت مارية إلى أذى كثير من بعض زوجات النبي الأخريات، حيث تم التشكيك في عفتها وطهارتها بل في انتساب إبراهيم لوالده النبي، وهذا أحد وجوه قضية الإفك، وهناك وجه آخر هو المشهور عند مدرسة الخلفاء.

عشر نقاط في فهم موقع زوجات النبي

وهنا يهمننا أن نشير إلى نقاط ترتبط بحياته الزوجية:

النقطة الأولى: أنه قد تمت الإشارة إلى زوجات رسول الله ﷺ

في القرآن الكريم في مواضع متعددة: منها ما جاء في سورة الأحزاب⁽¹⁾ من آية 28 إلى آية 34، ومنها ما جاء في نفس السورة في آية 6 ﴿الَّتِي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ وأهمية هذه الآية كونها قد أعطت زوجات رسول الله لقب أمهات المؤمنين! وسيكون له دور مهم في فهمه وترتيب الأثر عليه.

(1) الأحزاب 28 - 34: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُحِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنْتَهَا فَإِنَّكُنَّ أَفْئِدَةً مِّنْ أَنْفُسِكُنَّ وَأَسْرَارُكُمْ مَّرَاجِلًا خِيَالًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يٰٓأَيُّهَا النَّبِيُّ مَنِ بَأْتٍ مِنْكُنَّ فَيُنْكِحْهُ مُبِينًا يَضَعُ لَهَا الْعَذَابَ ضِعْفَيْنِ وَلَٰكِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ وَمَنْ يَفْعَلْ مِنْكُنَّ شَيْئًا مِّنْ دُونِ مَا يَأْتِيكُمُ مِنَ الرَّسُولِ فَتَعْمَلْ بِهِ طَاعًا فَإِن يَكُن مِّنْ عَمَلٍ صَالِحٍ فَلِإِنَّكُم مِّنَ الصَّالِحِينَ إِن تَقِيْنَ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣١﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٢﴾ وَأَذْكُرَنَّ مَا بُشِّرْتُنَّ فِي بُيُوتِكُنَّ مِّنْ بَيْنَتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾

والذي ينبغي أن يقال هنا أن تنزيلهن منزلة الأمهات ليس مطلقاً بحيث تكون زوجة النبي بالنسبة لكل مسلم أمّا حقيقة له بحيث ترثه ويرثها، ويراهما وتراه، ويطيعها في أوامرها، وأمثال ذلك مما هو حق ثابت للأم على أبنائها. وإنما هو محصور بقضية واحدة فقط - بعد الاحترام لمكانتها من النبي - وهي حرمة نكاحها على المسلمين وقد صرح القرآن الكريم بذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا﴾⁽¹⁾.

وهذا هو الذي أخطأ فيه بعضهم عندما اعتبر زوجة النبي قائداً ميدانياً يعين له سلمه وحربه، فدخل معها حرب الجمل في وجه وصي النبي وأمير المؤمنين (عليه السلام).

النقطة الثانية: أن زوجات رسول الله ﷺ وأمهات المؤمنين لهن مكانة عالية، وبنفس هذه المكانة تكون مسؤوليتهن أكبر، فكل عنوان يكسب صاحبه قيمة يفرض عليه تتبع ذلك التزامات. إن العالم يُقدّر لعلمه، وهذا التقدير وذاك العنوان يفرضان عليه ألا يتصرف إلا بما يتناسب مع عنوانه. لذلك يخاطب القرآن الكريم نساء النبي بأنكن ﴿يُنِسَاءُ النَّبِيِّ لَسُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ أَتَقَيْنَنَّ فَلَا

(1) الأحزاب: 53.

فَخَضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿١﴾، وهذه المكانة وتلك المسؤولية لها حدودها. فلا ينبغي أن تتحول إلى مشروع سياسي مثلاً! كما أشرنا في النقطة الأولى.

النقطة الثالثة: إن موضوع كثرة زوجات النبي ﷺ من المواضيع التي أثارها أعداء الدين من مستشرقين وتلامذتهم المحليين، ورجال الدين (يهود أو مسيحيين)، ينطبق عليه قول الله عز وجل: ﴿وَلَيْنَ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ﴾ (2) فمهما حاول الباحث البرهنة على سلامة الموقف النبوي، فإنهم لا يؤمنون بذلك ولا يسلمون له! لقد أثاروا - وكثير منهم ساقط في حماة الشهوات الجنسية - الإشكال حول عفاف النبي وأنه كيف يتزوج هذا العدد؟ إن ذلك ليدل بزعمهم على «شهوانية» صاحب هذه الزيجات! وحين تناقشهم بأن من يكون كذلك كيف يبقى مع زوجة واحدة وهي خديجة مدة خمس وعشرين سنة متتالية، لم يتزوج فيها امرأة أخرى مع إمكانية ذلك وسهولته؟ وكونه في عز شبابه وقوته وإنما تكون شهوة الإنسان في مثل هذا العمر (ما بين 25 و50 سنة)! ولماذا تزوج امرأة مثل

(1) الأحزاب: 32.

(2) البقرة: 145.

سودة بنت زمعة وهي التي تجاوزت الخمسين كما قيل؟ ولماذا ترك الباكرات - باستثناء امرأة واحدة - ليتزوج في الثيات اللاتي كان بعضهن لا تزال أولادها في حجرها؟

إن قسمًا من زيجاته ﷺ، كانت أشبه بالكفالة المالية والاجتماعية لبعض تلك النساء، كتلك التي مات عنها زوجها متنصرًا في الحبشة، أو هذه التي أصبحت بلا والٍ يرعاها على أثر هزيمة قومها وإخراجهم من المدينة، وأكثر هؤلاء النساء كن أرامل. بالإضافة إلى ما تقتضيه قوانين تلك الأزمنة من التحالفات القائمة على أساس المصاهرة بالنسبة للبعض الآخر. وشاهد ذلك أننا رأينا أكثر هذه الزيجات قد حصلت في فترة المدينة وبدءًا من السنة الثانية للهجرة، وخلال ثمان سنوات تقريبًا وهي أواخر عمر النبي ﷺ!

النقطة الرابعة: إنه لا بدّ من التفريق بين العناوين التي تترتب عليها آثار، والأخرى التي لا تترتب عليه تلك الآثار فمثلاً عنوان أهل البيت، يترتب عليه آثار كثيرة في المجال الشرعي، إذ أمر النبي ﷺ بالتمسك به مع القرآن، لكن عنوان الصحابة مثلاً لم يترتب عليه أثر شرعي من هذا القبيل. وهكذا الحال في عنوان زوجات رسول الله. ف (الزموا أهل بيت نبيكم فإنهم لن يخرجوكم

من هدى ولن يدخلوكم في ردى) وذلك لأنه ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾⁽¹⁾. وهذه الآية تدل على عصمة الداخلين فيها مثلما يدل على عصمتهم حديث الثقلين والأمر فيه بطاعتهم مطلقاً، وهو لا يتصور إلا بفرض عصمتهم، فلو كنا وحديث الثقلين لكفى به تفسيراً للآية المباركة.⁽²⁾ وما كنا بحاجة لحديث الكساء⁽³⁾ المفسر للآية؛ من يدخل فيها ومن يخرج منها.

النقطة الخامسة: إن نساء النبي - باستثناء السيدة خديجة - لم يكن أفضل النساء في الأمة خلافاً لما تعتقده مدرسة الخلفاء وتحاول تركيزه وتحويله إلى عقيدة. فلا القرآن الكريم قد فرض هذا الأمر بل فرض خلافه حين قال: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَنَاطٍ تَبَيَّنَ عَيْدَاتٍ سَيِّحَتٍ ثَبَّتَ وَأَبْكَارًا﴾⁽⁴⁾ فكان هناك بديلات خير وأفضل من الموجودات في

(1) الأحزاب: 33.

(2) وما قيل من أن «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم» ساقط سنداً، وباطل وجداناً فإن بعضهم قتل بعضهم الآخر وحارب بعضهم بعضاً ولعن وشم بعضهم بعضاً وكفر بعضهم بعضاً، فهل يصدق هنا بأيهم اقتديتم اهتديتم؟

(3) وقد تقدم ذكر حديث الكساء المروي عن أم سلمة والذي يعين من يدخل تحت عنوان أهل البيت المطهرين.

(4) التحريم: 5. والآية إنما نزلت بعد وفاة السيدة خديجة بسنوات.

الصفات المذكورة. وهذا يضيء لنا ببصيص نور في موضوع زوجاته ﷺ في الجنة! فإذا كانت بعض النساء صرن زوجاته في الدنيا لمعادلة سياسية أو كفالة اجتماعية أو لأن والدها عرضها على النبي أو لغير ذلك من الأسباب التي اقتضت مصلحة الوقت الزواج بها في الدنيا فليس بالضرورة أن تكون تلك المصلحة الدنيوية حكمة في يوم القيامة!

فإذا كان هناك دليل خاص لواحدة أو أكثر فهو المعتبر. وأما الاستدلال بمثل ما مضى من وجوه فلا محل له.

النقطة السادسة: إنهن لم يكن على قلب واحد ولا على مستوى واحد! أما في العنوان الأول فنحن نجد تصريحاً بأنه كان هناك حزبان في نساء النبي، وحتى لو لم يكن تصريح فإن نمط الحركة والعلاقات بينهن يكشف عن هذا الأمر. فقد روى البخاري عن عائشة قولها: «أن نساء رسول الله ﷺ كن حزبين: فحزب فيه عائشة وحفصة وصفية وسودة، والحزب الآخر أم سلمة وسائر نساء رسول الله ﷺ». (1)

(1) صحيح البخاري 3/ 156: أقول: لا نعتقد بصحة قوله فيما يرتبط بصفية، بل طبيعة العلاقات بين صفية وبين هذا الحزب كانت متوترة، والناظر لشتمها من قبلهم بأنها ابنة يهودي ويهودية وتعليم النبي إياها أن تقول إن أباه هارون وعمها موسى ﷺ.. وأمثال ذلك يشير إلى خلاف ما ذكره البخاري.

هذه السلوكيات والتي كان فيها الحسد والتغاير ظاهرة واضحة في كثير منهن! تشير إلى أنهن لا يمكن أن يكنّ المخاطبات بآية التطهير كما أشرنا آنفاً، فأين ما ينقل من «سب بعضهن لبعض» و«اغتياب بعضهن لبعض» و«تعدي بعضهن على بعض بإتلاف الأواني» و«سخرية بعضهن من بعض بالطول والقصر» و«نبز بعضهن لبعض بالألقاب والتعيير بالآباء» و«تشفي بعضهن بموت البعض»⁽¹⁾.. وغير ذلك.. أين هذا من ﴿وَيُطَهِّرُكُمُ تَطْهِيراً﴾؟

النقطة السابعة: إننا نعتقد أن رسول الله ﷺ قد قدم نموذجاً متميزاً في إدارة الأسرة يصلح أن يكون دليلاً لكل أسرة تريد الاستقرار، فبالرغم من وجود كل مسببات التوتر والمشاكل (من تعدد الزوجات لهذا العدد الكبير، ومن اختلاف بيئات هذه الزوجات؛ ما بين امرأة في الستين من العمر إلى صبية دون العشرين، ومن زوجة ذات أطفال متعددين إلى بكر حديثة عهد بالزواج، ومن امرأة كانت مسلمة من السابق إلى أخرى أسلمت مع زواجها من النبي، فضلاً عن المستوى الاجتماعي المختلف.. كل ذلك لم يمنع من أن يحسن النبي إدارة تلك النساء، هذا وهنّ في بيت واحد لا يفصل بين الواحدة والأخرى سوى جدار

(1) تجد أحاديث هذه الموارد في الصحيحين وغيرهما.

غرفتها! هذا وهو ﷺ الذي كان مطالباً بقيادة الجيوش لمواجهة الكفار في المعارك، ومطالباً بالتوجيه الديني والسلوكي للمسلمين وإقامة الجماعات، وحل المشاكل الحادثة في المجتمع المسلم، والقضاء بين الناس.. وفوق كل ذلك ﴿قُرْ أَلَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (*) نَصْفَهُ أَوْ أَنْقَضَ مِنْهُ قَلِيلًا (*) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا⁽¹⁾.

الحق: أن هذا أمر أشبه بالاعجاز! ونقدم هذا للكثير من الأزواج الذين لا يستطيعون إدارة زوجة واحدة فلا يمضي عدة أشهر إلا وقد حصل الطلاق بينهما. ونقدمه أيضاً للزوجات اللاتي لا يستطعن الانسجام وهن وحدهن في بيت ومع زوج! النقطة الثامنة: يعتقد كثير من أتباع مدرسة الخلفاء بأن فضلى نساء النبي هي عائشة بنت أبي بكر وتليها في المنزلة خديجة بنت خويلد (وبعضهم يرى عكس ذلك)،⁽²⁾ وينقلون عن السيدة عائشة الكثير من الأحاديث التي تبين فيها فضل نفسها وأن صورتها جاءت من جبرئيل للنبي وبالتالي فالله اختارها له،⁽³⁾ وأنها فضلت

(1) المزمّل: 2 - 4.

(2) الزركشي: الإجابة ص43: «واختلفوا في التفضيل بينها وبين خديجة على وجهين حكاهما المتولي في التتمة وقال الآمدي في أبحار الأفكار: مذهب أهل السُّنَّة إن عائشة أفضل نساء العالمين وقالت الشيعة أفضل زوجاته خديجة وأفضل نساء العالمين فاطمة ومريم وآسية»

(3) قد ذكر المرحوم العلامة العسكري في كتابه أحاديث أم المؤمنين عائشة 2 / 43 بأن هذه =

على باقي زوجات النبي بعشر خصال، وأن النبي كان يفضلها عليهن، ورفض مطالبات النساء تلك - ووساطة ابنته فاطمة - بأن يعدل وينصف بينهن! ⁽¹⁾ وأنه ما نزل الوحي إلا في لحافها.. وباقي الروايات التي كان مصدرها هو نفس السيدة عائشة.

إلا أن الإمامية يخالفون ذلك ويرون أنه لا توجد امرأة - بل ولا كل نساء النبي مجتمعات - تعدل خديجة بنت خويلد التي «آمنت به حين كفر الناس وصدقته حين كذبه الناس، وأنفقت وواست حين احجم الناس ورزقه الله الولد منها دون غيرها». ⁽²⁾

ويعتقدون أن الثانية في الفضيلة بعد خديجة هي أم سلمة المخزومية، ⁽³⁾ ووجه التفضيل في ذلك هو مواقفها مع رسول الله ﷺ، ثم مواقفها مع أمير المؤمنين (عليه السلام) ومناصرتها إياه في وجه مخالفه، في الوقت الذي وقفت فيه بعض نساء النبي في مواجهة عسكرية معه، ويتحدد الموقف من باقي النساء بناء على هذا قرباً وبعداً.

وهذا الأمر لا يختص بنساء النبي أو أرحامه، بل بكل مسلم كان

= الاحاديث كأنها في مقابل التزويج الإلهي للنبي بزینب بنت جحش في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَحَ زَيْدٌ نِّهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا﴾.

- (1) يمكن مراجعة نصوص الأحاديث في صحيح البخاري.
- (2) ابن عبد البر؛ النمري: الاستيعاب في معرفة الأصحاب 4 / 1823.
- (3) قد ذكرنا شيئاً من سيرتها ومواقفها في كتابنا أعلام الأسرة النبوية

أو يكون، فقد وضع رسول الله ﷺ مقياسًا لكمال الإيمان وهو حب علي بن أبي طالب وبغضه. والاقتداء به في أموره وعدم ذلك.

بالطبع هذا لا يعني أن تشتم بعض نساء النبي! نعوذ بالله! فليس هذا منهج أئمتهم ولا علمائهم. وإنما الكلام في تقدم هذه وتأخر تلك.. هل له مقياس؟ أو بلا مقياس.. المقياس عند الإمامية هو انسجامهم مع رسول الله وطاعتهم إياه وتوخي مواضع رضاه في حياته، ثم سيرهن على طبق ما أوصى رسول الله من التمسك بولاية أمير المؤمنين وعترة الطاهرين، أو مخالفة ذلك.

النقطة التاسعة: إنه لما يستوقف النظر ويستوجب التأمل أن رسول الله ﷺ لم يرزق بولد (ذكر أو أنثى) إلا من خديجة ومارية، فخديجة التي بقي النبي معها نحو 25 سنة أنجبت له أربعًا من الإناث واثنين من الذكور، ومارية التي لم تبق معه سوى سنتين أنجبت له إبراهيم.

هل هي صدفة ألا تنجب ثمان نساء، ولا يوجد مانع من ذلك كما هو الظاهر، فإن النبي قد مكث مع بعضهن ثمان سنوات وكنّ شابات، بل وأنجب بعضهن من غيره كما أنجب هو ﷺ، من غيرهن. أو أن الأمر يدخل ضمن التدبير الإلهي؟

إن من أنجبت له وكانت هي مبدأ الكوثر النبوي والاستمرار المحمدي هي خديجة التي وصفتها بعض نساء النبي بأنها عجوز من قریش هلكت في أول الدهر! وبواسطتها جاءت فاطمة التي هي حليمة المرتضى وأم الأئمة النجباء عليهم السلام.

النقطة العاشرة: من الطبيعي أن يتم ذكر قضية الإفك عند الحديث عن زوجات النبي ﷺ، واعتقاد الإمامية أن الله سبحانه وتعالى نزهه عرض رسول الله بأن يداس بما لا يناسبه، فلا يصغى إلى أي كلام ينسب الفاحشة لأي من نساء رسول الله. إلا أننا نسجل ملاحظة وهي أن مدرسة الخلفاء قد جعلت هذه القضية أم القضايا، ووظفتها توظيفاً عقائدياً بامتياز، فلا تكاد تذكر السيدة عائشة في سطرٍ إلا وقيل بأنها التي برأها الله من سبع سماوات!! وكأن باقي الآيات في تحذير نساء النبي أو الحديث عن تأمر بعضهن عليه أو ضرب المثل بزوجة نوح ولوط - في سياق الذم - نزلت من أول سماء!

وعلى كل حال فإن هذه القضية تنتهي إلى اتجاهين في روايتها؛ وكنا قد ذكرنا ذلك عند الحديث عن شخصية مارية القبطية في كتابنا أعلام الأسرة النبوية وقلنا:

الرواية الأولى: هي الرواية المشهورة والتي يتبناها بل يكاد يجمع

عليها محدثو ومؤرخو مدرسة الخلفاء ومختصرها كما روتها أم المؤمنين عائشة: عندما قفل النبي من غزوة متجها للمدينة ونزلوا في موضع، قامت عائشة لحاجة عندها، ولما رجعت وجدت عقدها قد انقطع فرجعت تبحث عنه، فحمل الموكلون هودجها من دون أن يلتفتوا إلى أنها ليس فيه! ولما وجدت العقد ورجعت رأتهم قد ارتحلوا عنها! ووجدت صفوان بن المعطل هناك وقد تأخر عن القوم! فأركبها على دابته، وجاء حيث لحق بالنبي والمسلمين! فتكلم أناس في ذلك وخاضوا في الإفك والإثم ونسبوا لها والعياذ بالله الفاحشة معه! ولا سيما زعيم المنافقين: عبد الله بن أبي! وتأثرت طريقة النبي مع زوجته فلم تكن ترى ذلك اللطف السابق! ولم تكن تعرف السبب ولا ما يدور في المدينة بين الناس من حديث الإفك والاتهام الباطل! إلى أن عرفت ذلك من خلال أم مسطح، فلما عرفت استأذنت النبي أن تذهب لبيت والدها، ومرضت على أثر ذلك الاتهام وكانت كثيرة البكاء والتألم من تهمة الإفك تلك! ولم تزل هكذا حتى نزلت الآيات المباركات التي تُبرئها فيه من التهمة،⁽¹⁾ وتشير إلى أن هذا الإفك ليس في ضرر المسلمين، بل ستكون نتيجته في صالح المسلمين.

(1) الطبري؛ ابن جرير: تفسير جامع البيان 19/ 120.

لأنه قد أنزل الله قرآنًا يطهر النبي ويبرئ زوجاته عن هذا الأمر، وفيه نفعٌ لأنه كشف هؤلاء أيضًا بأنهم يتحدثون ضد النبي، وفيه نفعٌ أيضًا لأنه يعلم المسلمين كيف ينبغي التعامل مع الشائعات والأكاذيب التي تنتشر في المجتمع!

وإلى هذا الرأي وأنه نزلت الآيات بعد هذه القضية ذهب عدد من أعلام الإمامية منهم الشيخ محمد بن الحسن الطوسي، شيخ الطائفة، والشيخ الطبرسي صاحب مجمع البيان. ومن المعاصرين السيد محمد صادق الروحاني في جواب استفتاء له مصور ومنشور على الإنترنت صرح فيه بنزول الآية في هذا المورد، وكذلك الشيخ جعفر السبحاني فإنه أرجع في أحد استفتاءاته إلى ما ذكره الشيخ الطبرسي وقال: رأينا في الموضوع هو ما ذكره أمين الإسلام الطبرسي في مجمع البيان في تفسير سورة النور.

الرواية الثانية: في مقابل هذا رأى آخرون أن حادثة الإفك إنما ترتبط بمارية القبطية. ويقولون بأن مارية لما جاءت إلى المدينة كان معها خادم (قيل إنه من أقاربها واسمه مابور)، وكان يسعى في حوائج مارية، ويشتري لها ما تحتاجه، فبدأ منافقون يثيرون كلامًا، في أن بين ذلك الخادم وبين مارية ما لا يرضي الله

سبحانه! بل زادوا في طنبور الافتراء نعمةً فقالوا: إن إبراهيم ليس ولدًا للنبي وإنما ولد ذلك الخادم!

يقولون فأمر رسول الله ﷺ عليًا عليه السلام أن يذهب ويتحقق من الموضوع فإن صح ذلك فليضرب عنقه! والنبي وإن كان يعرف حقيقة الأمر إلا أنه يرتب النتائج على مقدماتها الظاهرية، وليكون أعذر للناس، ولما رأى ذاك الخادم عليًا مقبلًا وبيده السيف وقد وصلت الأمور إلى مثل هذا الحد، وعرف أنه هو المقصود لما كان يدور في تلك الأجواء. استلقى وشعر برجليه وكشف عن موضع عورته!! فإذا به ممسوحٌ محبوب⁽¹⁾ (أي مقطوع العضو الذكري). وكان ذلك كافيًا لإثبات براءته مما رمي به!

ويعتمد القائلون بنزول الآيات في حق مارية على رواية⁽²⁾ حاصلها ما تقدم ذكره! وأيًا كان فإن الرأي المحقق عند علماء المسلمين من الفريقين هو براءة أمهات المؤمنين وزوجات النبي من الفاحشة والخيانة الزوجية ولا يصغى إلى من يقول بخلاف ذلك⁽³⁾.

(1) في لسان العرب 1/ 261 المجبوب: هو الخصي الذي قد استؤصل ذكره وخصياه. وقد كانوا يفعلون ذلك بعبيدهم عندما يريدون أن يجعلوهم في خدمة البيوت ومع النساء! أقول: بالطبع هو من الناحية الشرعية حرام، لكن هذا الخادم عندما جاء كان هكذا منذ مجيئه!

(2) ابن سعد؛ محمد: الطبقات الكبرى 8/ 172.

(3) آل سيف: أعلام الأسرة النبوية 281

أولاده صلوات الله عليه وآله

كان أولاد رسول الله ﷺ (ذكورًا وإناثًا) من زوجته الفضلى خديجة بنت خويلد ومن جاريتيه مارية القبطية، ولم يرزق أي مولود من سائر نساؤه، وفي هذا محل للتأمل أشرنا إليه في السطور الماضية.

فأما أولاده من خديجة عليها السلام فكانوا ابنين وأربع بنات فهم:

1/ القاسم؛ وبه كان يُكنى ﷺ، ويستفاد من الأخبار أنه «أول أولاد النبي»⁽¹⁾ قيل إنه عاش ستين ومات بمكة قبل أن يُوحى إلى النبي⁽²⁾ وقد نقل في الكافي عن الإمام الباقر عليه السلام تأسف وبكاء خديجة على ابنها القاسم، فقال: «دخل رسول الله ﷺ على خديجة حين مات القاسم ابنها وهي تبكي فقال لها: ما يبكيك؟ فقالت: دَرَّتْ دَرِيرَةٌ فبكيت فقال: يا خديجة، أما ترضين إذا كان يوم القيامة أن تجيئي إلى باب الجنة وهو قائم فيأخذ بيدك فيدخلك الجنة وينزلك أفضلها، وذلك لكل مؤمن، إن الله عز وجل أحكم وأكرم أن يسلب المؤمن ثمرة فؤاده، ثم يعذبه بعدها أبدًا».⁽³⁾

(1) وقال ابن هشام: أكبر بنيه القاسم.

(2) ابن الأثير: جامع الأصول 12 / 107.

(3) الكافي: 3 / 218. وتشير الرواية سؤالاً بناء على أن الحادثة كانت قبل بعثة النبي (من ولادة =

2/ عبد الله؛ على اسم والد النبي، وقد يلقب بالطيب والطاهر، وقد رأى بعضهم بأنه ولد بعد البعثة⁽¹⁾ إلا أن هناك رواية في الكافي تشير إلى أنه «لم يولد لرسول الله ﷺ من خديجة عليها السلام إلا فاطمة عليها السلام». (2) وقد عكس الشيخ الطبرسي الترتيب فقال: «أول ما حملت - خديجة - ولدت عبد الله وهو الطيب الطاهر، وولدت له القاسم. وقيل إن القاسم أكبر وهو بكره وبه كان يكنى». والظاهر أنه اعتمد في ذلك على رواية الشيخ الصدوق في الفقيه وهي من غير سند.

3 - 5/ رقية بنت رسول الله، وزينب، وأم كلثوم: وهذا الترتيب هو الذي اختاره ابن هشام في السيرة.

6/ فاطمة الزهراء عليها السلام: وهي الوحيدة من بناته التي ولدت بعد بعثة النبي بخمس سنوات، وهي التي أكرمها الله بمقاماتها الشامخة، فهي سيدة نساء العالمين، وزوجة سيد الوصيين،

= القاسم ووفاته وكلام النبي لخديجة.. هل كان النبي يتصدى لبيان ما يحصل في عالم القيامة قبل بعثته؟ أو أن ولادته كانت قبل البعثة ووفاته بعد البعثة بناء على أنه توفي وعمره سنتان كما هو أحد الأقوال؟ أو هناك توجيه آخر؟

(1) المصدر السابق

(2) الكليني: الكافي: 8 / 338.

وأم الأئمة المعصومين عليهم السلام. وقد تعرضنا لشيء من سيرتها وشؤونها في كتابنا: إني فاطمة وأبي محمد، وهو أحد كتب هذه السلسلة في سيرة المعصومين. واستشهدت بعد وفاة أبيها رسول الله بخمسة وسبعين يومًا كما ورد في روايات صحيحة عن أبنائها عليهم السلام.

بنات النبي الثلاث لسن ربائب

رقية وزينب وأم كلثوم؛ فأول ما يأتي من البحث في أوضاعهن هو تحديد أنهن بنات النبي أو لسن كذلك. وقد ذكرنا في كتابنا أعلام الأسرة النبوية بمناسبة الحديث عن أم المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد، أن بناتها من النبي هن الثلاث والرابعة فاطمة عليها السلام. وقد عرضنا للنظرية الأخرى التي تقول بأنهن ربائب، وتابعنا بدايتها التاريخية وتطورها، وأظهرنا بأنه لا دليل واضحًا على ما يقوله أصحاب النظرية هذه، في مقابل الأدلة الكثيرة الموجودة على كونهن بنات للنبي، ولأننا لا نريد إعادة البحث بتفاصيله هنا، ونحيل من يريد تفصيل الأمر إلى الكتاب المذكور، فسنتصر على ذكر خلاصة عن أدلة القائلين بأنهن بنات النبي - وهو الصحيح فيما نراه:

الأول: أن علماء النسب وهم المرجع في هذه الأمور - وهم

أشبهه بدوائر تسجيل المواليد والهويات الشخصية اليوم - قد نصوا على ولادتهن للنبي ﷺ من خديجة عليها السلام، وقل أن ترى عالم نسب قد ذكر خلاف ذلك.

ومثلهم من كتب في سيرة النبي ﷺ من المتقدمين فقد أطبقوا على هذا الأمر

الثاني: إن الروايات الواردة عن النبي ﷺ وأهل البيت تصرح بهذا المعنى، مثل ما روى الإمام الصادق عن النبي ﷺ «وإن خديجة رحمها الله ولدت مني طاهرًا - وهو عبد الله وهو المطهر - وولدت مني القاسم، وفاطمة ورقية وأم كلثوم وزينب»⁽¹⁾ وهذه صريحة في أنهن بناته. ومثلها روايته الأخرى «وُلد لرسول الله ﷺ من خديجة: القاسم، والطاهر، وأم كلثوم، ورقية، وفاطمة، وزينب»⁽²⁾ وأخذ في شرح أحوالهن وزواجهن.. وهذا بشكل مباشر يدل على ولادتهن لرسول الله من خديجة عليهما وآلهما السلام.

ومنها ما يشير بشكل غير مباشر مثل الرواية التي يمدح فيها رسول الله ابنه الحسن والحسين، فيقول: ألا أدلكم على خير الناس أبًا وأمًّا؟.. إلى أن يقول: خير الناس خالًا وخالة.. الحسن والحسين

(1) ابن بابويه القمي؛ الشيخ الصدوق: الخصال 405.

(2) المصدر نفسه 404.

خالهما القاسم وخالتهما زينب بنت رسول الله..⁽¹⁾ فإنه لا معنى لأن تكون خالتهما لولا أنها بنت رسول الله وأخت أمهما فاطمة.

وكذلك ما ذكر من أن من جملة وصايا فاطمة لأُمير المؤمنين (عليه السلام) حين حضرتها الوفاة أنها أوصته بأن يتزوج من بعد وفاتها ابنة أختها زينب⁽²⁾ «أمامة» بنت أبي العاص بن الربيع. وهو يشير إلى المعنى المتقدم أيضًا.

ومن تلك الروايات التي تشير ضمناً إلى بنوة بنات النبي الثالث، رواية الحسين بن روح النوبختي السفير الثالث للإمام المهدي (عليه السلام) في جوابه على سؤال من سأل: لماذا فضلت فاطمة على سائر بنات النبي وهي أصغرهن سنًا؟ فأجابه إن ذلك لفضل إخلاص عرفه الله من نيتها.⁽³⁾ وهو يشير إلى أن الأمر كان معروفًا بين الشيعة، وإنما السؤال عن جهة التفضيل بين بنات النبي.

(1) ابن بابويه القمي؛ الشيخ الصدوق: الأمالي، ص 523.

(2) ذكره الكثير ممن تعرض لوصية الزهراء (عليها السلام)، كابن شهر آشوب في المناقب 3/ 362 والزنجاني في مواضع متعددة من الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء 1/ 171، واليوسف في موسوعة التاريخ الإسلامي 4/ 172 غيرهم.

(3) الطوسي؛ محمد بن الحسن: الغيبة 1/ 388 في ذكر بعض أحوال الحسين بن روح النوبختي.. وسأله بعض المتكلمين وهو المعروف بترك الهروي فقال له: كم بنات رسول الله ﷺ؟ فقال: أربع، قال: فأيهن أفضل؟ فقال: فاطمة فقال: ولم صارت أفضل، وكانت أصغرهن سنًا وأقلهن صحبة لرسول الله ﷺ؟! قال: لخصلتين خصها الله بهما تطولاً عليها وتشريقاً وإكراماً لها. إحداهما أنها ورثت رسول الله ﷺ ولم يرث غيرها من ولده. والأخرى أن الله تعالى أبقي نسل رسول الله ﷺ منها ولم يبق من غيرها، ولم يخصصها بذلك إلا لفضل إخلاص عرفه من نيتها.

كما يشار إلى كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) في معاتبته للخليفة عثمان، ودعوته إياه إلى انتهاج سبيل صحيح في الإصلاح وأنه أولى من الخليفين الأول والثاني بهذا كما ورد في نهج البلاغة: «وأنت أقرب إلى رسول الله ﷺ وشيعة رحم منهما وقد نلت من صهره ما لم ينال». (1) فما معنى أن يكون صهر النبي لو لم يكن بناته؟

والثالث: نص أعظم الطائفة على ذلك؛ حيث لم يترددوا في الأمر فهذا الشيخ المفيد يجيب في المسائل السروية، (2) على سؤال عن تزويج النبي ﷺ بناته رقية وأم كلثوم، فالقضية مسلمة عنده وإنما تحتاج إلى تعليل وتوجيه. وكذلك السيد المرتضى في كلامه عن وجه أفضلية السيدة الزهراء (عليها السلام) على باقي أخواتها، وذكر الفقيه صاحب الجواهر الأمر كمسلمة من المسلمات فقال: «فقد زوج رسول الله ﷺ فاطمة علياً (عليه السلام) وأختها رقية وأم كلثوم عثمان». (3) وذكر قريباً منه الشيخ الطوسي رحمه الله. وكذلك الشيخ الطبرسي فقد قال: «وإنما ولد له منها ابنان وأربع بنات: زينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة». (4)

(1) الشريف الرضي؛ محمد بن الحسين الموسوي: نهج البلاغة، خطب الإمام علي (عليه السلام)، ص 234.

(2) المفيد؛ محمد بن النعمان: المسائل السروية 1/ 92.

(3) النجفي الجواهري؛ الشيخ محمد حسن: جواهر الكلام 29/ 130.

(4) الطبرسي: إعلام الوري بأعلام الهدى 1/ 275.

ولو كانت هذه الثلاث ربائب فما ميزتهن على حبيبة بنت زوجته أم حبيبة؟ حيث لا نرى في سيرة النبي ذكراً لها، بل ولا أبناء وبنات أم سلمة (برة وزينب وعمر)؟

- أما زينب بنت رسول الله ﷺ فتزوجها أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى في الجاهلية، وبعد إسلامه أرجعها النبي إليه، وتوفيت سنة 7هـ، فولدت لأبي العاص بنتاً اسمها أمامة تزوجها علي بن أبي طالب (عليه السلام) بعد وفاة فاطمة (عليها السلام).⁽¹⁾

- وأما رقية بنت رسول الله ﷺ فتزوجها عتبة بن أبي لهب، فطلقها قبل أن يدخل بها، ولحقها منه أذى، وتزوجها بعده بالمدينة عثمان بن عفان، وتوفيت بالمدينة سنة 2هـ.

- وأما أم كلثوم فتزوجها أيضاً عثمان بعد أختها رقية وتوفيت سنة 9هـ.⁽²⁾

7/ إبراهيم وهو ابن رسول الله ﷺ من مارية القبطية، ولد بالمدينة سنة 8هـ ومات بها وله سنة وستة أشهر وبعض أيام، وقبره بالبقيع.

(1) المصدر نفسه والصفحة.

(2) المصدر السابق ص 276.

عبده ورسوله

نتناول في هذا الفصل شيئاً من عبودية رسول الله ﷺ لربه وعبادته، ضمن النقاط التالية:

1/ في البداية لا بدّ من التفريق بين العبودية والعبادة، فإن العبودية تعني إيمان الشخص بأنه عبدٌ «لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً»، وأنه «لا حول له ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»، بل يصل إلى درجة أنه لا يشعر بوجوده وإنما يرى وجود ربه في كل شيء وكل فعل.

وتأتي العبادة بأشكالها المختلفة؛ من أذكار وأفعال لتحقيق تلك العبودية وتكرسها في النفس الإنسانية، فهو يستحضر أن حتى عبادته؛ خشوعه وخضوعه ليس باختياره لا في أصلها ولا في كیفياتها، فهو يعبد ربه بالمقدار والكيفية التي يريدّها الله منه. ولذلك نعتقد أن أصول العبادات هي موجودة في الديانة السماوية في مراحلها المختلفة وأنبيائها المرسلين، وغايتها وهي تحقيق العبودية حاصلة في أشكالها الأصلية التي لم يطرأ عليها تغيير وتحريف.

وبمقدار ما يتفكر العابد في معاني هذه العبادات يحقق عبوديته⁽¹⁾، ولذلك فَضِّلَ التفكير (في الله وخلقهِ والمصير) الكثير من العبادات فصار «تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة»، بل كان هو العبادة الحقيقية كما ورد عنهم «ليست العبادة بكثرة الصلاة والصوم، إنما العبادة كثرة التّفكّر في أمر الله عزّ وجلّ» وكانت ميزة ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾⁽²⁾ أنهم ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطِلًا﴾.

ومن هنا كانت مرتبة «العبد» تفوق مرتبة «العابد» فإن العابد إنما يأتي بأشكال العبادة ومظاهرها، وما يرتبط بعمل الجوارح من ذكر لساني وحركة فعلية كالصلاة والحج وما شابه، بينما العبد يكون شعوره وإحساسه بالعبودية مرتبطًا بالقلب والاعتقاد الراسخ.

ولعله لهذا إذا أراد الله إعلاء منزلة أحد من رسله ذكره بأنه (نعم العبد)⁽³⁾ ووصف نبينا محمدًا ﷺ بأنه «عبد» فذكره في

(1) بل العبادة الحقيقية هي التفكير فعن الإمام الحسن العسكري عليه السلام يقول: (لَيْسَتْ الْعِبَادَةُ بِكَثْرَةِ الصَّلَاةِ وَالصَّيَامِ، وَإِنَّمَا الْعِبَادَةُ بِكَثْرَةِ التَّفَكُّرِ فِي أَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ).

(2) آل عمران: 191.

(3) فالنبي أيوب ﴿وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَعِمَ الْعَبْدُ﴾ [ص: 44] وسليمان وهبه الله لأبيه هو نعم العبد ﴿وَوَهَبْنَا لِذَاوُدَ سُلَيْمَنًا نَعِمَ الْعَبْدُ﴾ [ص: 30].

مواضع متعددة بهذا كما في ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾⁽¹⁾، وفي ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾⁽²⁾ و﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾⁽³⁾، وهكذا. وفي تشهد الصلاة يشهد المؤمنون للنبي بأنه «عبده ورسوله».

2/ كان النبي المصطفى محمد ﷺ قد حقق في ذاته كلا الجانبين، فهو عبد الله، وهو الذي كان جالساً على الحضيض أي على التراب مباشرة - وأمامه طبق يأكل منه ومعه جماعة، فمرت عليه امرأة، وقالت: يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ لَتَأْكُلُ أَكْلَةَ الْعَبْدِ وَتَجْلِسُ جِلْسَةَ الْعَبْدِ عَلَى التَّرَابِ. فقال لها: وَيْحُكَ وَأَيُّ عَبْدٍ أَعْبَدُ مِنِّي.⁽⁴⁾

وجاء في الرواية أن جبرئيل عرض عليه عن الله عز وجل، خزائن الأرض وما فيها ولا ينقص من أجره شيء فاختار الطرف الآخر وهو أن يكون عبداً، إذا شبع حمد الله وإذا جاع سأل الله تعالى. فكان بذلك وغيره سيد الأولين والآخرين وأقرب الخلق إلى ربه.

(1) الإسراء: 1.

(2) الفرقان آية: 1

(3) النجم: 10.

(4) الكليني: الكافي 6/ 271.

3/ وتلك «العبادة» لم تكن منفصلة عن باقي مناحي حياته ﷺ، بل كانت تكملها وتتكامل معها، فقد يكون من السهل على بعض العباد أن يندروا حياتهم للقيام بأشكال العبادات ومظاهرها، وقد حصل ذلك كثيراً، لكن المهم والمطلوب هو أن تتكامل هذه مع سائر أنحاء الحياة، فلو فرضنا أن العبادات قلب الجسم فلا بد أن يكون لهذا الجسم يدان ورجلان ورأس.. الخ حتى يؤدي مهمته كاملة. وإلا يبقى القلب مهما كان قوياً لا يستطيع القيام بسائر مهام الجسم.

ولذلك فقد أنكر رسول الله ﷺ على بعض المسلمين عندما تركوا حياتهم الزوجية، ومعاشهم الاقتصادي وجهادهم الديني وتفرغوا للقيام بالعبادة - بهذا المعنى الضيق - «فقد جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ، يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها،⁽¹⁾ فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ؟! قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ إليهم، فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟! أما والله إني لأخشاكم لله

(1) اعتبروها قليلة.

وأتقاكم له، لكنني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء،
فمن رغب عن سنتي فليس مني.»⁽¹⁾

ونفس هذا المعنى ينقل عن وصيه أمير المؤمنين عليه السلام في قصته مع عاصم بن زياد الحارثي والغرض من ذلك هو مقاومة التوجه الرهباني المنفصل عن الحياة العامة، وما يتركه ذلك التوجه من فخر وكبر كما لاحظنا في استقلال أولئك نفر لعبادة رسول الله وهو أعبد خلق الله، وهذا الفخر والكبر الذي يتمكن من بعض الناس على أثر كثرة عبادتهم، هو الطرف المناقض لحالة العبودية التي لا يرى العبد فيها نفسه شيئاً! ولا ينظر إلى ذاته فضلاً عن أعماله. بالإضافة إلى ما ينتج عن حالة الرهبانية الصوفية تلك من إهمال لمسؤوليات الإنسان المتنوعة.

لقد ذكرنا في فصل الحياة الأسرية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أن من جملة الأمور المعجزة في حياة رسول الله هو تلك الإدارة المتقنة لجميع الأمور، فبينما هو فارس مبادر إلى دفع الخطر واستعلامه، هو قائد عسكري يجيش الجيوش لتتصر ويخطط لها ولو على بعد مئات الكيلومترات، وهو إلى ذلك موجه اجتماعي، ومدينة علم كاملة، ومدير لتسع نساء وزوجات على ما بينها من الاختلافات والمشاكل، وهو «عبد الله ورسوله»!

(1) صحيح البخاري 7 / 2.

4 / وكما حقق النبي «العبودية» في أعلى درجاتها كما سبق، فقد حقق «العبادة» في أكمل صورها.

لم يكن ﷺ يصلي فقط! بل كان يرتاح إلى الصلاة ويرتاح بها! فإذا حزبه أمر صلى! ولا غرابة في ذلك فقد كانت الصلاة قرّة عينه! و«كان رسول الله ﷺ إذا كان ليلة ريح شديدة، كان مفزعه إلى المسجد، حتى تسكن الريح، وإذا حدث في السماء حدث من خسوف شمس أو قمر، كان مفزعه إلى الصلاة حتى ينجلي». (1)

«كان يحنّ إلى الصلاة، ويتحنّنها، فلا يهدأ له بال، ولا يقرّ له قرار، حتى يقبل عليها، وكان يقول أحياناً لمؤذنه بلال: «يا بلال! أقم الصلاة، أرحنا بها». (2)

وقد عُرف الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام بين المسلمين بعبادته، ومع ذلك فهو لا يرى عبادته شيئاً بالقياس إلى عبادة جده أمير المؤمنين عليه السلام، ولما سئل عن عبادة أمير المؤمنين قال هي كذلك لا شيء بالقياس إلى عبادة رسول الله ﷺ. ومن خلال ذلك تعرف عزيزي القارئ كيف كانت عبادة رسول الله.

(1) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق 19 / 152.

(2) السجستاني؛ أبو داود: سنن أبي داود 4 / 296.

وسنعرض هنا لبعض كفيات عبادة النبي ﷺ، أما وضوءه وهو الذي يثير سؤالاً عند الكثير عن الاختلاف الحاصل في كفيته بين ما يأتي به أتباع مدرسة الخلفاء وبين أتباع مدرسة أهل البيت النبوي، من تثليثهم الغسلات واستثناء الرأس والرجلين من المسح، كما هو نص الآية المباركة، وإبدالهم ذلك بغسل الرأس والرجلين، وهو من جملة (الاجتهادات) في مقابل نص القرآن العظيم وسنة الرسول الكريم، وقد كان الدور الأكبر فيه للخليفة الثالث في السنوات الست التالية من حكمه عندما أقدم على جملة من التغييرات،⁽¹⁾ في الوضوء والصلاة وغيرهما.

ولا ريب مع الاختلاف فإننا مأمورون من النبي ﷺ بالأخذ بما عن أهل بيته، بمقتضى حديث الثقلين وغيره من الأحاديث.

وضوء النبي:

عن زرارة وبكير (ابني أعين) أنهما سألا أبا جعفر (الباقر) عليه السلام عن وضوء رسول الله ﷺ، فدعا بطست أو تور فيه ماء، فغمس

(1) في خصوص ما يرتبط بالوضوء ننصح القارئ الكريم بالرجوع إلى الدراسة القيمة والمفصلة للمحقق السيد علي الشهرستاني: وضوء النبي (3 أجزاء). وفي ما يرتبط بعموم الاجتهادات المقابلة للنص في مدرسة الخلفاء ننصح بالرجوع لكتاب النص والاجتهاد للمرحوم السيد عبد الحسين شرف الدين.

يده اليمنى فغرف بها غرفة فصبّها على وجهه فغسل بها وجهه،⁽¹⁾ ثم غمس كفّه اليسرى فغرف بها غرفة فأفرغ على ذراعه اليمنى فغسل بها ذراعه من المرفق إلى الكف لا يردّها إلى المرفق،⁽²⁾ ثم غمس كفّه اليمنى فأفرغ بها على ذراعه اليسرى من المرفق وصنع بها مثل ما صنع باليمنى، ثم مسح رأسه وقدميه ببلل كفّه، لم يحدث لهما ماءً جديداً،⁽³⁾ ثم قال: ولا يدخل أصابعه تحت الشراك، قال: ثم قال: إن الله عزّ وجلّ يقول: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ﴾⁽⁴⁾.

فليس له أن يدع شيئاً من يديه إلى المرفقين إلّا غسله، لأنّ الله يقول: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ ثم قال: ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ فإذا مسح بشيء من رأسه أو بشيء من قدميه ما بين الكعبين إلى أطراف الأصابع فقد أجزأه.

قال: فقلنا: أين الكعبان؟ قال: ههنا، يعني: المفصل دون عظم الساق، فقلنا: هذا ما هو؟

- (1) هذا في حدود واجبات الوضوء، وقد ورد في روايات أخر استحباب المضمضة والاستنشاق.
- (2) يلاحظ أن هذا ناظر إلى ما هو المتعارف عند مدرسة الخلفاء وهو أنهم ينكسون عادة فيغسلون من الأصابع باتجاه المرفق.
- (3) وهذا نظير سابقه أيضاً.
- (4) المائدة: 6.

فقال: هذا من عظم الساق، والكعب أسفل من ذلك.

فقلنا: أصلحك الله فالغرفة الواحدة تجزي للوجه وغرفة للذراع؟ قال: نعم إذا بالغت فيها والشتان تأتيان على ذلك كله.

وأما صلاة النبي ﷺ :

فقد وردت الرواية المعتبرة عن الإمام الصادق عليه السلام. كما رواها الشيخ الكليني في الكافي عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن حماد بن عيسى قال: قال: لي أبو عبد الله عليه السلام يوماً يا حمادُ تُحَسِّنُ أَنْ تُصَلِّيَ؟ قَالَ: فَقُلْتُ: يَا سَيِّدِي أَنَا أَحْفَظُ كِتَابَ حَرِيزٍ فِي الصَّلَاةِ⁽¹⁾. فَقَالَ: لَا عَلَيْكَ يَا حَمَادُ قُمْ فَصَلِّ! قَالَ: فَقُمْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ مُتَوَجِّهًا إِلَى الْقِبْلَةِ فَاسْتَمْتَحْتُ الصَّلَاةَ فَرَكَعْتُ وَسَجَدْتُ. فَقَالَ: يَا حَمَادُ لَا تُحَسِّنُ أَنْ تُصَلِّيَ مَا أَقْبَحَ بِالرَّجُلِ مِنْكُمْ يَأْتِي عَلَيْهِ سِتُّونَ سَنَةً أَوْ سَبْعُونَ سَنَةً فَلَا يُقِيمُ صَلَاةً وَاحِدَةً بِحُدُودِهَا تَامَةً.⁽²⁾ قَالَ: حَمَادُ فَأَصَابَنِي فِي نَفْسِي الذُّلُّ فَقُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ فَعَلَّمَنِي الصَّلَاةَ. فَقَامَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

(1) كتاب حريز السجستاني من الكتب المشهورة في أحكام وكيفية الصلاة.

(2) لا يعني ذلك أن صلاة حماد كانت باطلة، وإنما أراد الإمام عليه السلام أن يبين له الصلاة الكاملة بتمام

حدودها وهي التي نعتقد أنها كانت صلاة رسول الله ﷺ.

مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ مُتَّصِبًا فَأَرْسَلَ يَدَيْهِ جَمِيعًا عَلَى فَخْذَيْهِ قَدْ ضَمَّ أَصَابِعَهُ وَقَرَّبَ بَيْنَ قَدَمَيْهِ حَتَّى كَانَ بَيْنَهُمَا قَدْرُ ثَلَاثِ أَصَابِعٍ مُنْفَرَجَاتٍ⁽¹⁾ وَاسْتَقْبَلَ بِأَصَابِعِ رِجْلَيْهِ جَمِيعًا الْقِبْلَةَ لَمْ يُحَرِّفْهُمَا عَنِ الْقِبْلَةِ وَقَالَ بِخُشُوعٍ اللَّهُ أَكْبَرُ. ثُمَّ قَرَأَ الْحَمْدَ بِتَرْتِيلٍ وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ. ثُمَّ صَبَرَ هُنَيْئَةً بِقَدْرِ مَا يَتَنَفَّسُ وَهُوَ قَائِمٌ ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ حِيَالَ وَجْهِهِ وَقَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ وَهُوَ قَائِمٌ. ثُمَّ رَكَعَ وَمَلَأَ كَفَّيْهِ مِنْ رُكْبَتَيْهِ مُنْفَرَجَاتٍ وَرَدَّ رُكْبَتَيْهِ إِلَى خَلْفِهِ حَتَّى اسْتَوَى ظَهْرُهُ حَتَّى لَوْ صُبَّ عَلَيْهِ قَطْرَةٌ مِنْ مَاءٍ أَوْ دُهْنٍ لَمْ تَزُلْ لاسْتِوَاءِ ظَهْرِهِ وَمَدَّ عُنُقَهُ وَغَمَضَ عَيْنَيْهِ ثُمَّ سَبَّحَ ثَلَاثًا بِتَرْتِيلٍ فَقَالَ سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ. ثُمَّ اسْتَوَى قَائِمًا فَلَمَّا اسْتَمَكَنَ مِنَ الْقِيَامِ قَالَ سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ ثُمَّ كَبَّرَ وَهُوَ قَائِمٌ وَرَفَعَ يَدَيْهِ حِيَالَ وَجْهِهِ ثُمَّ سَجَدَ وَبَسَطَ كَفَّيْهِ مَضْمُومَتَيِ الْأَصَابِعِ بَيْنَ يَدَيْ رُكْبَتَيْهِ حِيَالَ وَجْهِهِ فَقَالَ سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى وَبِحَمْدِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَلَمْ يَضَعْ شَيْئًا مِنْ جَسَدِهِ عَلَى شَيْءٍ مِنْهُ وَسَجَدَ عَلَى ثَمَانِيَةِ أَعْظُمِ الْكَفَّيْنِ وَالرُّكْبَتَيْنِ وَأَنَامِلِ إِبْهَامَي الرَّجْلَيْنِ وَالْجَبْهَةِ وَالْأَنْفِ. وَقَالَ: سَبْعَةٌ

(1) لاحظ الفرق بين هذا الموقف وبين ما يسجله فقه مدرسة الخلفاء من تباعد ما بين القدمين إلى

حد يتجاوز نصف متر!

مِنْهَا فَرَضُ يُسْجِدُ عَلَيْهَا وَهِيَ الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ فِي كِتَابِهِ فَقَالَ
وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا وَهِيَ الْجِبْهَةُ وَالْكَفَّانِ
وَالرُّكْبَتَانِ وَالْإِبْهَامَانِ وَوَضَعَ الْأَنْفَ عَلَى الْأَرْضِ سُنَّةً. ثُمَّ رَفَعَ
رَأْسَهُ مِنَ السُّجُودِ فَلَمَّا اسْتَوَى جَالِسًا قَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ ثُمَّ قَعَدَ عَلَى
فَخِذِهِ الْأَيْسَرِ وَقَدْ وَضَعَ ظَاهِرَ قَدَمِهِ الْأَيْمَنِ عَلَى بَطْنِ قَدَمِهِ
الْأَيْسَرِ وَقَالَ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ رَبِّي وَأَتُوبُ إِلَيْهِ ثُمَّ كَبَّرَ وَهُوَ جَالِسٌ
وَسَجَدَ السَّجْدَةَ الثَّانِيَةَ وَقَالَ كَمَا قَالَ فِي الْأُولَى وَلَمْ يَضَعْ
شَيْئًا مِنْ بَدَنِهِ عَلَى شَيْءٍ مِنْهُ فِي رُكُوعٍ وَلَا سُجُودٍ وَكَانَ مُجَنِّحًا
وَلَمْ يَضَعْ ذِرَاعِيَهُ عَلَى الْأَرْضِ فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ عَلَى هَذَا وَيَدَاهُ
مَضْمُومَتَا الْأَصَابِعِ وَهُوَ جَالِسٌ فِي التَّشَهُّدِ. فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ التَّشَهُّدِ
سَلَّمَ فَقَالَ يَا حَمَّادُ هَكَذَا صَلَّ. ⁽¹⁾

نوافل النبي:

خاطب الله سبحانه نبيه المصطفى بقيام الليل، فقال: ﴿قُرْ أَلَيْلَ
إِلَّا قَلِيلًا﴾ (*) يَصِفُهُ أَوْ أَنْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (*) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (*)
إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا (*) إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا ⁽²⁾

(1) الكليني: الكافي 3/ 312.

(2) المزمّل: 2 - 6.

وقال له: ﴿وَمِنْ أَلِيلٍ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾⁽¹⁾ والمعروف بين الإمامية أن نافلة الليل كانت واجبة على رسول الله وكان هذا من خصائصه ﷺ.

وقد «قام النبي ﷺ حتى تورمت قدماه، ف قيل له: يا رسول الله! تفعل هذا وقد غفر الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبداً شكوراً؟»⁽²⁾.

وقال أبو ذر⁽³⁾: «قام رسول الله ﷺ حتى أصبح بآية، والآية: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾»⁽⁴⁾

وعن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «كان رسول الله ﷺ يصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة: منها الوتر وركعتا الفجر في السفر والحضر»⁽⁵⁾.

وروي عن أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام قوله: «كان رسول الله ﷺ يصلي من التطوع مثلي الفريضة ويصوم من التطوع مثلي الفريضة»⁽⁶⁾

(1) الإسرائ: 79.

(2) ابن أبي شيبة الكوفي: مصنف ابن أبي شيبة 19 / 266.

(3) النسائي: السنن الكبرى 2 / 24.

(4) المائدة: 118

(5) أقول هو ما عليه الإمامية اليوم من صلاة الليل.

(6) الكليني: الكافي 3 / 443.

وفي تفصيل ذلك فقد سأل عمرو بن حريث أبا عبد الله عليه السلام فقال له: «جعلت فداك أخبرني عن صلاة رسول الله ﷺ فقال: كان النبي ﷺ يصلي ثمان ركعات الزوال وأربعاً الأولى وثمانى بعدها وأربعاً العصر وثلاثاً المغرب وأربعاً بعد المغرب والعشاء الآخرة أربعاً وثمانى صلاة الليل ثلاثاً الوتر وركعتي الفجر وصلاة الغداة ركعتين»⁽¹⁾.

ويوافق السابق ما جاء في بعض مصادر مدرسة الخلفاء من «أن رسول الله ﷺ، كان يصلي من الليل إحدى عشرة ركعة، يوتر منها بواحدة. فإذا فرغ، اضطجع على شقه الأيمن»⁽²⁾.

دعاء النبي؛

أما كيفية دعائه ﷺ فقد ذكروا عنها هذه الصورة، «أنه ﷺ كان يرفع يديه إذا ابتهل ودعا، كما يستطعم المسكين» وكان يتضرع عند الدعاء حتى يكاد يسقط رداؤه»⁽³⁾.

وأما نصوص دعائه فإننا نعتقد أن الأدعية المروية عن

(1) الحر العاملي: وسائل الشيعة (آل البيت) 4/ 47. والترتيب الملتزم في النوافل اليومية المرتبة عند الإمامية.

(2) مالك بن أنس: موطأ مالك - رواية يحيى 1/ 120.

(3) الراوندي؛ قطب الدين: الدعوات (سلوة الحزين) ص 22.

المعصومين ﷺ، أصولها من جدهم النبي ﷺ، ومع ذلك قد نقلت المصادر المختلفة عن النبي بعض الأدعية بخصوصها،⁽¹⁾ فمنها ما نقله الطبراني في المعجم الأوسط وقال: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُكْثِرُ أَنْ يَدْعُوَ بِهَذَا الدُّعَاءِ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي أَخْشَاكَ حَتَّى كَأَنِّي أَرَاكَ أَبَدًا حَتَّى أَلْقَاكَ، وَأَسْعِدْنِي بِتَقْوَاكَ، وَلَا تُشْقِنِي بِمَعْصِيَتِكَ، وَخِرْ لِي فِي قَضَائِكَ، وَبَارِكْ لِي فِي قَدْرِكَ، حَتَّى لَا أَحِبَّ تَعْجِيلَ مَا أَخَّرْتَ، وَلَا تَأْخِيرَ مَا عَجَّلْتَ، وَاجْعَلْ غِنَايَ فِي نَفْسِي، وَأَمْتِعْنِي بِسَمْعِي وَبَصَرِي وَاجْعَلْهُمَا الْوَارِثَ مِنِّي، وَانصُرْنِي عَلَى مَنْ ظَلَمَنِي، وَارْنِي فِيهِ ثَأْرِي، وَأَقْرَبْ بِذَلِكَ عَيْنِي..»⁽²⁾

ومنها ما نقل أن رسول الله ﷺ كان يدعو فيقول:

«اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعْصِيَتِكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتِكَ، وَمِنْ الْيَقِينِ مَا يَهْوُنُ عَلَيْنَا مِنْ مَصَائِبِ الدُّنْيَا، وَتَمْتَعُنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا (وانصُرْنَا) عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمًّا، وَلَا تَسْلُطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا.»⁽³⁾

(1) في كتابه (سنن النبي - مع الملحقات -) أورد المرحوم العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي نحو مائة حديث؛ بين ما يشتمل على آداب دعاء النبي وبين نصوص أدعيته فليراجع من أحب التفصيل.

(2) الريشهري؛ محمد: كنز الدعاء ج 1 ونلاحظ أن هذه الفقرة قد وردت في دعاء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عرفة.

(3) وقد ورد هذا القسم من الدعاء في مستحبات ليلة النصف من شعبان في كتب الإمامية.

اللَّهُمَّ إِلَيْكَ الْحَمْدُ، وَإِلَيْكَ الْمُشْتَكَى، وَأَنْتَ الْمُسْتَعَانُ، وَفِيمَا
عِنْدَكَ الرَّغْبَةُ، وَلَدَيْكَ غَايَةُ الطَّلِبَةِ. اللَّهُمَّ آمِنْ رَوْعَتِي، وَاسْتُرْ
عَوْرَتِي. اللَّهُمَّ أَصْلِحْ دِينَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا
دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَصْلِحْ آخِرَتَنَا الَّتِي إِلَيْهَا مُنْقَلَبُنَا، وَاجْعَلِ
الْحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالْوَفَاةَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ. اللَّهُمَّ
إِنَّا نَسْأَلُكَ مَوْجِبَاتِ رَحْمَتِكَ وَعِزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ، وَالْغَنِيمَةَ مِنْ
كُلِّ بَرٍّ، وَالسَّلَامَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ، يَا مَوْضِعَ كُلِّ شَكْوَى، وَشَاهِدَ كُلِّ
نَجْوَى، وَكَاشِفَ كُلِّ بَلْوَى، فَإِنَّكَ تَرَى وَلَا تُرَى، وَأَنْتَ بِالْمَنْظَرِ
الْأَعْلَى، أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا يُقَرِّبُ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَفِعْلٍ، وَأَعُوذُ بِكَ
مِنَ النَّارِ وَمَا يُقَرِّبُ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ الْخَيْرِ؛ رِضْوَانَكَ وَالْجَنَّةَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ
شَرِّ الشَّرِّ؛ سَخَطِكَ وَالنَّارِ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا تَعْلَمُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ،
فَإِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ.

يَا مَنْ أَظْهَرَ الْجَمِيلَ، وَسَتَرَ عَلَيَّ الْقَبِيحَ، يَا مَنْ لَمْ يَهْتِكِ السِّرَّ،
وَلَمْ يُؤَاخِذْ بِالْجَرِيرَةِ، يَا عَظِيمَ الْعَفْوِ، وَيَا حَسَنَ التَّجَاوُزِ، يَا وَاسِعَ
الْمَغْفِرَةِ، يَا بَاسِطَ الْيَدَيْنِ بِالرَّحْمَةِ. يَا صَاحِبَ كُلِّ نَجْوَى، وَمُنْتَهَى كُلِّ

شكوى، يا مُقِيلَ العَثَرَاتِ، يا كَرِيمَ الصَّفْحِ، يا عَظِيمَ المَنِّ، يا مُبْتَدِئًا
بِالنَّعْمِ قَبْلَ اسْتِحْقَاقِهَا، يا رَبَّاهُ يا سَيِّدَاهُ يا أَمْلَاهُ، يا غَايَةَ رَغْبَتَاهُ». (1)

ليلة النصف من شعبان ودعاء النبي

سوف ننقل للقارئ العزيز صورة مما كان يفعله النبي من إحياء
ليلة النصف من شعبان، وننقل أولاً ما جاء في مصادر الإمامية،
ثم ننقل نفس الحادثة مما جاء في مصادر مدرسة الخلفاء، فقد
أورد شيخ الطائفة الطوسي (ت 460 هـ) في كتابه مصباح المتعبد،
أنه «روى حماد بن عيسى عن أبان بن تغلب قال: قال أبو عبد
الله (جعفر الصادق) عليه السلام: لما كان ليلة النصف من شعبان، كان
رسول الله ﷺ عند عايشة فلما انتصف الليل قام رسول الله ﷺ عن
فراشها، فلما انتبهت وجدت رسول الله ﷺ قد قام عن فراشها فدخلها
ما يتداخل النساء وظنت أنه قد قام إلى بعض نسائه فقامت وتلففت
بشملتها وأيم الله ما كان قزاً ولا كتاناً ولا قطناً ولكن كان سداً شعراً
ولحمته أوبار الإبل، فقامت تطلب رسول الله ﷺ في حجر نسائه
حجرة حجرة فيينا هي كذلك إذ نظرت إلى رسول الله ﷺ ساجداً
كثوب متلبط على وجه الأرض فدنت منه قريباً فسمعت في سجوده،

(1) الريشهري؛ محمد: كنز الدعاء 73/1 وهذه الفقرة الأخيرة التي تبدأ بقوله: يا من أظهر الجميل..

من الأدعية المشهورة عند الإمامية ولها تنمة في آخرها..

وهو يقول: سجد لك سوادي وخيالي وأمن بك فؤادي، هذه يداي وما جنيته على نفسي يا عظيم ترجى لكل عظيم اغفر لي العظيم فإنه لا يغفر الذنب العظيم إلا الرب العظيم.

ثم رفع رأسه ثم عاد ساجداً. فسمعتة يقول:

أعوذ بنور وجهك الذي أضاءت له السماوات والأرضون، وانكشفت له الظلمات وصلاح عليه أمر الأولين والآخرين من فجاءة نقمتك ومن تحويل عافيتك ومن زوال نعمتك، اللهم ارزقني قلباً تقياً نقياً ومن الشرك بريئاً لا كافراً ولا شقيماً.

ثم عفر خديه في التراب فقال: عفرت وجهي في التراب وحق لي أن أسجد لك.

فلما هم رسول الله ﷺ بالانصراف، هرولت إلى فراشها فأتى رسول الله ﷺ فراشها فإذا لها نفسٌ عال، فقال لها رسول الله ﷺ: ما هذا النفس العالي؟ أما تعلمين أي ليلة هذه؟ هذه ليلة النصف من شعبان، فيها تقسم الأرزاق وفيها تكتب الآجال وفيها يكتب وفد الحاج وإن الله تعالى ليغفر في هذه الليلة من خلقه أكثر من عدد شعر معزى كلب وينزل الله تعالى ملائكته من السماء إلى الأرض بمكة⁽¹⁾.

(1) الطوسي؛ شيخ الطائفة: مصباح المتعجد ص 842.

هذا النص الذي نقلناه هو من مصادر الإمامية، فهل لنقرأ الحادثة في بعض مصادر مدرسة الخلفاء، وننقل النص الذي أورده الطبراني (ت 360هـ) في كتابه الدعاء، فقد قال ناقلًا عن عائشة «ونقل شبيها بنص الرواية السابقة إلى قولها.. يقول في سجوده: سجد لك سوادي وخيالي وآمن بك فؤادي، هذه يدي وما جنيت بها على نفسي يا عظيم يرجى لكل عظيم اغفر الذنب العظيم سجد وجهي للذي خلقه وشق سمعه وبصره، ثم رفع رأسه فعاد ساجدًا فقال: أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك أنت كما أثنت على نفسك أقول كما قال أخي داود عليه السلام: أعفر وجهي في التراب لسيدي فحق له إن سجد، ثم رفع رأسه فقال: اللهم ارزقني قلبًا من الشرك نقيًا لا كافرًا ولا شقيًا. قالت: ثم انصرف فدخل معي في الخميلة ولي نفس عال، فقال: ما هذا النفس يا حميراء؟ فأخبرته فطفق يمسح بيده عن ركبتي ويقول: وبئس هاتين الركبتين ماذا لقيتا في هذه الليلة النصف من شعبان ينزل الله عز وجل إلى السماء الدنيا فيغفر لعباده إلا لمشرك أو مشاحن»⁽¹⁾.

(1) الطبراني: الدعاء ص 195 ونلاحظ هنا في نص الطبراني: قوله في الأخير أنه طفق يمسح بيده عن ركبتي ويقول وبئس هاتين الركبتين.. ماذا لقيتا؟ لم نفهم المقصود منه؟ هل هو بيان لشدة اهتمام الرسول بركبتي زوجته؟ أو ذم للفعل بمقتضى قوله: بئس! والأهم من ذلك هو التأكيد =

صلاة النبي أو صلاة الخلفاء؟

يظهر من عدد من الروايات أن بعض أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يلاحظون أن الصلاة (الرسمية القائمة) التي تدعمها الخلافة، تختلف عما هو موجود لدى أهل البيت وعما نقلوا عن رسول الله، ولذلك كانوا يسألون أحياناً عن صلاة النبي، أو أنهم إذا صلوا مع بعض أهل البيت تذكروهم تلك الصلاة بصلاة رسول الله، وهذا يفسر لنا أحد أوجه الاختلاف في كيفية الوضوء والصلاة عند المسلمين.

- ففي وضوء الصلاة قال النبي إنه لا تتم صلاة أحد حتى يأتي بأفعال الوضوء، ومنها أن يمسح رأسه ورجليه، تماماً مثلما قال القرآن، لا أن يغسلهما؛ وقد جاء في مصادر مدرسة الخلفاء عن «رفاعة بن رافع، أنه كان جالساً عند النبي ﷺ فقال: «إنها لا تتم صلاة لأحد، حتى يسبغ الوضوء، كما أمره الله تعالى، يغسل وجهه ويديه إلى المرفقين، ويمسح برأسه، ورجليه إلى الكعيين»⁽¹⁾.

= على أنه: «ينزل الله السماء الدنيا..» ومن المعلوم أن الله تعالى لا تجري عليه الحركات من نزول وصعود! بينما هو في نص الإمامية عن الصادق عليه السلام، يُنزل الله ملائكته من السماء إلى الأرض.. وهو الصحيح.

(1) القزويني؛ ابن ماجه: سنن ابن ماجه 1/ 156 وقد وصف الألباني الحديث بأنه صحيح! ومع =

وفي رواية يتبين فيها أن الالتزام بهذا النحو من الوضوء يسبب للشخص مشاكل، لذلك فإن أبا مالك الأشعري لما قال لقومه: اجتمعوا أصلي بكم صلاة رسول الله ﷺ، فلما اجتمعوا قال: هل فيكم أحدٌ من غيركم؟ قالوا: لا إلا ابن أخت لنا، قال: فإن ابن أخت القوم منهم! ⁽¹⁾ وكأن القضية تحتاج إلى الإسرار بها وأن لا يكون هناك شخص غريب يمكن أن ينم عليهم ويخبر عنهم، وعندما أسبغ الوضوء مسح رأسه!

- في عدد الركعات في السفر: ذكر ابن حزم «من طريق سفيان بن عيينة عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: اعتل عثمان وهو بمنى فأتى عليّ فقليل له: صلّ بالناس؟ فقال: إن شئتم صليت لكم صلاة رسول الله ﷺ يعني ركعتين قالوا: لا، إلا صلاة أمير المؤمنين يعنون عثمان - أربعاً فأبى عثمان! فلم يُسمح للإمام عليّ أن يصلي بصلاة رسول الله! ⁽²⁾

- وعن مطرف بن عبد الله بن الشخير قال: صليت أنا وعمران بن حصين بالكوفة خلف علي بن أبي طالب، يكبر هذا التكبير

= ذلك لا يلتزم بمضمونه من أن هذا هو إسباغ الوضوء وأنه الذي فرضه الله، وفيه يغسل وجهه ويديه ويمسح رأسه ورجليه!

(1) الصنعاني؛ عبد الرزاق: مصنف عبد الرزاق 2/ 348.

(2) الاندلسي؛ ابن حزم: المحلى بالآثار 3/ 191.

حين يركع، وحين يسجد فيكبره كله، فلما انصرفنا قال لي عمران: «ما صليت منذ حين، أو منذ كذا وكذا أشبه بصلاة رسول الله ﷺ من هذه الصلاة» يعني صلاة علي⁽¹⁾.

- والصلاة على الجنازة خمس تكبيرات لا أربع: «عن عبد العزيز بن حكيم، قال: صليت خلف زيد بن أرقم على جنازة، «فكبر خمس تكبيرات، قال: وحدثني رجل أنه سمعه، يقول: هذه صلاة رسول الله ﷺ». ⁽²⁾ وفي نقل آخر عن أيوب بن سعيد بن حمزة، قال: «صليت خلف زيد بن أرقم على جنازة فكبر خمسا، ثم قال: «صليت خلف رسول الله ﷺ على جنازة فكبر خمسًا فلن ندعها لأحد» ⁽³⁾ ويظهر من قوله فلن ندعها لأحد أنه كان هناك «أحد» له سطوة يمنع عن تلك الصلاة ويصر على تربع التكبيرات.. ⁽⁴⁾
- والتكبير قبل وبعد الأفعال الصلواتية هو سنة رسول الله لكنه

(1) الصنعاني؛ عبد الرزاق: مصنف عبد الرزاق 2 / 348.

(2) الخطيب البغدادي: تلخيص المتشابه في الرسم 2 / 725.

(3) الدارقطني؛ علي بن عمر: سنن الدارقطني 2 / 434.

(4) لا تزال الصورة المتعارفة عند أتباع مدرسة الخلفاء أن صلاة الجنازة أربع تكبيرات لا غير، بينما هي عند الإمامية خمس تكبيرات، وقد فسرت في بعض الروايات بأن كل تكبيرة هي بدل عن صلاة فريضة وهي خمس فرائض في اليوم واللييلة.

ترك في زمان الخليفة الثالث، واستمر أتباع تلك المدرسة عليه ف«عن عمران بن حصين، قال: صليت خلف علي بن أبي طالب صلاة ذكرني صلاة صليتها مع رسول الله ﷺ والخليفين، قال: فانطلقت فصليت معه، فإذا هو يكبر كلما سجد وكلما رفع رأسه من الركوع، فقلت: يا أبا نجيد، من أول من تركه؟ قال: عثمان بن عفان حين كبر وضعف صوته تركه». (1) وقد وصف الإمام علي عليه الصلاة والسلام رسول الله ﷺ فقال: كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ كَبَّرَ وَرَفَعَ يَدَيْهِ حَذْوَ مَنْكِبَيْهِ، وَيَصْنَعُ مِثْلَ ذَلِكَ إِذَا قَضَى قِرَاءَتَهُ وَأَرَادَ أَنْ يَرْكَعَ، وَيَصْنَعُهُ إِذَا رَفَعَ مِنَ الرُّكُوعِ، وَلَا يَرْفَعُ يَدَيْهِ فِي شَيْءٍ مِنْ صَلَاتِهِ وَهُوَ قَاعِدٌ، وَإِذَا قَامَ مِنَ السَّجْدَتَيْنِ رَفَعَ يَدَيْهِ كَذَلِكَ وَكَبَّرَ». (2)

(1) الشيباني؛ أحمد بن حنبل: مسند أحمد 33 / 112.

(2) الريشهري؛ محمد: الصلاة في الكتاب والسنة ص 89.

هذا هو النبيّ: كيف وصّفه وصيُّه

لعل أفضل من يقدم لنا صورة عن النبي المصطفى في شمائله وخلائقه هو أمير المؤمنين (عليه السلام)، وقد نقل في مصادر مدرسة الخلفاء بعض كلمات الإمام (عليه السلام) في توصيف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، سننقلها ونكتفي فيها بإيضاح ما كان صعباً على القارئ الكريم، ثم نأخذ صورة أخرى أكثر تفصيلاً مما رواه الحسنان (عليهما السلام) عن هند بن أبي هالة، فتكامل بهاتين الروايتين صورة واضحة عن رسول الله في خلقه وخُلقه.

أما ما روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) فهو متعدد، وكأنّه (عليه السلام) كان يُقصد بالسؤال في هذا الجانب، فتارة يأتيه خبر من الأخبار ويطلب منه صفة النبي ولما وجد التطابق بين ما علمه من الكتب السابقة وبين ما وصفه به أسلم على يد الإمام (عليه السلام)، وكان ذلك بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

وكما حصلت هذه الحادثة في المدينة المنورة بعد وفاة

رسول الله بأيام، فقد سبقتها حادثة قبل وفاته ﷺ، وهو ما نقله السيوطي راوياً عن أمير المؤمنين نفسه، فقال في كتابه جمع الجوامع «عن عليّ قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن، فإني لأخطب يوماً على الناس وحبرٌ من أحبار اليهود واقف في يده سفر ينظر فيه، فناداني فقال: صف لنا أبا القاسم، فقال عليٌّ... وأخذ في وصف رسول الله، فلما فرغ من ذلك قال الحبر: فإني أشهد أنه نبيٌّ وأنه رسول الله إلى الناس كافة، فعلى ذلك أحياء، وعليه أموت، وعليه أبعث إن شاء الله». (1)

بل نقلت مصادر مدرسة الخلفاء (2) أن الخليفة الأول لما سأله أحدهم عن صفة النبي ﷺ أحال السائل على أمير المؤمنين (عليه السلام) ليصفه له.

وثالثة يأتيه رجل أنصاري في أيام خلافته أي بعد نحو خمس وعشرين سنة ويسأله عن صفة رسول الله ﷺ.

بل نجد في مصادر الإمامية أن الإمام الحسين (عليه السلام) وهو ممن عاصر جده رسول الله ﷺ يسأل أباه عن شؤون النبي لا في خلقته الظاهرية فقط بل «عن مدخل النبي ومخرجه، ومجلسه، وشكله، فلم يدع منه شيئاً» كما سيأتي في رواية الشيخ الصدوق.

(1) السيوطي؛ جلال الدين: جمع الجوامع 17 / 717.

(2) الدمشقي؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق 54 / 197.

وهذا يبين كثيراً من المعاني؛ منها إقرار الجميع بقرب أمير المؤمنين من النبي أكثر من أي أحد غيره، ومعرفته به ظاهراً وباطناً، خلقاً وخلقاً.

فهلّم عزيزي القارئ لكي نتفياً من الجنة ظلالها في وصف النبي وأوصافه.. لنرى جمال النبي وكماله. لعل المعرفة بجماله تزيدنا حباً به، ولعل المعرفة بكماله تحذونا للاقتداء به في مكارم الأخلاق العالية التي وصفها ربه أحسن الوصف حين قال: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ).

1/ النص الأول: ما ذكره ابن هشام في السيرة⁽¹⁾ «عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، قَالَ: كَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام، إِذَا نَعَتَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ: لَمْ يَكُنْ بِالطَّوِيلِ الْمُمَغْطِ،⁽²⁾ وَلَا الْقَصِيرِ الْمُتَرَدِّدِ. وَكَانَ رُبْعَةً مِنَ الْقَوْمِ، وَلَمْ يَكُنْ بِالْجَعْدِ الْقَطِطِ⁽³⁾ وَلَا السَّيِّطِ، كَانَ جَعْدًا رَجُلًا،⁽⁴⁾ وَلَمْ

(1) الحميري؛ ابن هشام: سيرة ابن هشام 1/ 401.

(2) الممتد.

(3) القطط: الشديد جعودة الشعر.

(4) رجلاً: مسرح الشعر

يَكُنْ بِالْمُطَهَّمِ ⁽¹⁾ وَلَا الْمُكَلَّثِمِ ⁽²⁾ وَكَانَ أَيْضَ مُشْرَبًا، أَدْعَجَ ⁽³⁾
 الْعَيْنَيْنِ، أَهْدَبَ ⁽⁴⁾ الْأَشْفَارَ، جَلِيلَ الْمُشَاشِ ⁽⁵⁾ وَالْكَتَدِ، ⁽⁶⁾
 دَقِيقَ الْمَسْرَبَةِ، ⁽⁷⁾ أَجْرَدَ ⁽⁸⁾ شَتْنِ ⁽⁹⁾ الْكَفَّيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ، إِذَا مَشَى
 تَقَلَّعَ، ⁽¹⁰⁾ كَأَنَّمَا يَمْشِي فِي صَبَبٍ، ⁽¹¹⁾ وَإِذَا التَفَتَ التَفَتَ جَمِيعًا،
 بَيْنَ كَتِفَيْهِ خَاتَمُ النُّبُوَّةِ، وَهُوَ ^ﷺ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، أَجْوَدُ النَّاسِ
 كَفًّا، وَأَجْرَأُ النَّاسِ صَدْرًا، وَأَصْدَقُ النَّاسِ لَهْجَةً، وَأَوْفَى النَّاسِ
 ذِمَّةً، وَالْيَنُحْمُ عَرِيكَةً، وَأَكْرَمُهُمْ عَشْرَةً، مَنْ رَأَاهُ بِدِيهَةٍ هَابَهُ، وَمَنْ
 خَالَطَهُ أَحَبَّهُ، يَقُولُ نَاعِتُهُ: لَمْ أَرْ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ، ^ﷺ

2/ النص الثاني: ما نقله ابن عساكر في تاريخ دمشق مفصلاً،
 وفيه مقدمة عن مجيء حَبْرٍ من أحبار اليهود من بيت
 المقدس للمدينة بعد ثلاثة أيام من وفاة الرسول وبحثه عن

(1) المطهَّم: العَظِيمُ الجِسْمِ.

(2) مستدير الوجه في صغر.

(3) أسود العينين.

(4) أهدب الأشفار: طوّلها

(5) المشاش: عظام رُؤُوس المفاصل.

(6) مَا بَيْنَ الْكَتِفَيْنِ.

(7) الشَّعْرُ الَّذِي يَمْتَدُّ مِنَ الصَّدْرِ إِلَى السُّرَّةِ.

(8) الْقَلِيلُ شعر الجِسْمِ.

(9) غليظ.

(10) لم يثبت قَدَمَيْهِ.

(11) مَا انحدر من الأرض

رسول الله، وسؤاله عمّا إذا كان أحد من قرابته موجودًا، وإجابة أمير المؤمنين إياه وطلب الخبر من عليّ (عليه السلام) صفة النبي (صلى الله عليه وآله)، فقال: «بأبي وأمي لم يكن بالطويل الذاهب ولا بالقصير كانربعة من الرجال أبيض مشربًا بحمرة جعد المفرق شعره إلى شحمة أذنيه صلت الجبين واضح الخدين مقرون الحاجبين أدعج العينين سبط الأشفار أقنى الأنف دقيق المسربة مبلج الثنايا كث اللحية كأن عنقه إبريق فضة كأن الذهب يجري في تراقيه كان عرقه في وجهه كاللؤلؤ شثن الكفين والقدمين له شعرات ما بين لبتة وصدره تجري كالقضيب لم يكن على بطنه ولا على ظهره شعرات غيرها يفوح منه ريح المسك إذا قام غَمَر الناس وإذا مشى فكأنما يتقلع من صخرة إذا التفت جميعًا وإذا يتحدر كأنما يتحدر في صلب أطهر الناس خُلِقًا وأشجع الناس قلبًا وأسخى الناس كفًا لم يكن قبله مثله ولا يكون بعده مثله أبدًا قال الخبر: يا عليّ إني أصبت في التوراة هذه الصفة أيقنت أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله»⁽¹⁾.

3/ النص الثالث: ما ذكره ابن سعد «الطبقات الكبير» من أن

(1) الدمشقي؛ ابن عساکر: تاريخ دمشق 3/ 393.

رجلاً من الأنصار سأل علياً عليه السلام وهو مُحْتَبٌ بحمائل سيفه في مسجد الكوفة عن نعت رسول الله، ﷺ، وصفته، فقال: «كان رسول الله، ﷺ، أبيض اللون، مُشرباً حمرة، أدهج العين، سبط الشعر، كث اللحية، سهل الخد، ذا وفرة، دقيق المَسْرَبَةِ، كأنَّ عُنُقَهُ إبريق فضة، له شعر من لَبَتِهِ إلى سُرَّتِهِ يجري كالقضيبي، ليس في بطنه ولا صدره شعرٌ غيره، شَتَنَ الكف والقدم، إذا مشى كأنما ينحدر من صَبَبٍ، وإذا قام كأنما يَنْقَلِعُ من صخر، إذا التفت التفت جميعاً، كأنَّ عَرَفَهُ في وجهه اللؤلؤ، ولريحُ عَرَقِهِ أطيب من المسك الأذفر، ليس بالقصير ولا بالطويل، ولا بالعاجز ولا اللئيم، لم أر قبله ولا بعده مثله، ﷺ». (1)

4/ النص الرابع: ما ذكره غير واحد من المصنفين من الإمامية وغيرهم عن الإمام الحسين عليه السلام حيث [قَالَ الْحُسَيْنُ: سَأَلْتُ أَبِي عَنْ دُخُولِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: كَانَ دُخُولُهُ لِنَفْسِهِ مَأْذُونًا لَهُ فِي ذَلِكَ. فَكَانَ إِذَا أَوَى إِلَى مَنْزِلِهِ جَزَأً دُخُولُهُ ثَلَاثَةَ أَجْزَاءٍ. جُزْءًا لِلَّهِ. وَجُزْءًا لِأَهْلِهِ. وَجُزْءًا لِنَفْسِهِ. ثُمَّ جُزْءًا جُزْءُهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ. فَيُسْرِدُ ذَلِكَ عَلَى الْعَامَّةِ بِالْخَاصَّةِ. وَلَا يَدَّخِرُ عَنْهُمْ

(1) البغدادي؛ ابن سعد: الطبقات الكبير 1/ 353.

شيئاً. وَكَانَ مِنْ سِيرَتِهِ فِي جُزْءِ الْأُمَّةِ إِثَارُ أَهْلِ الْفَضْلِ نَادِيَهُ وَقَسَمَهُ عَلَى قَدَرِ فَضْلِهِمْ فِي الدِّينِ. فَمِنْهُمْ ذُو الْحَاجَةِ. وَمِنْهُمْ ذُو الْحَاجَتَيْنِ. وَمِنْهُمْ ذُو الْحَوَائِجِ. فَيَتَشَاغَلُ بِهِمْ وَيَشْغُلُهُمْ فِيمَا أَصْلَحَهُمْ وَالْأُمَّةَ مِنْ مَسْأَلَتِهِ عَنْهُمْ وَإِخْبَارِهِمْ بِالَّذِي يَنْبَغِي لَهُمْ وَيَقُولُ: لِيُبْلِغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ وَأَبْلِغُونِي حَاجَةَ مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ إبْلَاغِي حَاجَتَهُ. فَإِنَّهُ مَنْ أَبْلَغَ سُلْطَانًا حَاجَةَ مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ إبْلَاغَهَا إِيَّاهُ ثَبَّتَ اللَّهُ قَدَمِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. لَا يُذَكِّرُ عَنْدهُ إِلَّا ذَلِكَ وَلَا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ غَيْرَهُ. يَدْخُلُونَ رُودَادًا وَلَا يَفْتَرِقُونَ إِلَّا عَنْ ذَوَاقٍ (شيء عظيم الذائقة) وَيُخْرِجُونَ أدِلَّةً].

[قَالَ: فَسَأَلْتُهُ عَنْ مُخْرِجِهِ كَيْفَ كَانَ يَصْنَعُ فِيهِ. فَقَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْزُنُ لِسَانَهُ إِلَّا مِمَّا يَعِينُهُمْ وَيُؤْلَفُهُمْ وَلَا يُفَرِّقُهُمْ. أَوْ قَالَ يُفَرِّقُهُمْ. وَيُكْرِمُ كَرِيمَ كُلِّ قَوْمٍ وَيُؤْلِيهِ عَلَيْهِمْ. وَيَحْذَرُ النَّاسَ وَيَحْتَرِسُ مِنْهُمْ مَنْ غَيْرِ أَنْ يَطْوِيَ عَنْ أَحَدٍ بَشَرَهُ وَلَا خُلُقَهُ. وَيَتَقَدَّدُ أَصْحَابَهُ وَيَسْأَلُ النَّاسَ عَمَّا فِي النَّاسِ. وَيُحَسِّنُ الْحَسَنَ وَيَقْوِيهِ. وَيَقْبَحُ الْقَبِيحَ وَيُوهِنُهُ. مُعْتَدِلُ الْأَمْرِ غَيْرٌ مُخْتَلِفٍ. لَا يَغْفُلُ مَخَافَةَ أَنْ يَغْفُلُوا. لِكُلِّ حَالٍ عِنْدَهُ عِتَادٌ (عدة واستعداد) لَا يَقْصِرُ عَنِ الْحَقِّ وَلَا يَجُوزُهُ الدِّينَ. يَلُونَهُ مِنَ النَّاسِ خِيَارُهُمْ. أَفْضَلُهُمْ عِنْدَهُ أَعْمَهُمْ نَصِيحَةً. وَأَعْظَمُهُمْ عِنْدَهُ مَنَزَلَةً أَحْسَنُهُمْ مُوَاسَاةً وَمُؤَاوَزَةً].

[قَالَ: فَسَأَلْتُهُ عَنْ مَجْلِسِهِ. فَقَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يَجْلِسُ وَلَا يَقُومُ إِلَّا عَلَى ذِكْرِ. لَا يُوطِنُ الْأَمَاكِنَ وَيَنْهَى عَنْ إِطَانِهَا (لَا يَحْجِزُ مَكَانًا خَاصًّا). وَإِذَا انْتَهَى إِلَى قَوْمٍ جَلَسَ حَيْثُ انْتَهَى بِهِ الْمَجْلِسُ وَيَأْمُرُ بِذَلِكَ. يُعْطِي كُلَّ جُلَسَائِهِ بِنَصِيْبِهِ. لَا يَحْسَبُ جَلِيسُهُ أَنَّ أَحَدًا أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنْهُ. مَنْ جَالَسَهُ أَوْ قَاوَمَهُ فِي حَاجَةٍ صَابِرُهُ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الْمُنْصَرَفُ. وَمَنْ سَأَلَهُ حَاجَةً لَمْ يَرُدَّهُ إِلَّا بِهَا أَوْ بِمَيْسُورٍ مِنَ الْقَوْلِ. قَدْ وَسِعَ النَّاسَ مِنْهُ بَسْطُهُ وَخُلُقُهُ.

فَصَارَ لَهُمْ أَبَا وَصَارُوا فِي الْحَقِّ عِنْدَهُ سَوَاءً. مَجْلِسُهُ مَجْلِسُ حِلْمٍ وَحَيَاءٍ وَصَبْرٍ وَأَمَانَةٍ لَا تُرْفَعُ فِيهِ الْأَصْوَاتُ وَلَا تُؤَبَّنُ فِيهِ الْحُرْمُ (لَا تُذَكَّرُ فِيهِ النِّسَاءُ) وَلَا تُنْشَى فَلَكَائِهِ مُتَعَادِلِينَ يَتَفَاضَلُونَ فِيهِ بِالتَّقْوَى.

مُتَوَاضِعِينَ يُوقِّرُونَ فِيهِ الْكَبِيرَ وَيَرْحَمُونَ فِيهِ الصَّغِيرَ. وَيُؤَثِّرُونَ ذَا الْحَاجَةِ. وَيَحْفَظُونَ أَوْ يَحُوطُونَ الْغَرِيبَ].

[قَالَ قُلْتُ: كَيْفَ كَانَتْ سِيرَتُهُ فِي جُلَسَائِهِ؟ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ دَائِمَ الْبَشْرِ. سَهْلَ الْخُلُقِ. لَيِّنَ الْجَانِبِ. لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ وَلَا صَخَّابٍ وَلَا فَحَّاشٍ وَلَا عِيَّابٍ. يَتَغَافَلُ عَمَّا لَا يَشْتَهِي. وَلَا يَدْنُسُ مِنْهُ وَلَا يُجْنِبُ فِيهِ. قَدْ تَرَكَ نَفْسَهُ مِنْ ثَلَاثٍ:

المرء. والإكثار. ومما لا يعنيه. وترك الناس من ثلاث. كان لا يذم أحدا ولا يعيره. ولا يطلب عورته. ولا يتكلم إلا فيما رجا ثوابه. إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير. فإذا سكت تكلموا ولا يتنازعون عنده. من تكلم أنصتوا له حتى يفرغ حديثهم عنده. حديث أوليتهم يضحك مما يضحكون منه. ويتعجب مما يتعجبون منه. ويصبر للغريب على الجفوة في منطقته ومسألته حتى إذا كان أصحابه ليستجلبونهم. ويقول: إذا رأيتم طالب الحاجة يطلبها فأردفوه. ولا يقبل الشاء إلا من مكافئ. ولا يقطع عن أحد حديثه حتى يجوز فيقطعه بنهي أو قيام].

[قال: فسأله كيف كان سكوته. قال: كان سكوت رسول الله - صلى الله عليه وآله - على أربع: على الحلم. والحذر. والتقرير. والتفكير. فأما تقريره ففي تسوية النظر والاستماع من الناس. وأما تذكره أو تفكره ففيمما يبقى ويقنى. وجمع الحلم والصبر وكان لا يغضبه شيء ولا يستنفره. وجمع له الحذر في أربع: أخذه بالحسن ليقتدى به. وتركه القبيح ليشأه عنه. واجتهاده الرأي فيما أصلح أمته. والقيام فيما جمع لهم الدنيا والآخرة.⁽¹⁾

(1) قد نقل هذا النص الشيخ الصدوق في كتبه؛ عيون أخبار الرضا، ومعاني الأخبار، كما ذكره ابن سعد في الطبقات والنص المذكور هو منه والطبراني في معاجمه وغيرهم في غيرها من الكتب.

5/ النص الخامس: ما رواه الشيخ الصدوق نفسه عن الإمام الحسن عليه السلام ناقلاً عن هند بن أبي هالة وكان وصافاً للنبي، بعدما سأله الإمام عن ذلك وهذا يشير إلى تطلب الإمام الحسن (وقد تقدم سؤال الإمام الحسين أباه عن أخلاق النبي وسلوكه) عما يرتبط بشؤون النبي ﷺ، فقال له هند: «كان رسول الله ﷺ فخمًا مُفَحَّمًا، يتلألاً وجهه تلالؤ القمر ليلة البدر، أطول من المربع، وأقصر من المشذب، عظيم الهامة، رجل الشعر، ان انفرقت عقيصته فرق، وإلا فلا يجاوز شعره شحمة اذنيه إذا هو وفره، أزهر اللون، واسع الجبين، أزج الحواجب، سوابغ في غير قرن، بينهما عرق يدره الغضب، أبقى العرينين، له نور يعلوه، يحسبه من لم يتأمله أشم. كث اللحية، سهل الخدين، ضليع الفم، أشنب، مفلج الأسنان، دقيق المسربة، كأن عنقه جيد دمية في صفاء الفضة، معتدل الخلق، بادئاً متماسكاً، سواء البطن والصدر، بعيد ما بين المنكبين، ضخم الكراديس، عريض الصدر، أنور المتجرد، موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط، عاري الثديين والبطن مما سوى ذلك. أشعر الذراعين والمنكبين وأعلى الصدر، طويل الزندين، رحب الراحة، شثن

الكفين والقدمين. سائل الأطراف، سبط القصب، خمصان الأخمصين، مسيح القدمين، ينبو عنهما الماء، إذا زال زال قلعا، يخطو تكفؤا، ويمشي هونًا، ذريع المشية، إذا مشى كأنما ينحط في صيب، وإذا التفت التفت جميعًا. خافض الطرف، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، جل نظره الملاحظة، يبدر من لقيه بالسلام.

قال (عليه السلام): فقلت له: صف لي منطقه فقال: كان صلى الله عليه وآله متواصل الأحزان دائم الفكر، ليس له راحة، طويل السكت، لا يتكلم في غير حاجة، يفتح الكلام ويختمه بأشداقه، يتكلم بجوامع الكلام فصلاً لا فضول فيه ولا تقصير، دمثاً، ليس بالجافي ولا بالمهين، تعظم عنده النعمة وإن دقت لا يذم منها شيئاً، غير أنه كان لا يذم ذواقاً ولا يمدحه. ولا تغضبه الدنيا وما كان لها، فإذا تعوطي الحق لم يعرفه أحد، ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له، إذا أشار بكفه كلها، وإذا تعجب قلبها، وإذا تحدث اتصل بها، فضر براحته اليمنى باطن إبهامه اليسرى، وإذا غضب أعرض وأشاح، وإذا فرح غض طرفه. جل ضحكه التبسم، يفتر عن مثل حب الغمام»⁽¹⁾.

(1) ابن بابويه؛ الصدوق: عيون أخبار الرضا (عليه السلام) 1/282، ومعاني الأخبار ص 80 والطبراني: الأحاديث الطوال ص 75.

أسئلة حول الرسالة والرسول

1 / إرضاع السيدة حليلة للنبي

في رسالة لمتابعي قنواتنا طلبت منهم إن كان لديهم أسئلة ترتبط بالسيرة النبوية، فكان موضوع إرضاع السيدة حليلة السعدية للنبي في طفولته من أكثر الأسئلة وروداً، ما بين استيضاح عن حصوله وعدمه وبين فرض أنه لم يحصل وطلب رد وهكذا.

ج/ كأن هذه الأسئلة في الغالب متأثرة بما طرح في السنوات الخمس الأخيرة من التشكيك في ذلك على بعض المنابر وفي مقابلات أو مقاطع صوتية. ولم أعثر في بحث - غير مستوعب - على دراسة مكتوبة في حجج القائلين بعدم رضاعه ﷺ، أو كتاب يتعرض لهذا الجانب.

لذلك سوف نتابع ما ذكر في تلك المقابلات والمنابر وما شابه لصياغة حجج القائلين بعدم حصول ذلك:

1/ وأهم حجة يعتمدها القائلون بعدم حصول هذا الارتضاع تعتمد على موضوع عقيدي هو: أن المعصوم لا يمكن أن يرتضع من مشركة، لما تعين من أنه (لم تنجسك الجاهلية بأنجاسها ولم تلبسك من مدلهما ثيابها) ⁽¹⁾ وموقع النبي كسيد للمعصومين يفترض هذا الأمر. حيث أن حليمة السعدية لم يثبت كونها مؤمنة في وقت طفولته.

2/ والحجة الثانية قولهم: إن القرآن الكريم قد قال في حق نبي الله موسى ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ﴾ ⁽²⁾ حتى يرجع إلى الارتضاع من أمه، فلا يعقل أن يحبو الله موسى بهذه الكرامة ويحرم منها رسول الله وهو أفضل منه وأشرف.

3/ والحجة الثالثة قولهم أن روايات إرضاعه متخالفة من حيث التفاصيل، فبينما تقول بعضها إن ذلك تمَّ بعد أيام وبعضها قال إن ذلك تمَّ بعد أسبوع وبعضها سنة وهكذا، فيظهر من هذا التخالف عدم صحتها.

4/ كما أنهم استشهدوا بقول الشهيد الثاني في شرح اللمعة عندما نقل - مرسلاً - عن النبي «ونشأت في بني سعد

(1) الحسنی؛ السيد ابن طاووس: إقبال الأعمال 3/102، في زيارة الإمام الحسين (عليه السلام).

(2) القصص: 12.

وارتضعت من بني زهرة»⁽¹⁾ فالارتضاع حصل في بني زهرة يعني بواسطة أمه آمنة بنت وهب وهي زهرية، ونشأته كانت في بني سعد.

وفي المقابل فإن القائلين بارتضاعه - في الجملة - سواء كان من أوائل ولادته أو بعد مدة، يمكن لهم أن يناقشوا الحجج السابقة بما يلي:

أولاً: بأن إدخال الموضوع العقائدي في البحث التاريخي في التأييد أو النفي ليس صحيحاً بحسب المنهج العلمي، ذلك أن الموضوع العقائدي هو نفسه متحرك، وقد يختلف فيه أصحاب المدرسة الواحدة، فلو قال أحد أنه هل يوجد دليل قطعي على امتناع ارتضاع المعصوم من غير المسلمة! فماذا سيكون الجواب؟ أقصى ما سيكون الجواب هو محاولة استدلال أخرى قد تُقبل وقد لا تُقبل! فليس هذا من الضروريات عند الإمامية وإن كان مشهوراً.

وكذلك حال النقاش في «كفر» حليلة السعدية! فما هو

(1) العاملي؛ زين الدين: الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية 5/ 165 قال: (ويستحب في الارتضاع) (اختيار) المرضعة (العاقلة المسلمة العفيفة الوضيئة) الحسنة (للرضاع)، لأن الرضاع مؤثر في الطباع، والأخلاق، والصورة، قال النبي ﷺ: «أنا أفصح العرب بيد أني من قريش، ونشأت في بني سعد وارتضعت من بني زهرة».

الدليل عليه؟ نعم هي لم تكن مسلمة حين إرضاعها للرسول لأن الإسلام لم يكن بعد! فقد تكون على الحنيفية كما هو حال الكثير من بني هاشم وغيرهم، ولا سيما مع انتخاب عبد المطلب إيّاها، بناء على رواية أنه هو الذي أرسل إليها لتأتي، لا الرواية المشهورة في مصادر مدرسة الخلفاء والتي تقول بأنها لم تحصل على رضيع غير (اليتيم) وهي رواية غير صحيحة. فمع القول بأنه هو الذي أرسل خلفها لا ريب أن سينتخب كما هو حال كل جَدٍّ حَدَبٍ على حفيده، أفضل من يمكن الحصول عليه من المرضعات! ومن المعلوم أن عبد المطلب كان على الحنيفية الإبراهيمية⁽¹⁾ رافضاً لعبادة الأصنام. وقد لمست بركات النبي - بمجرد أن أخذته - في بدنها ودابتها وزرعها ومنطقتها، وكان ذلك يزيد لها إيماناً.

وثانياً: بأن قضية موسى لا ترتبط بما نحن فيه، وربما لم يفرق القائل بين خصائص الأنبياء وفضيلتهم فليس كل ما ثبت لنبي يجب أن يثبت للنبي الأفضل منه! فإن عصا موسى التي تلقف ما يافكون من مختصاته بحسب زمانه ومعجزته في وجه فرعون، لكنها ليست دليلاً على أفضليته من النبي محمد، فحتى لو لم

(1) راجع الفصل الخاص به في كتابنا أعلام الأسرة النبوية ص 43.

يستخدم النبي تلك العصا فلا يعني هذا شيئاً. وقد أشرنا في موضع آخر من هذه السلسلة إلى لزوم التفريق بين الخصائص والفضائل في حياة المعصومين.

«حرمنا عليه المراضع» لظرف معين وغاية محددة! فهل يعني ذلك أن كل معصوم لا يجوز أن ترضعه غير أمه؟⁽¹⁾

وثالثاً: في اختلاف تفاصيل الرواية، فللخصم أن يقول: إن ذلك قد يعني أن أصل القضية ثابت لكن الاختلاف في تفاصيلها، نعم لو كان الاختلاف بنحو ينسب أحد الاطراف الارتضاع لقبيلة والآخر لقبيلة أخرى فلا ينفع في إثبات الارتضاع لأي من الطرفين.. وما نحن فيه هو من هذا القبيل فإن الاختلاف في الزمان (أيام أو أسابيع أو أكثر) أو الاختلاف في الكيفية (في أن حليلة هي التي أتت مكة فأخذته أو أنها أرسل لها عبد المطلب فأئت وأخذته) يثبت أصل أخذه منها وإرضاعها إياه.

ورابعاً: يمكن للقائلين بحصول الارتضاع أن يناقشوا في الحديث المذكور الذي أرسله الشهيد الثاني بأنه لا أصل له مع أنه مشهور، فقد وصف في كتب مدرسة الخلفاء بذلك، ومن

(1) الصدوق: عيون أخبار الرضا عليه السلام 1/ 24؛ كان الإمام علي بن موسى الرضا يرتضع كثيراً وكان تام الخلق، فقالت أمه تكتم: أعينوني بمرضع.

نقله من الإمامية إنما نقلوه عنهم، حيث لا سند له في كتبهم. مع أنه نقل بأشكال مختلفة بعضها ينفع القائلين بالارتضاع، ويمكن المناقشة في مضمونه.

هذا في رد الحجج، وأما ما يمكن الاستدلال لهم به، فبالتالي:

الدليل الأول: ما ورد من الروايات المثبتة لهذا الحادث فإن كتب السيرة والتاريخ في مدرسة الخلفاء بما يشبه الإجماع قد ذكرت هذه الحادثة عند الحديث عن سيرة النبي وطفولته، فلا تجد كتاباً يغفلها، بدءاً من أقدم الكتب فقد ذكرها ابن إسحاق (ت 151هـ) في كتابه وذكر الحديث عن حدثه عنها (وهو الحديث المفصل التي تبين فيه بعض بركات أخذها لرسول الله من يوم أن استلمته في مكة..) ⁽¹⁾ وذكر نسبها فقال هي حليلة ابنة أبي ذؤيب، وأبو ذؤيب هو عبد الله بن الحارث من بني سعد بن هوازن. وعنه أخذ من تأخر كابن هشام (ت 213هـ) في السيرة ⁽²⁾ والكلبي (ت 204هـ) في جمهرة النسب ⁽³⁾ والبلاذري (ت 279هـ) في أنساب الأشراف والطبري (ت 310هـ) في تاريخه، وهكذا.

(1) ابن إسحاق: السير والمغازي ص 49.

(2) الحميري؛ ابن هشام: سيرة ابن هشام 1/ 160.

(3) ابن السائب الكلبي؛ هشام بن محمد: جمهرة النسب ص 394.

وأما في مصادر الإمامية فقد ذكر ارتضاعه منها المسعوديُّ (ت 346 هـ) في كتابيه التنبيه والإشراف ومروج الذهب⁽¹⁾ ويستفاد من رواية الكليني في الكافي نفس المعنى بشكل غير مباشر: من أن رسول الله ﷺ أتته أخت له من الرضاعة فلما نظر إليها سربها وبسط ملحفته لها فأجلسها عليها ثم أقبل يحدثها ويضحك في وجهها.⁽²⁾ وستأتي الإشارة إلى هذه الحادثة.

وذكر علماء الإمامية المتقدمون ذلك فقد قال الشيخ أبو الفتح الكراجكي (ت 449 هـ) رضاعه بقوله: «وشرف الله تعالى حليلة بنت أبي ذؤيب السعدية برضاعه وأخصها بتربيته وكانت ذات عقل وفضل فروت من آيات فضله ما يبهر عقول السامعين وأغناها الله ببركته.»⁽³⁾ إلى آخر كلامه، كما ذكر ذلك الشيخ الطبرسي (ت 548 هـ) في مجمع البيان⁽⁴⁾ في تفسير آية ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾⁽⁵⁾ وقطب الدين الراوندي (ت 573 هـ) في الخرائج والجرائح؛ وفصل فيه حديث مجيئها لمكة وأخذها النبي وعرض لشيء من بركاته

(1) المسعودي؛ علي بن الحسين: مروج الذهب ومعادن الجوهر 2/ 274.

(2) الكليني: الكافي 2/ 161 والرواية معتبرة بناء على أن الوارد فيها؛ (عمار بن خباب) هو عمار الدهني.

(3) الكراجكي؛ محمد بن علي: كنز الفوائد 1/ 72.

(4) مجمع البيان في تفسير القرآن 10/ 383.

(5) الضحى: 7.

وكراماته في فترة الرضاعة⁽¹⁾ ومثله صنع ابن شهر آشوب (ت 588هـ) في مناقب آل أبي طالب⁽²⁾ في نقل القصة.

هذا فضلاً عن المعاصرين كالمحدث القمي في كحل البصر حيث قال: «حليمة السعدية عليها السلام بنت أبي ذؤيب، واسمه عبد الله بن حارث ينتهي نسبه إلى قيس عيلان وهي التي أرضعته حتى أكملت رضاعه بلبن زوجها الحارث بن عبد العزى»⁽³⁾ وكالسيد الأمين في أعيان الشيعة حيث قال: «أرضعته حتى شب حليمة بنت أبي ذؤيب عبد الله السعدية من بني سعد بن بكر وكان أهل مكة يسترضعون لأولادهم نساء أهل البادية»⁽⁴⁾ والشيخ ناصر مكارم الشيرازي في الأقسام القرآنية،⁽⁵⁾ والشيخ جعفر السبحاني في السيرة المحمدية،⁽⁶⁾ والسيد جعفر مرتضى العاملي في الصحيح من سيرة النبي الأعظم في مواضع متفرقة.⁽⁷⁾ والشيخ اليوسفي الغروي في موسوعة التاريخ حيث قال: «إنّ خبر رضاع

(1) الخرائج والجرائح 1/ 81.

(2) مناقب آل أبي طالب 1/ 32.

(3) القمي؛ الشيخ عباس: كحل البصر في سيرة سيد البشر ص 47.

(4) الأمين؛ السيد محسن: أعيان الشيعة 1/ 219.

(5) الأقسام القرآنية 1/ 232.

(6) السيرة المحمدية 1/ 35.

(7) الصحيح من سيرة النبي الأعظم 2/ 68 فصاعداً.

النبي ﷺ من حليلة السعدية من المسلم به من أخبار التأريخ إجمالاً⁽¹⁾. وغيرهم.

مع ملاحظة أن المرجع الأساس في القضايا التاريخية هم أهل التخصص والخبرة في هذا الجانب، وقولهم حجة ما لم يعلم بمخالفته للواقع.

الدليل الثاني: ما ترتب على هذا الإرضاع من آثار فقهية، فإن من المعلوم أن الإرضاع إذا تحقق بشروطه فإنه يترتب عليه آثار فقهية في ثبوت المحرمية والنسب - بهذا المعنى - بين المرتضع والمرضعة وأبنائها وبناتها وصاحب اللبن (زوج المرضعة).

وقد نقل التأريخ في مواضع متعددة ثبوت هذا المعنى بين النبي ﷺ وبين حليلة وبناتها وأبنائها. فقد نص كل من ترجم للشيماء بنت الحارث (وهي بنت حليلة السعدية) بأنها أخت النبي من الرضاعة⁽²⁾.

وهكذا الحال في أبي سفيان بن الحارث فقد ذكر السيد علي خان (ت 1120هـ) في الدرجات الرفيعة اشتراكه في الرضاع

(1) موسوعة التاريخ الإسلامي 1/ 265.

(2) فانظر إلى ابن عبد البر في الاستيعاب 4 / 344 - 345، وابن حجر العسقلاني في الإصابة في تمييز الصحابة 4 / 344 وابن الأثير في أسد الغابة 5 / 489 وغيرهم.

مع النبي من حليلة السعدية فقال في ترجمته: «أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب هو ابن عم رسول الله وأخوه من الرضاعة أرضعتهما حليلة السعدية أياماً..»⁽¹⁾ وصرح به السيد عبد الحسين شرف الدين في الفصول المهمة، بنفس النص أيضاً.⁽²⁾ وذكره المحقق التستري في قاموس الرجال.⁽³⁾

الدليل الثالث: ما ترتب عليه من آثار اجتماعية، وأبرزها ما حصل في معركة حنين، حيث استشفعت الشيماء بنت حليلة السعدية، بأخوتها الرضاعية للنبي، وأمضى لها رسول الله ﷺ ذلك، وقد تناول المؤلفون هذه الحادثة بين مسهب فيها ومختصر، والنتيجة هي أنه لولا حصول هذا الارتضاع لما كان معنى لكل تلك الحادثة التي ذكرها كل من أرخ لمعركة حنين وما جرى بعدها، وننقل هنا مختصراً عنها:

فقد ذكر الواقدي أن النبي ﷺ أمر بالقبض على رجل من هوازن كان قد أخذ رجلاً مسلماً فقطع أعضائه ثم أحرقه بالنار، فأصابه المسلمون وأسروا من كان هناك «فضموه إلى الشيماء

(1) المدني الشيرازي؛ السيد علي خان: الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة، ص 165 ونقل نفس

النص السيد العاملي في كتابه الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) 21 / 255.

(2) شرف الدين: الفصول المهمة في تأليف الأمة ص 191.

(3) التستري؛ الشيخ محمد تقي قاموس الرجال 11 / 351.

بنت الحارث بن عبد العزى أخت رسول الله ﷺ من الرضاعة، فعنفوا عليها في السياق، فجعلت الشيماء بنت الحارث تقول: إني والله أخت صاحبكم! ولا يصدّقونها، وأخذها طائفة من الأنصار، وكانوا أشد الناس على هوازن، حتى أتوا بها رسول الله ﷺ فقالت: يا محمد، إني أختك! قال النبي ﷺ: وما علامة ذلك؟ فأرته عضه وقالت: عضضتها وأنا متوركتك بوادي السرر، ونحن يومئذ برعائهم، أبوك أبي وأمك أُمي، قد نازعتك الثدي، وتذكر يا رسول الله... فعرف رسول الله ﷺ العلامة، فوثب قائمًا فبسط رداءه، ثم قال: اجلسي عليه!

ورحب بها، ودمعت عيناه، وسألها عن أمه وأبيه من الرضاعة، فأخبرته بموتهما في الزمان.

ثم قال: إن أحببت فأقيمي عندنا محبة مكرمة، وإن أحببت أن ترجعي إلى قومك وصلتك ورجعت إلى قومك. قالت: أرجع إلى قومي»⁽¹⁾.. إلى آخر روايته التي نقلها سائر المؤرخين.⁽²⁾ وفيها أن النبي أكرمها وقومها وأطلق الأسرى بشفاعتها في ذلك. وإلى هذه الحادثة أشارت رواية الكافي عن عمار بن حيان

(1) الواقدي؛ محمد بن عمر: المغازي 3/ 914.

(2) الحميري؛ ابن هشام: سيرة ابن هشام 2/ 458 وكذلك الطبري في تاريخ الرسل والملوك، 3/ 81.

(خباب) قال: خبرت أبا عبد الله ﷺ ببر إسماعيل ابني بي، فقال: لقد كنت أحبه وقد ازددت له حباً، إن رسول الله ﷺ أخته أخت له من الرضاعة فلما نظر إليها سربها وبسط ملحفته لها فأجلسها عليه ثم أقبل يحدثها ويضحك في وجهها، ثم قامت وذهبت وجاء أخوها، فلم يصنع به ما صنع بها، ف قيل له: يا رسول الله صنعت بأخته ما لم تصنع به وهو رجل؟ فقال: لأنها كانت أبر بوالديها منه»⁽¹⁾.

فهذه الحادثة والتي أجمع على حصولها الفريقان - على اختلاف في ذكر التفاصيل واختصارها- لا معنى لها من دون تحقق الرضاع.

2 / رواية غريبة في رضاع النبي!

من الشبهات التي أثارها الجدليون الطائفيون للمشغبة على أتباع أهل البيت ﷺ، ما ذكروه من وجود رواية في الكافي تشير إلى أن أبا طالب أرضع النبي (!) أياماً إلى أن حصل على حليمة السعدية.. فماذا يقال في هذا الشأن؟

(1) الكليني: الكافي 2/ 161 وقد علق المحقق للكتاب بقوله: أخته وأخوه ﷺ من الرضاعة هما ولدا حليمة السعدية.

الجواب: في البداية ننقل الرواية محل الكلام ثم نبين الجواب:

نعم نقل الشيخ الكليني في الكافي بسنده المنتهي إلى الإمام الصادق قوله: لما ولد النبي ﷺ مكث أياماً ليس له لبن، فألقاه أبو طالب على ثدي نفسه، فأنزل الله فيه لبناً فوضع منه أياماً حتى وقع أبو طالب على حليلة السعدية فدفعه إليها⁽¹⁾.

والبحث فيه تارة يكون من جهة سنده وقد ذكر العلماء بأن هذا الحديث ضعيفٌ كما عن العلامة المجلسي في مرآة العقول⁽²⁾ واعتبر الشيخ اليوسفي الحديث موضوعاً، وأن واضع الرواية من الغلاة،⁽³⁾ وأما من حيث مضمونه، فإن واضع الخبر لم يلتفت إلى

(1) الكليني: الكافي 1/ 448.

(2) المجلسي؛ المولى محمد باقر: مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول 5/ 252.

(3) اليوسفي الغروي؛ الشيخ محمد هادي موسوعة التاريخ الإسلامي 1/ 262، وأضاف الغروي بعد أن اعتبره من وضع الغلاة، إلى ذلك ما جاء في ذم علي بن أبي حمزة البطائني وهو أحد رجال سند الحديث، قال: «روى الكشي في رجاله في ذم علي بن أبي حمزة البطائني أخباراً كثيرة تتهمه بالكذب وتلعنه، فلعنه الله عليه. غفر الله للكليني وابن شهر آشوب والمجلسي إذ رووا هذا الكذب، ورحم الله الشيخ الرباني الشيرازي محقق البحار إذ علّق على هذا الكذب بقوله: الحديث لا يخلو عن غرابة، وفي إسناده جماعة لا يحتج بحديثهم».

ولم يتيسر لي الوصول إلى حقيقة معنى ما قاله المرجع الديني المرحوم السيد محمد صادق الروحاني في أجوبة المسائل في الفكر والعقيدة والتاريخ والأخلاق 1/ 280، فإنه بعد أن قال: «الرواية ضعيفة السند لجملته من الرواة» عطف عليه بالقول: «ولا غرابة في نزول اللبن على ثدي أبي طالب، فإنه من قبيل الإعجاز، ولعله منشأ اشتداد أخوة أمير المؤمنين ﷺ للنبي ﷺ، كما صرح بذلك بعض المحققين».

أن أبا طالب لم تكن له علاقة خاصة بالنبي إلا بعد ثمان سنوات من ولادته حيث كان طيلة هذه السنوات تحت كفالة جده عبد المطلب ولم يكن لأبي طالب دورٌ استثنائي في كفالة النبي إلا بعد وفاة أبيه عبد المطلب. وأيضًا: ما هو الوجه في هذه (المعجزة أو الكرامة)؟ وإنما تكون المعجزة للأنبياء لإثبات صدقهم مع دعواهم النبوة، أو تكون الكرامة للأوصياء وأمثالهم لبيان فضلهم واتصالهم بخالقهم.. فما شأنها هنا؟

3 / مصادر رزق النبي والمعصومين صلى الله عليه وعليهم؟

هل كانت أسبابه اعجازية، أم كانت بأسباب طبيعية ولكن بارادة غيبية بحيث يحصل لهم من دون أن يقوموا بعمل نتيجة حصول الرزق؟

ج / مصادر المال لدى النبي ﷺ متعددة، نشير إليها باختصار - بغض النظر عن الأمور الغيبية التي كانت بلا ريب تحت اختياره:

المصدر الأول: ما قرره الله سبحانه وتعالى من سهم الخمس في الغنائم، فسواء قلنا إن الخمس يختص بغنائم الحرب كما ذهبت إليه مدرسة الخلفاء، وقصرته عليه، أو قلنا - كما هو

الصحيح - بأن الخمس يشمل مكاسب الناس كما يشمل غنائم الحرب، فإنه مصدرٌ ماليٌّ كبيرٌ جدًّا. وهو في أيام رسول الله تحت اختياره يتصرف فيه ويقسمه في محتاجي قرابته وفقراء بني هاشم.

المصدر الثاني: الأنفال: وهو ما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب، وتوضيحه أن المسلمين في حربهم مع أعدائهم من الكفار وأهل الكتاب - ولا سيما اليهود الذين كانوا في المدينة وأخلوا بمواثيقهم وعهودهم - كانوا يغنمون منهم أراضي ومزارع وقد أشير لها في القرآن الكريم في بداية سورة الأنفال ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾⁽¹⁾ وتوضحها الروايات الواردة في هذا ومنها ما «عن أبي عبد الله عليه السلام أنه سمعه يقول الأنفال ما كان من أرض لم يكن فيها هراقة دم أو قوم صولحوا وأعطوا بأيديهم... فهذا كله من الفياء والأنفال لله وللرسول، فما كان لله فهو للرسول يضعه حيث يحب». ⁽²⁾ ومن هذا كانت أموال بني النضير - وقد سبق أن تحدثنا عن الأسباب التي جعلت النبي يجلبهم عن المدينة في فقرة الحديث عن مواجهاته مع أعدائه، فكانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله ولم

(1) الأنفال: 1.

(2) الطوسي؛ محمد بن الحسن: تهذيب الأحكام 4/133.

يقاتل المسلمون لأجل السيطرة عليه، وهذا بحسب نص القرآن من الأنفال الخاصة برسول الله يتصرف فيها كما يحب. وقد ذكر بعض المؤرخين أنه كان ينفق منها على أهله سنة ويجعل ما بقي في السلاح والكراع (الخيول والدواب) للمسلمين..

ومن الأنفال أرض فدك⁽¹⁾ التي كانت ملكاً خالصاً لرسول الله ﷺ لا يشترك معه أحد من المسلمين، ولذلك فقد نحلها وأعطها ابنته فاطمة عليها السلام.

وكل واحدة من هذه تعادل شيئاً عظيماً من المال، فإن أموال بني النضير هي أشبه بالحي المالي في المدينة، حيث هي مجتمع التجار اليهود، ولديهم من البيوت الفخمة، والمزارع الكبيرة، والآبار الغنية ما كان يمكنهم من السيطرة على الوضع المالي في المدينة، وهذه كلها آلت لرسول الله ﷺ.

المصدر الثالث: الهدايا والهبات التي تصل إلى النبي ﷺ، وأعظمها ما وهبته السيدة خديجة زوجة النبي ﷺ في أول زواجه منها حيث وهبته كل ما تملك من مال وشاء وأعبد وغير ذلك، وأشهدت على ذلك من كان حول الكعبة المشرفة.

وفيما بعد البعثة والهجرة كذلك فقد زادت وتنوعت هذه

(1) تحدثنا عن الوضع التاريخي والجغرافي والشرعي لقرية فدك في كتابنا: إني فاطمة وأبي محمد، فليراجع من يريد التفصيل.

الهدايا ما بين جوارٍ كمارية القبطية واختها سيرين، ودواب، وأموال، ولعل الشاخص الأكبر للهدية الكبيرة هي ما عرف ببساتين مخيريق السبعة.⁽¹⁾

هذا مع ملاحظة أن النبي ﷺ، وأهل بيته لم تكن مصاريقهم كثيرة حيث لم تكن تهمهم الدنيا، وقد اختار النبي ﷺ الآخرة، وكان في هذه الدنيا على طريقة من استظل بظل شجرة ثم مضى عنها! وبفكرة أن «الأمر أسرع من ذلك» عندما عرض عليه بعضهم تزيين منزله.

هذا بشكل مختصر ولمن أراد التفصيل فقد كتب الباحث علي دوست الخراساني كتابًا خاصًا في هذا الموضوع بعنوان «المصادر المالية لأهل البيت (عليه السلام)» تناول فيه نفس هذا الموضوع من زاوية الأئمة (عليهم السلام).

(1) مخيريق كان أحد أحبار اليهود وقد توصل بما قرأ من الكتب إلى الإيمان برسول الله ﷺ فجاء رسول الله في معركة أحد، فأخبر قومه والمسلمين بأنه ذاهب إلى نصرته رسول الله الذي آمن به، وقد وهب حوائطه (بساتينه) السبعة لرسول الله، وبالفعل فقد استشهد في أحد، وآلت تلك البساتين لرسول الله، وقد ذكر الواقدي في المغازي (1/ 378) أسماءها فقال: ومن أموال مخيريق. «وهي سبعة حوائط - الميثب، والصفية، والدلال، وحسن، وبرقة، والأعواف، ومشربة أم إبراهيم، وكانت أم إبراهيم تكون هناك، وكان رسول الله ﷺ يأتيها هناك» وهي وغيرها آلت لفاطمة فجعلتها صدقة يصرف منها على موارد معينة كما في وصية الزهراء (عليها السلام).

4 / هل نجح رسول الله ﷺ في هداية قومه؟

أَسْأَلُ هَذَا السُّؤَالَ لِأَنَّهُ فِي الْجُزْءِ الْآخِرِ مِنْ حَيَاتِهِ الشَّرِيفَةِ اشْتَدَّ عَصْيَانُ بَعْضِ الصَّحَابَةِ، وَبَعْدَ وَفَاتِهِ انْقَلَبُوا عَلَى وَصِيهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَبَعْدَ 50 سَنَةٍ مِنْ وَفَاتِهِ قَتَلَتْ أُمَّتُهُ سَبْطَهُ وَسَبَتِ نِسَاءَهُ، وَصَارَ الْحُكْمُ مِنْ بَعْدِهِ وَرَاثِيًّا فِي الْعَهْدِ الْأُمَوِيِّ ثُمَّ الْعَبَّاسِيِّ.

ج/ لَا رَيْبَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَدَّى الْأَمَانَةَ كَامِلَةً وَبَلَغَ الرِّسَالَةَ بِإِتْقَانٍ وَنَصَحَ الْأُمَّةَ بِمَا قَدَّرَ عَلَيْهِ وَهُوَ الْأَمْرُ الَّذِي تَوَكَّدَهُ الزِّيَارَاتُ الْمَرْوِيَّةُ عَنِ الْمَعْصُومِينَ، وَفِيهَا الْجَوَابُ عَنِ السُّؤَالِ السَّابِقِ، فَنَحْنُ نَقْرَأُ فِي زِيَارَتِهِ وَنَخَاطِبُهُ ﷺ «أَشْهَدُ إِنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ الرِّسَالَةَ، وَأَقَمْتَ الصَّلَاةَ، وَآتَيْتَ الزَّكَاةَ، وَأَمَرْتَ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهَيْتَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَعَبَدْتَ اللَّهَ مُخْلِصًا حَتَّى أَتَاكَ الْيَقِينُ، فَصَلُّوا لِلَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ الطَّاهِرِينَ».

«اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ كَمَا حَمَلْتَ وَحْيَكَ وَبَلَغْتَ رِسَالَاتَكَ، وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ كَمَا أَحَلَّ حَلَالُكَ، وَحَرَّمَ حَرَامَكَ، وَعَلَّمَ كِتَابَكَ، وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ كَمَا أَقَامَ الصَّلَاةَ، وَآتَى الزَّكَاةَ، وَدَعَا إِلَى دِينِكَ، وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ كَمَا صَدَّقَ بِوَعْدِكَ، وَأَشْفَقَ مِنْ وَعِيدِكَ، وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ كَمَا غَفَرْتَ بِهِ الذُّنُوبَ، وَسَتَرْتَ بِهِ الْعُيُوبَ، وَفَرَجْتَ بِهِ الْكَرُوبَ، وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ كَمَا دَفَعْتَ

به الشقاء، وكشفت به الغمَّاء، وأجبت به الدعاء، ونجيت به من البلاء، وَصَلَّ على محمد كما رحمت به العباد، وأحييت به البلاد، وقصمت به الجبابرة، وأهلكت به الفراعنة، وَصَلَّ على محمد كما أضعفت به الأموال، وأحرزت به من الأهوال، وكسرت به الأصنام، ورحمت به الأنام، وَصَلَّ على محمد كما بعثته بخير الأديان، وأعززت به الإيمان، وتبرت به الأوثان، وعظمت به البيت الحرام..»

وفي بيان صفات النبي وأدائه الرسالة كان الإمام علي عليه السلام يقول:

«اللَّهُمَّ اجْعَلْ شَرَائِفَ صَلَوَاتِكَ وَنَوَامِي بَرَكَاتِكَ وَرَأْفَةَ تَحَنُّنِكَ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ وَنَبِيِّكَ الْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ وَالْفَاتِحِ لِمَا انْغَلَقَ وَالْمُعْلِنِ الْحَقِّ بِالْحَقِّ وَالِدَّافِعِ جَيْشَاتِ الْأَبَاطِيلِ وَالِدَّامِغِ صَوْلَاتِ الْأَضَالِيلِ كَمَا حُمِّلَ فَاضْطَلَعَ بِأَمْرِكَ لِبَطَاعَتِكَ مُسْتَوْفِزًا فِي مَرْضَاتِكَ غَيْرَ نَكِلٍ عَنْ قُدُمٍ وَلَا وَاهٍ فِي عَزْمٍ وَاعِيًا لَوَحْيِكَ حَافِظًا لِعَهْدِكَ مَاضِيًا عَلَى نَفَازِ أَمْرِكَ حَتَّى أَوْرَى قَبَسَ الْقَابِسِ وَأَضَاءَ الطَّرِيقَ لِلْخَابِطِ وَهَدَيْتَ بِهِ الْقُلُوبُ بَعْدَ خَوْضَاتِ الْفِتَنِ وَالْآثَامِ وَأَنَارَ مُوضِحَاتِ الْأَعْلَامِ وَنِيرَاتِ الْأَحْكَامِ فَهُوَ أَمِينُكَ

الْمَأْمُونُ وَخَازِنُ عِلْمِكَ الْمَخْزُونِ وَشَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ وَبَعِيثُكَ
بِالْحَقِّ وَرَسُولُكَ إِلَى الْخَلْقِ اللَّهُمَّ فَاجْزِهِ مُضَاعَفَاتِ الْخَيْرِ مِنْ
فَضْلِكَ اللَّهُمَّ أَعْلِ عَلَى بِنَاءِ الْبَانِينَ بِنَاءَهُ وَأَكْرِمْ مَثْوَاهُ لَدَيْكَ
وَمَنْزِلَتَهُ وَأَتِمِّمْ لَهُ نُورَهُ وَاجْزِهِ مِنْ ابْتِغَاثِكَ لَهُ مَقْبُولَ الشَّهَادَةِ
مَرْضِيَّ الْمَقَالَةِ ذَا مَنْطِقٍ عَدْلٍ وَحَظٍّ فَضْلٍ وَحُجَّةٍ وَبُرْهَانٍ عَظِيمٍ
آمِينَ رَبَّ الْعَالَمِينَ»⁽¹⁾.

هذا بشكل عام.

ولم تكن رسالة رسول الله ﷺ تتضمن أن يلتزم الناس من بعده
بمنهجه إلى قرون أو عقود! فإن هذا لم يجعله الله تعالى - وهو
القادر عليه - لنفسه، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۚ وَلَا يَزَالُونَ
مُخْتَلِفِينَ﴾⁽²⁾، ولذلك كان دور النبي هو ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ
(*) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾⁽³⁾.

فالشيء الذي لم يجعله الله لنفسه مع قدرته عليه.. أتراه كان
سيجعله لرسوله؟ كلا! إنما كان عليه التذكير والبلاغ المبين
والجهاد العظيم، وقد فعله ﷺ.

(1) الكوفي؛ إبراهيم بن محمد: الغارات / 1 / 159. ونهج البلاغة / 101.

(2) هود: 118.

(3) الغاشية: 21 - 22.

وأما قضية الانحراف من بعده، فليست خاصة بهذه الأمة، بل ابتليت بها الأمم السابقة! وقد أجاب أمير المؤمنين (عليه السلام) أحد زعماء اليهود بشكل نقضي عندما قال له: «لم تلبثوا بعد نبيكم إلا ثلاثين سنة حتى ضرب بعضكم وجه بعض بالسيف، فقال (عليه السلام): وأنتم لم تجف أقدامكم من ماء البحر حتى قلتم لموسى اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة». (1) وأين هذا من ذاك؟

وهي مقتضى أن يستمر الصراع بين الحق والباطل وأن هذه الدنيا هي دار الامتحان والابتلاء ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَيْرَ مِنَ الْطَّيِّبِ﴾. (2) فما الذي يستطيعه النبي غير الإرشاد والتوصية باتباع المنهاج المنجي وما إن تمسكت به الأمة فلن تضل من بعد ذلك أبداً، وهو الكتاب والعتره؟

5/ يتردد في خاطري سؤال وهو أنه ما هي المصلحة من زواج النبي من بعض النساء اللاتي كن يخالفنه في حياته ولم يكن دورهن بعد وفاته دوراً حسناً؟

والجواب على هذا السؤال - بعد التذكير بأن هذا السؤال موجود في حياة عدد من الأنبياء وأيضاً حياة الأوصياء والمعصومين - من خلال نقاط:

(1) ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب 1/ 324.

(2) الانفال: 37.

1/ الإحاطة بكل الأسباب التي تدعو شخصًا ما إلى الاقتران
 بزوجة معينة هي غير متيسرة لنا مع من نعايشهم ونعاصرهم،
 فلا نعلم عادة ما الذي يدعو ابننا لاختيار هذه الفتاة دون تلك!
 بل لو أخبرنا لكنا نتعجب من السبب! وقد نراه أو لا نراه
 وجيهاً. فكيف إذا كان الحال بمن يتعد عنا مئات السنين ولا
 يتيسر لنا الإحاطة بأغراضه وأهدافه. مهما اجتهدنا في ذلك.

2/ إن المهم هنا هو أننا نعتقد أن النبي المصطفى ﷺ، كان أكثر
 الخلق حكمة وأعقل البشر وبالتالي فإن قراراته واختياراته
 هي الموافقة للحكمة، بل لأعلى درجاتها. وسواء تزوج هذه
 المرأة أو تلك، صغيرة السن أو كبيرته فإننا نعتقد أن هذا القرار
 هو الموافق للشرع أولاً، وللحكمة وما يقتضيه العقل ثانياً.
 هذا فضلاً عن هداية الله سبحانه وتعالى له.

3/ يختلف المسلمون في تقييم الشخصيات فما تراه أفضل
 الشخصيات (من النساء أو الرجال) قد لا يراه غيرك بنفس
 الصورة. وبالنسبة لزوجات النبي ﷺ نفس الأمر حاكم،
 فالمسلمون يختلفون في تقييم زوجاته كشخصيات وأدوار.
 وشاهد ذلك اختلافهم في: من هي أفضل نساء النبي؟ وقد
 أشرنا إليه في فصل الحياة الأسرية.

4/ قد نجد في بعض المرويات أن ذلك هو أحد الابتلاءات، لِيُعْلَمَ هل تُطاعُ زوجة النبي فيما لا يرضاه النبي؟ كما كان الحال في حرب الجمل، التي كانت من الطرف المضاد للإمام علي عليه السلام خاطئة بكل المقاييس، إذ هي خروج على الإمام الشرعي وهي نكث للبيعة، ومع ذلك فقد قتل مئات وآلاف بمشاركتهم في تلك الحرب الخاطئة. وأقترح على السائل الكريم والقارئ العزيز الرجوع إلى ما ذكرناه في كتاب : أعلام من الأسرة النبوية في فصل: موقف الشيعة الإمامية من زوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم بشكل مفصّل.

6/ ما هو الرد على الرسوم الكاريكاتورية التي صورت إحدى المجلات الفرنسية بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟

الجواب: بشكل سريع نشير إلى أن موضوع الرسوم الكاريكاتورية ⁽¹⁾ المسيئة لصورة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بدأت بها صحيفة دانماركية في سنة (2005 م) لتتلوها صحيفة نرويجية بإعادة نشرها وغيرها، وبعدها قامت صحيفة ألمانية ثم فرنسية بنفس العمل

(1) الرسم الكاريكاتوري هو رسم ساخر يظهر مبالغة - أو حتى مغالطة - في تصوير الملامح الطبيعية أو خصائص الأشخاص، وتهدف إلى إثارة الفكاهة أو السخرية من الشخصية المستهدفة.

من النشر والتشجيع على الرسم، والمستهدف كان شخصية رسول الله ﷺ، والغاية تحطيم القداسة الثابتة لرسول الله في نفوس المليارات من أتباعه المسلمين من جهة، وتشكيل حائط صد وممانعة عن انتشار دين النبي في البلدان الغربية، حيث عد الإسلام أنشط الأديان انتشارًا وأسرعها إلى التأثير.

وهنا نسجل الأمور التالية:

1/ إن تظاهر الغربيين بحرية الرأي والتي على أساسها يعتبرون نشر هذه الرسوم مبررًا ومظهرًا من مظاهر التمسك بالحرية هو كاذبٌ تمامًا. ويشهد لذلك أنهم يسمحون بانتشار أشياء ويمنعون من أشياء آخر ضمن حالة انتقائية لا تنسجم مع الإيمان بحرية الرأي. فإن الكثير من العقوبات بما فيها المنع من دخول تلك البلاد أو تسفير أصحابها، وحتى سحب جنسياتهم تفرض على من لا يؤمن بخرافة المحرقة اليهودية أو يشكك فيها! ومن يعارض الشذوذ وحركاته.. فأين حرية الرأي؟

وإذا كان البعض في السابق ربما ينخدع بعلمانية هذه الدول وتقديسها الحرية الفردية، فقد أصبح الجميع اليوم يرى أن هذه الحرية لها كامل المساحة إلى أن تصل إلى الشعائر الدينية

والإسلامية والاعتقاد بها فهنا تتوقف. ولعل الحرب المعلنة - بشكل مستمر على الحجاب الإسلامي، وإجبار المسلمين - بمن فيهم الأطفال - على حضور واستماع دروس الشذوذ تحت طائلة الفصل من المدارس، أو التفريق بين الآباء وبين أولادهم أوضح دليل على كذب حملة شعارات الحرية.

2/ إننا نعتقد أن هذه الحملة البغيضة هي من مصاديق «رب ضارة نافعة» فبالرغم من أنه يُحزننا جدًا كمسلمين بل يزعج المؤمنين بالله أن يقوم أشخاص لا يساؤون رגיעهم، بالتعدي على أفضل خلق الله وسيد رسله ولو بشرط كلمة. وذلك ما لا نتمنى حدوثه، ولو استطعنا منعه بكل وسيلة لما كان ينبغي أن نقصر في ذلك.

إلا أن ذلك - بالرغم مما سبق - ستكون نتائجه على عكس ما أراد المعتدون، فإن هذا سيثير السؤال عن رسول الله، وسيجعل شخصيته واسمه محل حوار ونقاش في دوائر ما كان للمسلمين أن يصلوا لها، وبطبيعة الحال فإن السؤال ينتظر جوابا، وقد يكون هذا مقدمة للتعرف على رسول الله وشخصيته وتعاليم دينه.

3/ بالرغم من أننا نرى أن ردود الفعل العاطفية وبعضها عنيف بعض الدرجات، هي تعبير عن الغضب الطبيعي للإنسان

المسلم الذي قد يكون لا مانع لديه بأن يضرب بل يقتل ولا يصل إلى رسول الله ﷺ مكروه! وهذا من درجات الإيمان.

نعم نحن لا نؤيد ردود الفعل العنيفة التي قد تنتهي إلى شيء من التخريب أو ما شابه. ونرى أنها - من حيث لا يريد أصحابها - قد تؤثر بشكل سلبي على قضية النبي المصطفى وشخصيته.

4/ الذي نرى أنه نافع وبإمكان كل مسلم أن يقوم به، أولاً: الوعي بما يريده أصحاب هذه الحملات، والوعي بشخصية رسول الله وأهل بيته والتعرف على الدين القويم الذي جاء به. ذلك أننا نعتقد أن إقدام تلك الجهات المعادية على الفعل الشائن بحق رسول الله إنما كان بسبب جهلهم بشخصيته وبعدهم عن معرفته. وإلا لو كانوا يعرفون النبي وأخلاقه وتعاليمه لما قاموا بذلك.

والمسلم حين يبقى ضمن حدود معرفته الساذجة ويقتصر على القليل منها بحق رسول الله كأنه يشاركهم في بعض الدرجات. فينبغي أن يتعرف المسلم على نبيه وشخصيته وعلى أحكام الرسالة التي جاء بها. وفي نفس الوقت أن يعي بمخطط عدوه.

وثانياً: أن يتخذ له منهج حياة قائماً على البراءة من أعداء رسول الله الذين يطعنون في شخصيته، فينقطع عن ثقافة أولئك وعن

تجارتهم قدر الإمكان، ولأن هذه الدول الداعمة لتلك الرسوم، دينها هو المال وربها هو الدولار، فإن مقاطعتهم وما يخلفه من ضرر واضح على تجارتهم واقتصادهم مؤثرة للغاية. ولا ينبغي أن يكون ذلك رد فعل مؤقت ينتهي بانتهاء فورة الحماس وإنما بأن يكون منهج حياة. وهذا لا يستطيع أحد إجبار الإنسان على تغييره. لا معنى لأن يخالفهم الإنسان بقلبه ويقويهم بماله!

وثالثاً: أن يتحمل كل شخص مسؤوليته - بمقدار ما يستطيع والكل يستطيع شيئاً غير قليل - تجاه دعوة الناس إلى النبي، وتعريفهم به، وبيان صورته الحقيقية، فإن (الناس لو عرفوا محاسن كلامنا لا تبعونا).

الكاتب ينبغي أن يكتب عن رسول الله، والطالب الذي يدرس في الخارج ينبغي أن يترجم ما هو صالح للترجمة عن رسول الله، ومن ليس هذا ولا ذلك، ينبغي أن ينشر ما هو مكتوب أو مسجل في وسائل التواصل، وعلى المواقع المختلفة، وصاحب المال ينبغي أن يدفع مما يملك لتغطية تكاليف هذه الأمور وسواها.

لقد سمعت أنه على أثر قيام أحد المهووسين بالشهرة والشهوة، بحرق نسخة من القرآن الكريم، وسط استنكارات وإدانات الكثير قررت إحدى الجهات أن تطبع من القرآن

المترجم إلى اللغة السويدية مائة ألف نسخة وتتيحه مجاناً لمن يريد من الناطقين بهذه اللغة، فقلت لمن أخبر: هذا أفضل ردود الفعل التي يمكن القيام بها.

7/ القصة المشهورة في وفاة النبي، عندما قام له رجل وقال بأن النبي ص ضربه بالسوط خطأ،

ألا تتنافى مع عصمة النبي؟

جواب: لعل السائل يقصد ما ورد في كتاب الأمالي للشيخ الصدوق وهي رواية طويلة عن ابن عباس، قال: لما مرض رسول الله ﷺ وعنده أصحابه.. إلى أن قال..

ثم قال: يا بلال، هلمّ علي بالناس، فاجتمع الناس فخرج رسول الله ﷺ متعصباً بعمامته، متوكئاً على قوسه حتى صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: معاشر أصحابي، أيّ نبي كنت لكم! ألم أجاهد بين أظهركم، ألم تكسر رباعيتي، ألم يعفر جبيني، ألم تسل الدماء على حر وجهي حتى كنفنت لحيتي، ألم أكابد الشدة والجهد مع جهال قومي، ألم أربط حجر المجاعة على بطني؟ قالوا: بلى يا رسول الله، لقد كنت لله صابراً، وعن منكر بلاء الله ناهياً، فجزاك الله عنا أفضل الجزاء. قال: وأنتم فجزاكم الله.

ثم قال: إن ربي عز وجل حكم وأقسم أن لا يجوزه ظلم ظالم،

فناشدتكم بالله أي رجل منكم كانت له قبل محمد مظلمة إلا قام فليقتص منه، فالقصاص في دار الدنيا أحب إلي من القصاص في دار الآخرة على رؤوس الملائكة والأنبياء. فقام إليه رجل من أقصى القوم يقال له سودة بن قيس، فقال له: فداك أبي وأمي يا رسول الله، إنك لما أقبلت من الطائف استقبلتك وأنت على ناقتك العضباء وبيدك القضيب الممشوق، فرفعت القضيب وأنت تريد الراحلة فأصاب بطني، فلا أدري عمداً أو خطأ. فقال معاذ الله أن أكون تعمدت. ثم قال: يا بلال، قم إلى منزل فاطمة فأتني بالقضيب الممشوق. فخرج بلال وهو ينادي في سكك المدينة: معاشر الناس، من ذا الذي يعطي القصاص من نفسه قبل يوم القيامة؟ فهذا محمد ﷺ يعطي القصاص من نفسه قبل يوم القيامة!

وطرق بلال الباب على فاطمة عليها السلام وهو يقول: يا فاطمة، قومي فوالدك يريد القضيب الممشوق. فأقبلت فاطمة عليها السلام وهي تقول: يا بلال، وما يصنع والدي بالقضيب، وليس هذا يوم القضيب؟ فقال بلال: يا فاطمة، أما علمت أن والدك قد صعد المنبر وهو يودع أهل الدين والدنيا! فصاحت فاطمة عليها السلام وهي تقول: وا غماه لغمك يا أبتاه، من للفقراء والمساكين وابن السبيل يا حبيب الله وحبيب القلوب؟

ثم ناولت بلالاً القضيبي، فخرج حتى ناوله رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: أين الشيخ؟ فقال الشيخ: ها أنا ذا يا رسول الله، بأبي أنت وأمي؟ فقال: تعال فاقتصص مني حتى ترضى. فقال الشيخ: فاكشف لي عن بطنك يا رسول الله، فكشف ﷺ عن بطنه، فقال الشيخ: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، أأذن لي أن أضع فمي على بطنك؟ فأذن له، فقال: أعوذ بموضع القصاص من بطن رسول الله من النار يوم النار. فقال رسول الله ﷺ: يا سودة بن قيس، أتعفو أم تقتص؟ فقال: بل أعفو يا رسول الله. فقال ﷺ: اللهم اعف عن سودة بن قيس كما عفا عن نبيك محمد. (1)

ولا أعلم هل أن السائل يريد القول أن الرواية لما كانت تثبت ضرب النبي للرجل سهوا فهذا مخالف للعصمة وبذلك يعرف أن الرواية غير صحيحة؟ أو أنه يريد أن يقول بأن وجود هذه الرواية يدل على عدم عصمة النبي في حال السهو؟

وأيّا ما كان المقصود فقد لاحظ العلماء على هذه الرواية ملاحظات كثيرة تنتهي إلى سقوطها:

(1) ابن بابويه القمي؛ الشيخ الصدوق: الأمل، 732.

أولها: ضعف السند ومخالفة المتن للأصول الدينية، وهو ما ذكره الشيخ محمد هادي معرفة قائلًا: «رجال إسناد الصدوق في هذا الحديث أكثرهم مجاهيل أو ضعاف، فضلًا عن عدم استقامة المتن على أصول المذهب؛ إذ لا يشرع القصاص في غير العمد، كما لا قصاص في الضرب بالعصا. ولعلّ واضع هذا الحديث غفل عن مباني شريعة القصاص في الإسلام، أو لعله أراد الحطّ من سيّد الأنبياء، في حادثة وضعها على خلاف الشريعة».⁽¹⁾

وثانيها: التعثر الموجود في اسم الصحابي الذي جرت له الحادثة وزمان ذلك، فإن المذكور فيها هو «سودة بن قيس» ولم يذكر شخص بهذا الاسم في أصحاب رسول الله، كما لم يأت له ذكر في التراجم. بينما ذكرت بعض مصادر مدرسة الخلفاء أن القصة حدثت لسواد بن غزية الأنصاري وفي بعضها سواد بن عمرو، واقتصرت على ذكر مختصر لها وهو أن الرجل قال لرسول الله وقد كان يعدل الصفوف يوم بدر، وكان سواد خارجًا على الصف فضربه على بطنه، وطلب من النبي أن يقيده ويقتص منه، فكشف النبي عن بطنه فاعتنقه وقبله واستعاذ به من النار! في مقابل ذلك فإن رواية الأمالي فيها اسم سودة بن قيس كما

(1) معرفة؛ الشيخ محمد هادي: التمهيد في علوم القرآن 10 / 77.

قلنا، وأن أصل الحادثة كان عند رجوعه من الطائف (يعني بعد غزوة حنين) وتلك الروايات تقول في معركة بدر، وموضع وزمان الاقتصاص المفترض في رواية الأمالي هو بيت الرسول أو المسجد، وزمانه قرب وفاة رسول الله وفي الأيام الأخيرة من حياته.

وثالثها: فإن مضمونها لا يجري على موازين القضاء، فلا يقبل دعوى المدعي بمجرد دعواه، وقد فرض أن «سودة» هذا ابن قيس أو ابن غزية أو ابن عمرو قد ادعى على النبي أنه ضربه فهل يثبت ذلك على النبي بمجرد دعواه؟ وبلا بينة؟ لنفترض أن هذا حدث، والنبي يعدل الصفوف وسودة هذا كما ورد في روايات مستتلة من الصفوف، يعني خارج عنها، أليس من حق قائد الجيش أن يرد المتقدم وأن يقدم المتراجع لكي يستوي نظام الجيش؟ وبغض عن النظر عن موضوع العصمة، فهل أن قائد الجيش الذي يعدل جنوده ويسوي صفوفه، إذا لم يعتمد ذلك.. فهل يجر الأمر إلى القصاص؟

إننا نعتقد أن قائد الجيش لو قام بذلك متعمداً لمصلحة تنظيم الجيش لما كان عليه بأس فكيف إذا كان غير عامد؟

8/ لا شك أن النبي ﷺ هو نبي الرحمة، فلماذا أثر عنه التعامل بالعنف والقسوة مع بعض مخالفه كععض اليهود؟

جواب: إذا كان المقصود أن الرحمة لا تجتمع مع العقوبة الشديدة، فهذا مما لا يمكن قبوله! ذلك أن الله سبحانه وتعالى هو الرحمن الرحيم، ومع ذلك هو شديد العقاب! وفي نفس الوقت الذي تكون فيه رحمته وسعت كل شيء فإن ناره وقودها الناس والحجارة وويل لمن يحيط بهم سرادقها! هذا نقض للسؤال.

والجواب الحلّي: هو أن الرحمة لها محل كما أن العقوبة لها محل آخر، نعم اجتماعهما في مكان واحد من كل الجهات مستحيل! ولكن أن تكونا في مكانين وبالنسبة إلى شخصين أو فئتين فهذا أمر طبيعي!

ومن ذلك ما هو من الله سبحانه كما تقدم! ومنه ما حصل لرسول الله ﷺ! فهو رحمة للعالمين، لكنه في نفس الوقت على الجاحدين يكون عذاباً صَبّاً.

وأما بالنسبة لليهود، فما يقال عادة هو أمران: إخراجهم من المدينة المنورة على مراحل! والآخر: تنفيذ حكم سعد بن معاذ فيهم.

وسنعرض إلى إجابة السؤال في نقاط:

أ/ اليهود فئة سكانية طارئة على المدينة المنورة وهذا باتفاق

المؤرخين وإن اختلفوا في زمان ذلك وسببه. ومن بداية مجيئهم حاولوا السيطرة على المال، وبه استطاعوا بناء الآطام والحصون لهم والتي بقاياها كخير وغيره شاهدة على ذلك! ماذا يعني بناء الحصون والآطام في مجتمع مدني؟ فقط في خير كان هناك سبعة حصون حجرية عالية البناء!

ب/ بما بقي في كتبهم كانوا يعلمون أن نبياً سيبعث وستكون هجرته إلى المدينة، وكانوا يستفتحون على غيرهم بهذا ويفتخرون ويرون أن المستقبل هو لهم، باعتبار أنهم الشعب الذي يُبعث منه وفيه الأنبياء، حتى إذا بُعث رسول الله ﷺ، وهو من غيرهم (كنسب وقبيلة) جحدوا ذلك، وكذبوا النبي، بل حاول بعضهم قتله في مكة منذ الصغر كما أشارت له كتب السيرة.

ج/ لما بعث النبي ﷺ، كان دأبهم التشويش على رسالته ودعوته ووضع العراقيل أمامها في مكة، واشتد ذلك الأمر بعد هجرته إلى المدينة⁽¹⁾ ويكفي للقارئ الكريم أن يتتبع مفردة (اليهود) في القرآن و(بنو إسرائيل) لكي ينظر ماذا كانوا يصنعون حتى

(1) كان حيي بن أخطب اليهودي وأصحابه، يقولون للمسلمين: أخبرونا عن صلاتكم نحو بيت المقدس، أكانت هدى أم ضلالة؟ فوالله لئن كَانَتْ هدى، لَقَدْ تحولتم عَنْهُ. ولئن كَانَتْ ضلالة لَقَدْ دَنِمَ الله بها فتقربتم إليه بها، وإن من مات منكم عَلَيْهَا مات على الضلالة.

لقد أعطاهم الباري سبحانه وتعالى الرتبة الأولى - متقدمين على المشركين - في عداوة المؤمنين! فقال: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ (1). (2)

د/ بالرغم من كل ذلك فقد عاملهم رسول الله ﷺ بالحسنى، واحترم وجودهم، وعقد معهم اتفاقية مصالحة وتعاون عرفت باسم وثيقة المدينة. ولكنهم لم يكونوا أهل وفاء بالميثاق. فاستمرت مؤامراتهم واتخذت أبعاداً أكثر خطورة فلم تبق في دائرة إثارة الشبهات أو الاعتداء على امرأة مسلمة لكشف بدنّها وإن كانت هذه خطرة أيضاً. بل صمموا على اغتيال الرسول وقتله، كما حصل عند ذهابه لبني النضير، وكانت تلك هي البداية ليرتقوا - ولا رقي في ذلك - إلى التآمر الصريح على المسلمين بتحريض المشركين لكي يهاجموا المسلمين بعد معركة بدر، وأكثر منه عندما تحالفوا معهم في معركة الأحزاب (الخندق) وقد تقدم ذكر ذلك في الفصل الأول من حروب النبي!

(1) المائدة: 82.

(2) بل حتى في السباب والفحش كانوا سابقين لكفار قريش كما تشير الآية ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً﴾ [آل عمران: 186] وكان زعيمهم ابن الأشرف عندما يُسأل ماذا تجدون في محمد عندكم؟ يقول: عداوته ما حيننا! مغازي الواقدي 1/ 184.

إنها خيانات متتابعة ومتصاعدة، بالرغم من إحسان النبي والمسلمين جوارهم، ووفاء النبي والمسلمين بميثاقهم وعهدهم! فكان أمر الله عز وجل بإخراجهم من المدينة، بشكل تام ليذهبوا إلى جهة الشام وأطرافها ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ (*) وَأَوْثَقَكُمْ أَرْضَهُمْ وَيَذَرُهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿١﴾.

وأما موضوع يهود بني قريظة فحاصله: أن النبي ﷺ واجه جموع قريش التي جاءت لغزوة الأحزاب، وفي نفس هذا الوقت نقض بنو قريظة العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله وأصبحت كلمتهم ومن بقي من بني النضير مع قريش ضد رسول الله والمسلمين، وجاء حيي بن أخطب (زعيم بني النضير) وأقنع كعب بن أسد (زعيم قريظة) بنقض العهد مع الرسول فهذه فرصتهم ما دام يواجه قريشا بكاملها وغطفان والأعراب من الخارج فليكونوا هم من الداخل ويقضوا على الرسول والمسلمين. وحاول الرسول إرجاعهم إلى العهد والميثاق وأرسل إليهم من زعماء الأنصار ممن كان من حلفائهم السابقين، ولكن من دون جدوى.

(1) الأحزاب: 26 - 27.

نصر الله نبيه ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾⁽¹⁾ ورجع منتصراً من معركة الخندق، كان من الطبيعي أن يعود الجميع لحياته الطبيعية حيث الحرب هي استثناء وبما تقتضيها الضرورة، فبينما هو يغسل رأسه في بيت إحدى زوجاته، وإذا بجبرئيل يأمره عن الله عز وجل بأن يبقى على لباس الحرب، وأن جبرئيل هو نفسه لا يزال بلباس الحرب، والغرض هو الهجوم على يهود بني قريظة.

ومع أن الوقت كان مضيقاً بالنسبة للصلاة إلا أنه نقل عنه عليه السلام، أن «لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة» وبالفعل حشد رسول الله من المسلمين حوالي ثلاثة آلاف وتوجهوا إلى حي بني قريظة الذين اعتصموا بحصونهم وأغلقوها عليهم وكان أول من وصل علي بن أبي طالب في جماعة معه، فتناول اليهود هؤلاء بالسب وفحش القول!

وحاصر رسول الله بجيشه بني قريظة المتعاونين مع المشركين حوالي شهر من الزمان، وهكذا ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ

(1) الأحزاب: 25.

وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا⁽¹⁾ على أثر ذلك قبلوا ما يحكم به فيهم سعد بن معاذ (وكانوا حلفاءه قبل الإسلام)، فحكم فيهم أن تقتل المقاتلة وأن تُسبى الذرية، وهكذا كان فُتِل من اليهود عددٌ اختلفت التقديرات بشأنه وهو يبدأ من ثلاثمائة وينتهي بالآلف! وحفر لجثثهم اُحدودٌ قرب السوق.

ولعل سؤال السائل يركز حول هذه النقطة بشكل أكبر لا سيما وأن بعض المبشرين ضد الإسلام يشيرونها بين فترة وأخرى، خصوصاً وأن العالم اليوم مرتَهَن بفكرة «معاداة السامية» ويقصرها على اليهود وكأنه لا يوجد سامي إلا اليهود، وقد أخذوا العالم كله بمظلومية اليهود والمحركة! وعلى كل حال فقد قدمت ثلاث إجابات على هذه المسألة:

الإجابة الأولى: الدينية وحاصلها أن رسول الله ﷺ الذي (لا ينطق عن الهوى) في كلمة أو إخبار، لا يمكن أن يقوم بعمل مثل القتل وبهذا العدد سواء كان كبيراً أو صغيراً من غير توجيه إلهي، وعصمة ربانية. ومع إيمان الجميع بأن محمداً بن عبد الله خاتم الرسل فعمله هذا يحمل شرعيته فيه.

(1) الأحزاب: 26.

بل يمكن القول إن الله الذي أمر بني إسرائيل بسبب ما ارتكبه من مخالفات شرعية أن يقتلوا أنفسهم، يعني أن يقتل بعضهم بعضاً توبة من الله⁽¹⁾ هو الذي أمر رسوله بقتل هؤلاء الذين خانوا رسالة نبي الله موسى أولاً فحالفوا الوثنيين عباد الأصنام ضد رسولٍ هو عندهم كموسى (أو أفضل) ووضعوا قوتهم في جنب الكفر ضد الإيمان بالله.

وكان أكثر من نقل مجريات الحادثة ينطلقون من هذا المعنى وإن كانوا لا يصرحون به، بل قد لا يثيرون سؤال: لماذا؟ ولا يحتاجون إلى تبرير إجابته.

الثانية: الإجابة العسكرية والاجتماعية: وحاصلها إن العمل الذي قام به بنو قريظة والخيانة الكبرى التي ارتكبوها في حق رسول الله والمسلمين تبرر هذه العقوبة ذلك «إن جريمة بني قريظة تختلف في حجمها وفي خطورتها على الإسلام والمسلمين ولا تقاس بجريمة بني النضير وقينقاع»⁽²⁾ فقد تحرك

(1) البقرة: 54 ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَغْوِرُ فِيكُمْ أَنْظَرْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتَّخَذْتُمْ الْعِجْلَ فُتَوْنُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَأَقْلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ﴾.

(2) عفا النبي عن بني قينقاع وسمح لبني النضير بأن يخرجوا من المدينة بدوابهم وما حملت عليها من أموال وعاقب بني قريظة بما تقدم ذكره، وهذا يشير إلى أن النبي لا ينطلق من عداوة لليهود كيهود، بل ولا كمخالفين للإسلام وإنما كخونة تأمروا على المسلمين ودولتهم وسعوا مع أعدائهم لقتل المسلمين وإزالة دولتهم.

بنو قريظة في خط الخيانة، وتوغلوا فيها إلى درجة أصبح معها أساس الإسلام في خطر أكيد، وشديد، لا سيما وأن ما بنوا عليه كل مواقفهم هو استئصال شأفة الإسلام وإبادة الوجود الإسلامي بصورة تامة وحاسمة. ولم يكن بنو النضير ولا بنو قينقاع قد توغلوا في أمر الخيانة إلى هذه الحد. مع الإشارة إلى أن هدف بني قريظة كان في مستوى الحسابات العملية التي اعتمدوا عليها قريب المنال، وقد خطوا خطوات عملية لإنجاز هذا المهم، وللوصول إلى ذلك الهدف، حتى على مستوى التحرك العسكري، الذي يستهدف تمكين الأحزاب وهم معهم من اجتياح الوجود الإسلامي وسحقه، وإبادة المسلمين. خصوصاً النبي وبني هاشم⁽¹⁾.

وقد ذكر اللواء خطاب في كتابه الرسول القائد جانباً آخر بالقول: «لو نجح الأحزاب في غزوة الخندق، فماذا كانوا يفعلون بالمسلمين؟ ألم تكن عاقبة المسلمين الإبادة والتمثيل؟ فلماذا لا يبيدون الذين حاولوا معاونة أعدائهم على إبادتهم؟ لقد أفسح المسلمون المجال أمام بني قينقاع وبني النضير من اليهود للجلاء إلى (خير) وإلى ضواحي الشام، فماذا كانت النتيجة؟

(1) العاملي؛ جعفر مرتضى: الصحيح من سيرة النبي الأعظم 11/ 165.

أثار يهود الذي عفا عنهم النبي ﷺ الأحزاب وحشدهم أمام خندق المدينة للقضاء على المسلمين. ومع ذلك فالموقف جدّ مختلف بين موقف يهود الذين خانوا عهودهم في غزوة الخندق وبين يهود بني قريظة؛ إذ أن خيانة هؤلاء ونكثهم عهودهم كان في أخرج الأوقات وأشدّها خطورة على مستقبل الإسلام والمسلمين... فهل يبقى المسلمون سلماً على بني قريظة أيضاً ليقوموا بدور أسلافهم بني قينقاع وبني النضير»⁽¹⁾.

كما إنني رأيت كلاماً يعزز هذه الجهة كتبه الباحث وليد فكري⁽²⁾ فيه جهات جديرة بالاهتمام خلاصتها:

- إن تحليل كل حادثة ينبغي أن يؤخذ فيها الظروف الزمانية والمكانية والاجتماعية ليتم تقييمها بشكل سليم، وفي ما نحن فيه كانت القبائل تتضامن في أفعالها، فتؤاخذ كلها بفعل بعضها وهذا ما يشير له مبدأ الثأر الذي كان سائداً، فبنو قريظة كاملة هنا هي معرضة للعقوبة! لا سيما وأن قراراتها كانت تؤخذ بالتشاور كما يظهر من تفاصيل القضية.

(1) خطاب، محمود شيت: الرسول القائد ص 260.

(2) في موقع إضاءات

- كما أنه لم يكن هناك بحسب التخطيط والحكمة بديل عن قتل هؤلاء!

فالعفو عنهم وإطلاق سراحهم كان غير منطقي، فهل عفا شعب عن خونته في وقت الحرب حيث (بلغت القلوب الحناجر)، إن ذلك كان يعني أن ينطلق هؤلاء إلى خيبر التي تحولت بالتدريج إلى قلعة لليهود المطرودين من المدينة يجمعون فيها المال وال سلاح ويعقدون مع القبائل الاتفاقيات للهجوم على رسول الله والمسلمين، فهل يعقل من الرسول أن يطلق هؤلاء المقاتلة ليجتمعوا من جديد في خيبر؟

كما أن استرقاقهم وإبقاءهم في المدينة يعني إبقاء (700)⁽¹⁾ شخص في المدينة لهم تراثهم ولغتهم الخاصة ويحدوهم حس الانتقام وأدوات القتال ليست بعيدة عنهم.. فخطرهم سيكون أكبر على المسلمين وقيادتهم.

فالضرورة الأمنية والعسكرية تقضي بقتلهم لما ارتكبه من جريمة الخيانة، ولتأمين الوضع الإسلامي، ولم يكن القتل انتقاما كما لم يكن أمراً دينياً محضاً مجرداً من التخطيط. هذا ما أفاده الباحث المذكور.

(1) بناء على أن عدد المقتولين هو هذا. وإذا كان العدد (1000) فالأمر أشد إشكالاً.

الثالثة: التساؤل حول الحادثة وحجمها: أظن أن من المسائل التي لم تبحث بالمقدار الذي تستحقه هو حجم الحادثة، وتفصيلها.. وأخذ ما جاء في روايات السيرة أو كتب الحديث على أنها حقائق نهائية، فوجب بعد ذلك أن يتم تفسيرها وتبريرها والإجابة عما تثيره من أسئلة، وكان الحق أن يتم البحث الأول وهو عن حجم الحادثة. وبالذات موضوع قتل ذلك العدد من اليهود.

وقد تتبع المرحوم العاملني ما جاء من الأقوال في عددهم، فكانت هكذا: 300، و400، و450، و600، و700 و800 و900 و1000، وأرجعها إلى مصادرها.⁽¹⁾

ويمكن تسجيل الملاحظات الآتية:

1/ إننا لا نعثر في أي من هذه المصادر على رواية من معصوم، وأكثر هذه الأعداد هي تقديرات وتخمينات لا يمكن الاطمئنان بشكل كامل إلى أي منها. وإن كان ما سيأتي من الملاحظات يرجح جانب الأعداد القليلة على الكثيرة.

2/ إن هناك خلطاً كما أشار إليه بعض الباحثين في فهم كلام سعد بن معاذ الذي حكم بأن «تُقْتَلِ الْمُقَاتِلَةُ» وهو يعني

(1) العاملني: الصحيح مصدر سابق 11 / 203.

قتل المحاربين المقاتلين، لا كل الذكور. وإن كانت العادة أن البالغين في القبائل يتولون أمر الحرب والقتال.. لكن هناك فرق بين الأمرين. فالأول يعني أن تقتل من هو مقاتل بالفعل، بينما الثاني بحشية أنه ذكر!

3/ إن مما يثير العجب هو إطباق المؤرخين على أن النبي ﷺ قد حبس بني قريظة بعد أن أخرجهم من حصونهم في دار بنت الحارث الأنصارية، ثم اختلفوا في اسمها على ستة أقوال؛ بين نسبية، وزينب، وقلابة وكبشة، وكيسة، ورملة. وهذا أمره قد يكون سهلاً إلا أن الذي يصعب فهمه هو أنه كيف تتسع دار امرأة لألف شخص - بناء على قولهم إنهم كانوا ألفاً -؟ وأكثر من ذلك إذا قيل بأنه كان معهم النساء اللاتي سبين! والأطفال الذين قيل إنهم دون الحلم والبلوغ؟

ولا ينفع في الإجابة على هذا أن النبي - كما قيل - وزع بعضهم ليقتلوا في بيوت بعض الأنصار! وهنا إما أن نفترض أن تكون تلك الدار داراً عظيمة جداً بحيث تستوعب ألف شخص، أو أن يكون هذا العدد مبالغاً فيه.

4/ إن ما يلحظه الباحثون هو أن النتائج غير المعتمدة على الحساب بالعدد، والمعتمدة في المقابل على التخمين

والتقدير تختلف اختلافاً كبيراً قد يصل أحياناً إلى ثلاثة أضعاف العدد الأقل.

والملاحظ في أخبار الحادثة هو ذلك، فالموجود فيها أنهم؛ أُخرجوا للقتل أرسالاً أرسالاً.. وهذه الجملة لا تفيد كم دفعة كانت وكم كان في كل دفعة من الأفراد؟

5/ ما أفاده بعض المفكرين من أنه كيف يمكن أن يُخدَّ أٌحدود في وسط السوق لكل هذه الجنائز والجثث، وما الذي يخلفه ذلك من آثار صحية غير مطلوبة وأوبئة.. فهل كان سيقدم عليه رسول الله ﷺ؟⁽¹⁾

6/ إننا نلاحظ في النص الموجود في كتب السيرة والحديث عن الواقعة، جواً عاماً يُظهر النبي والمسلمين بمظهر المتعطش للدماء والقتل، وفي نفس الوقت يُظهر يهود بني قريظة وهم الذين بدأوا الخيانة الفاقعة بمظهر المؤمنين النبلاء والفرسان الذين يبيعون الحياة بل وشفاعة غيرهم فيهم بأدنى ثمن لكي يلحقوا بمن سبقهم من الأبطال في الفعل والأخلاق من رؤسائهم (!) وهذا لا يتوافق مع ما يعرفه القرآن لنا من

(1) د. عدنان إبراهيم في محاضرة له على الانترنت، وقد نقل أن ابن رنجويه حدد عدد القتلى بأربعين شخصاً، وقد راجعت كتاب الأموال الذي يفترض فيه التعرض لهذا فلم أجد العدد المذكور ولعله يقصد كتاباً آخر أو اشتبه عليه الأمر.

أنهم ﴿وَلَنَجْذِثَهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوَةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾⁽¹⁾ وأنهم ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾⁽²⁾! مما يجعل الباحث يتوقف كثيرًا في قبول هذه التفاصيل.

وقد أشار إليه العاملي في الصحيح بقوله: «يلفت نظرنا هنا ما نجده من محاولات جادة لإظهار شجاعة بني قريظة، وثباتهم وقوتهم، وصبرهم في مواجهة الموت التزامًا ووفاء لقناعاتهم، وانسجامًا مع أنفسهم في مواصلة الأخطار والكوارث، دونما رهبة أو وجل».

وقد تجلّى ذلك حتى في نسائهم، اللواتي يفترض فيهن أن يظهرن المزيد من الجزع والضعف والهلع في مواجهة الموت. ويكتسب اليهود عن طريق هذا التزوير للتاريخ: صفات الشهامة، والعزة والكرامة، والإباء والشمم، وهي الصفات التي لم نزل نعرف عنهم اتصافهم بما يناقضها وينافيها.

أما النبي والمسلمون فيصبحون في موقع الناس القساة، الذين لا تظهر منهم بادرة رأفة ولا رحمة. بل هم أناس مجرمون، يحبون سفك الدماء، دونما شفقة أو وازع من ضمير⁽³⁾.

(1) البقرة: 96.

(2) البقرة: 95.

(3) العاملي: الصحيح 11 / 191. أقول: ونحن نعيش هذه الأيام الهجوم الإسرائيلي الشامل على =

وقد انتهى السيد العاملي إلى قبول ما اختاره ابن شهر آشوب وقال: قد ذكر ابن شهر آشوب: أن عدة بني قريظة كانت سبع مئة، لكن المقتولين منهم كانوا أربع مئة وخمسين، وعند غيره: أربع مئة، أو ثلاث مئة. وقد يكون هذا هو الأقرب إلى الواقع والحقيقة انسجاماً مع ظاهر قوله تعالى: ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَنَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ (1). (2)

وليس عندي رقم أعتمد عليه يخلو من الإشكال ولكن لو كنت بين ما ذكر من الأرقام المذكورة أولاً، وبين هذا الأخير لكان الأخذ بهذا أحرى وأجدر.

9/ لماذا لم يكتب النبي لنا كتاباً «لا نضل بعده أبداً» قبل أن يمرض أو يتعب؟

جواب: لا أعلم كم قرأ السائل الكريم في سيرة رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام، لكن المعروف أن رسول الله ومنذ أن كان ابن عمه علي عليه السلام في العاشرة من العمر وهو يتحدث عن السبيل الذي

= المدنيين في غزة بالطائرات الحربية وقصف المدفعية بحيث وصل عدد الشهداء فيها إلى هذا اليوم حين إخراج الكتاب في هذه الطبعة وقد مرّ على الحرب تلك نحو 100 يوم، وصل عددهم نحو 25000 أكثر من نصفهم من النساء والأطفال، وفي نفس الوقت خرج وزير إسرائيلي ليقول: إن جيش الدفاع - كما سمّاه - هو الجيش الأكثر أخلاقية في العالم!!

(1) الأحزاب: 26 .

(2) العاملي: الصحيح 11 / 203.

لا يضل من اتبعه وهو المنحصر بولايته وولاية أهل بيته من بعده، وما ترك وسيلة ولا طريقة يسلكها العقلاء إلا وأتى بها ليؤكد مضمون ما كان يريد أن يكتبه لهم في الوصية الأخيرة له.

فمنذ يوم الإنذار في يوم الدار قال: أيكم يؤازرنى على أن يكون أخى وخليفتى ووصيى من بعدى. وهذا كان وعلى في العاشرة إلى خطبته في منى وبعدها في يوم الغدير وعمر الإمام ﷺ نحو ثلاث وثلاثين سنة، وطول هذه المدة كان رسول الله لا يترك مناسبة إلا وبين فيها ما هو الطريق التى لا تضل الأمة بسلوكها إياه، ويبين لها خريطة الطريق وقد ذكرنا شطراً وافراً من تلك الأحاديث في كتابنا - من هذه السلسلة - أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

ونشير هنا لبعضها؛ فحديث المنزلة: (أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدى) قد ذكره المسلمون إلا غير المنصفين وقد بين القرآن منزلة هارون من موسى وهي: الخلافة فقال: ﴿أَخْلَفْنِي فِي قَوْمِي﴾⁽¹⁾ والمشاركة في الرسالة ﴿وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي﴾⁽²⁾ والوزارة ﴿وَأَجْعَلْ لِي وَزِيْرًا مِّنْ أَهْلِى﴾⁽³⁾.. وغيرها.

(1) الأعراف: 142.

(2) طه: 32.

(3) طه: 29.

وحديث الغدير: أأست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى، قال: فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله.

وحديث كون الحق معه: علي مع الحق والحق مع علي يدور معه حيث ما دار.

وغيرها من الأحاديث، فليرجع السائل إلى الكتاب المذكور أو غيره من الكتب المتكلفة بذكر أحاديث النبي في فضيلة وإمامة علي عليهما وآلهما السلام.

فلم يكن النبي ﷺ قد ترك الموضوع وأهمله إلى أن صار مريضاً وعندها فكر في كتابة الكتاب، ليقال: لماذا لم يكتبه أيام صحته؟

كلمة شكر

أقدم الشكر الجزيل لكل من ساهم في هذا الكتاب بنحو من الأنحاء وأخص الأخوات والإخوة الذين نقلوا المحاضرات الخاصة (نحو 45 محاضرة) برسول الله ﷺ خلال سنوات متعددة من الصوت إلى الكتابة مما جعل المادة الأصلية لها محفوظة وسهل عليّ تحريرها من جديد حين أردت كتابة سيرة النبي، فلهم ولهن جميعاً الشكر والتحية، وسأبدأ بالأخوات لكثرتهن كثر الله في الخير أمثالهن، وليسمح الإخوة الفضلاء بتأخير أسمائهم:.

شكرًا للفاضلات: رياحين، صلوات، فاطمة الخويلدي، معصومة الخضراوي، عديلة المرحوم، أم فاطمة الياسري، ليلي الشافعي، سلمى بوخمسين، خديجة العيد، رباب محيسن، رازقة الشكر، امجاد عبد العال، زينب آل ليث، زينب المعراج فاطمة امبيريك، علياء الفلفل، زينب الرضوان، زهراء الضامن، شريفة الفلفل، مريم مالك، ورود الحداد، والعلوية ونور المجتبى.

وشكرًا للإخوة الفضلاء؛ عبد العزيز العباد، ود. الخميس،
وفتحي عبد الله، عيسى الريح.
تقبل الله منكم جميعًا وشكر الله سعيكم ورزقكم وإيّانا شفاعة
المصطفى محمد وآله.

المصادر

- بعد القرآن الكريم
تمّ الاعتماد على المصادر التالية وهي الموجودة في تطبيق المكتبة الشاملة بالنسبة لمصادر مدرسة الخلفاء، وعلى مكتبة أهل البيت على الإنترنت لمصادر أتباع أهل البيت.
- ابن الأثير الجزري؛ علي بن محمد، أسد الغابة، دار الفكر - بيروت 1409هـ.
- ابن الأثير؛ مبارك بن محمد: جامع الأصول في أحاديث الرسول، ت عبد القادر الأرنبوط.
- ابن إسحاق بن يسار؛ محمد سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)، ت سهيل زكار، دار الفكر - بيروت 1398هـ.
- الأصبهاني؛ أبو نعيم أحمد بن عبد الله: دلائل النبوة، ت محمد رواس، دار النفائس، بيروت 1406هـ.
- الأمين؛ السيد محسن: أعيان الشيعة، تحقيق حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات - بيروت.

- البخاري؛ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم: صحيح البخاري، الطبعة السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببلاق مصر، 1311 هـ.
- البدرى؛ السيد سامي: السيرة النبوية، دار طور سينين، بغداد 1423 هـ.
- البروجردى؛ السيد حسين الطباطبائي؛ جامع أحاديث الشيعة، المطبعة العلمية - قم 1399 هـ .
- البُستي؛ محمد بن حبان: صحيح ابن حبان، ت محمد علي سونمز، دار ابن حزم - بيروت، 1433.
- البغدادى ابن سعد؛ محمد بن سعد بن منيع: الطبقات الكبير، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت 1410 هـ.
- البلاذري؛ أحمد بن يحيى: جمل من أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر - بيروت 1417 هـ.
- البيهقي؛ أحمد بن الحسين بن علي: السنن الكبرى، ت محمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت 1424 هـ.
- التستري؛ الشيخ محمد تقي: قاموس الرجال، تحقيق ونشر: مؤسسة النشر الإسلامي 1410.

- الترمذي؛ محمد بن عيسى: سنن الترمذي، ت أحمد محمد شاكر، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر 1395هـ.
- الثقفى؛ إبراهيم بن محمد: الغارات، تحقيق السيد جلال الدين الحسيني الأرموي المحدث، مطبعة بهمن.
- الجبعي؛ الشهيد الثاني زين الدين علي بن محمد: الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية: ت السيد محمد كلانتر، جامعة النجف الدينية، 1386.
- ابن أبي الحديد؛ شرح نهج البلاغة، دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم 1378.
- الحر العاملي؛ محمد بن الحسن: وسائل الشيعة، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث قم 1414.
- الحر العاملي؛ محمد بن الحسن: إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات، خرّج أحاديثه: علاء الدين الأعلمي.
- مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان.
- بن حزم الأندلسي؛ علي بن أحمد: المحلى بالآثار، ت عبدالغفار البنداري، دار الفكر - بيروت.
- الحميري؛ عبد الملك بن هشام، ت مصطفى السقا، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي القاهرة.

- ابن حنبل؛ أحمد بن محمد: مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة.
- خطّاب؛ محمود شيت: الرسول القائد؛ دار الفكر - بيروت 1422هـ.
- الخطيب البغدادي؛ أحمد بن علي بن ثابت: تلخيص المتشابه في الرسم، ت سكيّة الشهابي، طلاس للدراسات والنشر، دمشق، 1985.
- الدارقطني؛ علي بن عمر: سنن الدارقطني، ت شعيب الارنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1424هـ.
- الرازي؛ فخر الدين: مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي - بيروت 1420 هـ.
- الراوندي؛ قطب الدين: الدعوات (سلوة الحزين)، تحقيق ونشر مدرسة الإمام المهدي قم 1407.
- الروحاني؛ السيد محمد صادق: أجوبة المسائل في الفكر والعقيدة والتاريخ والأخلاق، دار زين العابدين - قم 1432.
- الريشهري؛ محمد: حكم النبي الأعظم (ص) مركز بحوث دار الحديث - قم 1429.
- الريشهري؛ محمد: كنز الدعاء، دار الحديث قم 1434.

- الريشهري؛ محمد: الصلاة في الكتاب والسنة، دار الحديث قم .
- الزرقاني المالكي؛ محمد بن عبد الباقي: شرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، دار الكتب العلمية، 1417هـ.
- الزركشي الشافعي؛ محمد بن عبد الله: الإجابة لإيراد ما استدرسته عائشة على الصحابة، ت رفعت فوزي، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- الزنجاني الخوئيني؛ إسماعيل: الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء عليها السلام، دليل ما - قم 1430.
- السائب الكلبي؛ هشام بن محمد: جمهرة النسب، ت حسن ناجي، عالم الكتب - بيروت 1407 هـ.
- السجستاني؛ سليمان بن الأشعث: سنن أبي داود، ت محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - لبنان .
- آل سيف؛ فوزي: أعلام من الأسرة النبوية، دار المحجة البيضاء - بيروت 2020.
- آل سيف؛ فوزي: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، دار المحجة البيضاء بيروت 1445.

- السيوطي؛ جلال الدين: جمع الجوامع المعروف بـ «الجامع الكبير»،
ت مختار الهائج وآخرين، الأزهر الشريف، القاهرة 1426.
- شرف الدين؛ السيد عبد الحسين: النص والاجتهاد،: ت أبو
مجتبى، سيد الشهداء ﷺ - قم، 1404 هـ.
- شرف الدين؛ السيد عبد الحسين: الفصول المهمة في تأليف
الأمة، مؤسسة البعثة طهران.
- الشريف الرضي؛ محمد بن الحسين: نهج البلاغة، خطب
الإمام علي ﷺ ت صبحي الصالح، بيروت 1387 هـ .
- بن أبي شيبه العبسي؛ عبد الله بن محمد: المصنف، ت سعد
بن ناصر الشثري، دار كنوز إشبيليا، الرياض، 1436 .
- الشيرازي؛ إبراهيم بن علي بن يوسف: اللمع في أصول
الفقه، دار الكتب العلمية، 1424 هـ.
- ابن عبد البر، يوسف النمري القرطبي: الاستيعاب في معرفة
الأصحاب، ت علي محمد، دار الجيل، بيروت 1412 .
- ابن عساكر الشافعي؛ علي بن الحسن: تاريخ مدينة دمشق،
ت عمر العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر، 1415.
- الصدوق؛ محمد بن علي بن بابويه: الأمالي، تحقيق: قسم
الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة - قم.

- الصدوق؛ محمد بن علي بن بابويه: الخصال، تعليق علي أكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية قم إيران.
- الصدوق؛ محمد بن علي بن بابويه: عيون أخبار الرضا (عليه السلام)، تعليق الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان.
- الصدوق، محمد بن علي بن بابويه: معاني الأخبار، ت علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي قم 1379.
- الصدوق، محمد بن علي بن بابويه: علل الشرائع منشورات المكتبة الحيدرية، النجف.
- الصدوق؛ محمد علي بن بابويه: التوحيد، ت هاشم الحسيني الطهراني، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية قم.
- الصنعاني؛ عبد الرزاق بن همام: المصنف، ت مركز البحوث وتقنية المعلومات - دار التأصيل، 2013م.
- الطائي؛ نجاح: السيرة النبوية، مؤسسة البلاغ - بيروت، 1422.
- ابن طاووس الحسيني: إقبال الأعمال، ت جواد القيومي، مكتب الإعلام الإسلامي، 1414.

- طالب؛ حسين: النور المبين في فضل الصلاة على محمد وآله الطاهرين، مؤسسة الاعلمي - بيروت 1419.
- الطباطبائي؛ محمد حسين سنن النبي (مع ملحقات)، ت: محمد هادي الفقهي، مؤسسة النشر الإسلامي قم 1419.
- الطبراني؛ سليمان بن أحمد بن أيوب: المعجم الكبير، ت حمدي السلفي، مكتبة ابن تيمية - القاهرة.
- الطبراني؛ سليمان بن أحمد: الأحاديث الطوال، ت حمدي السلفي، مكتبة الزهراء - الموصل 1404.
- الطبرسي: أبي علي الفضل بن الحسن: مجمع البيان مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت .
- الطبري؛ أبو جعفر، محمد بن جرير: تاريخ الرسل والملوك، ت محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر 1967.
- الطبري؛ أبو جعفر محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: عبد الله التركي، دار هجر للطباعة والنشر.
- الطبسي؛ محمد جعفر: تمسك العترة الطاهرة بالقرآن الكريم، المركز الفقهي للأئمة الأطهار، قم.
- الطوسي، محمد بن الحسن: تهذيب الأحكام، ت السيد حسن الخراسان، دار الكتب الإسلامية طهران - 1390 هـ.

- الطوسي؛ محمد بن الحسن شيخ الطائفة: الأمالي، ت: مؤسسة البعثة، دار الثقافة - قم، 1414.
- الطوسي؛ محمد بن الحسن: الغيبة، ت عباد الله الطهراني، مؤسسة المعارف الإسلامية - قم، 1411.
- الطوسي؛ الشيخ محمد بن الحسن: مصباح المتعبد مؤسسة فقه الشيعة - بيروت، 1411.
- العامللي؛ السيد جعفر مرتضى: الصحيح من سيرة النبي الأعظم، دار الحديث للطباعة والنشر، قم، 1426هـ.
- ابن أبي عاصم الشيباني: السنة، ت محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، 1400.
- ابن عبد البر؛ يوسف بن عبد الله بن محمد: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ت علي البجاوي، دار الجيل، بيروت 1412هـ.
- العسقلاني؛ بن حجر: مختصر زوائد مسند البزار على الكتب الستة ومسند أحمد، ت صبري بن عبد الخالق، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1412هـ.
- العسقلاني؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ت عادل أحمد دار الكتب العلمية - بيروت، 1415هـ.

- عطاردي؛ الشيخ عزيز الله، مسند الإمام الباقر، عطار د - تهران.
- فتح الله؛ أحمد: معجم ألفاظ الفقه الجعفري، مطابع المدوخل، الدمام، 1415هـ.
- القرطبي؛ محمد بن أحمد: الجامع لأحكام القرآن، ت: أحمد البردوني، دار الكتب المصرية القاهرة، 1384هـ.
- القرشي؛ الشيخ باقر شريف: أخلاق النبي وأهل بيته، مهر أمير المؤمنين (عليه السلام) - قم، 1425.
- القزويني؛ عبد الله محمد بن يزيد: سنن ابن ماجه، ت محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.
- القمي؛ الشيخ عباس: كحل البصر في سيرة سيد البشر، ت عبد الرزاق حريزي، مؤسسة البلاغ - بيروت، 1429.
- الكراجكي؛ أبي الفتح محمد بن علي: كنز الفوائد، مكتبة المصطفوي - قم.
- الكليني؛ محمد بن يعقوب بن إسحاق: الكافي، تعليق علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية طهران، إيران، 1388هـ.
- الكنجي الشافعي؛ محمد بن يوسف: كفاية الطالب في مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: دار احياء تراث أهل البيت (عليه السلام) طهران، 1404.

- المازندراني؛ محمد بن علي بن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب، المكتبة والمطبعة الحيدرية، النجف، 1376 .
- المجلسي الأول؛ محمد تقي: روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، ت علي بنه اشتها ردي، قم، 1406.
- المجلسي؛ المولى محمد باقر: بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء بيروت، 1403.
- المجلسي؛ المولى محمد باقر: مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، ت هاشم محلاتي، دار الكتب الإسلامية - طهران، 1404.
- المدرسي؛ السيد محمد تقي، الفقه الإسلامي (أحكام العبادات)، مركز العصر - بيروت، 1431.
- المسعودي، علي بن الحسين بن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق يوسف أسعد داغر، منشورات دار الهجرة، قم.
- المصطفوي؛ السيد محمد كاظم، القواعد الفقهية، المركز العالمي للدارسات الإسلامية - قم، 1426.
- معرفة؛ الشيخ محمد هادي: التمهيد في علوم القرآن؛ مؤسسة النشر الإسلامي، قم.

- الميانجي؛ علي الأحمد، مكاتيب الرسول، دار الحديث 1998م.
- النجفي؛ محمد حسن: جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، ت عباس القوجاني، دار الكتب الإسلامية - طهران.
- النجمي، محمد صادق: أضواء على الصحيحين، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم.
- النسائي؛ أحمد بن شعيب: خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ت أحمد البلوشي، مكتبة المعلا - الكويت 1406.
- النسائي؛ أحمد بن شعيب السنن الكبرى، ت حسن شلبي، مؤسسة الرسالة - بيروت، 1421هـ.
- النيسابوري؛ أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله: المستدرک على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، 1411.
- النيسابوري؛ مسلم بن الحجاج القشيري: صحيح مسلم، ت محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، 1955.
- الهيثمي: أحمد بن محمد بن علي بن حجر؛ الصواعق المحرقة؛ مؤسسة الرسالة - لبنان.

- اليوسفي الغروي؛ محمد هادي: موسوعة التاريخ الإسلامي، مجمع الفكر الإسلامي - قم، 1417.

مواقع الإلكترونية

- شبكة الكافي <http://alkafi.net/index.php?threads/1510>
 - <https://www.albadri.info/books/seerah/index.htm>
 - إضاءات.
- <https://www.ida2at.com/the-jews-of-bani-quireizah-beyond-the-religious-reading-of-the-incident>

الفهرس

إهداء.....	5
مقدمة سلسلة النبي والعترة.....	7
مقدِّمة.....	17
ما قبل الميلاد إلى لقاء الله تعالى.....	23
1/ أول الخلق.....	23
2/ الوالدان والولادة المباركة.....	25
3/ محمد وأحمد.....	29
4/ رضاعه في بني سعد.....	31
5/ النبي محمد إلى سن العشرين.....	33
6/ النبي ما بعد العشرين إلى الأربعين (قبل البعثة).....	35
7/ من البعثة إلى الهجرة.....	38
الإسراء والمعراج.....	40
كيف بدأت واستمرت الدعوة للإسلام؟.....	45
8/ الهجرة إلى المدينة.....	48
9/ رسول الله: معجزاته، سنته.....	51

- وأما سنته: وهي أقواله وأفعاله وتقريره..... 56
- 10/ رسول الله؛ صحابته وعترة..... 60
- عترة النبي..... 63
- 10/ الرسول يواجه أعداءه: قريشًا واليهود والمسيحيين..... 66
- 12/ الفترة الحاسمة في حياة النبي..... 86
- 13/ ارتحال النبي لخالقه: (مَاتَ أَوْ قُتِلَ)؟..... 94
- مصادر المسلمين عندما تشوه صورة النبي..... 101
- مقامات رسول الله في القرآن الكريم..... 113
- 1/ التوقير في مقام الاسم والنداء..... 114
- 2/ الصلاة عليه من ربه والملائكة..... 117
- اعتناء الإمامية بذكر الصلاة على محمد وآله..... 121
- 3/ تكفل الله تعالى برفع ذكره ﷺ..... 124
- 4/ وأقسم بحقه وحياته..... 125
- 5/ وأخبره بأنه يعطيه مقدار رضاه..... 127
- 6/ وعلم المسلمين الأدب مع رسول الله..... 128
- 7/ من هو النبي محمد في القرآن؟..... 129
- 8/ ما كان أبا أحد من رجالكم..... 131
- 9/ وإنك لعلی خلق عظیم..... 132
- 10/ رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عتتم..... 135
- 11/ مهماته الرسالية..... 136

- 137..... 12/ رحمة للعالمين
- 140..... 13/ علاقة النبي بربه وبمن أرسل لهم
- 143..... من علم النبي ﷺ
- 143..... 1/ رسول الله مدينة العلم
- 147..... 2/ ألم يعلم رسول الله سائر الصحابة؟
- 148..... 3/ ماذا ترك النبي لأهل بيته؟
- 149..... 4/ هل كان النبي يجتهد في الأحكام؟
- 154..... 5/ النبي أميٌّ أو أعلم خلق الله؟
- 154..... أدلة القائلين بالأمية
- 157..... أدلة القائلين بكونه غير أميٍّ
- 165..... خيط نور من شمس علمه
- 166..... وصايا النبي وخطبه
- 167..... فمن وصاياه ﷺ
- 170..... توجيهات في الخريطة العامة للحياة السليمة
- 172..... قواعد وأصول نبوية لاستنباط الأحكام
- 179..... وفي تفاصيل الأحكام الشرعية
- 191..... الحياة الأسرية للنبي محمد ﷺ
- 191..... زوجات النبي أسماء وتاريخ
- 201..... عشر نقاط في فهم موقع زوجات النبي
- 215..... أولاده صلوات الله عليه وآله

- 217..... بنات النبي الثلاث لسن ربائب
- 223..... عبده ورسوله
- 229..... وضوء النبي
- 231..... وأما صلاة النبي ﷺ
- 233..... نوافل النبي
- 235..... دعاء النبي
- 238..... ليلة النصف من شعبان ودعاء النبي
- 241..... صلاة النبي أو صلاة الخلفاء؟
- 245..... هذا هو النبي: كيف وصفه وصيّه
- 257..... أسئلة حول الرسالة والرسول
- 257..... 1/ ارضاع السيدة حليلة للنبي
- 268..... 2/ رواية غريبة في رضاع النبي!
- 270..... 3/ مصادر رزق النبي والمعصومين صلى الله عليه وعليهم؟
- 274..... 4/ هل نجح رسول الله ﷺ في هداية قومه؟
- 307..... كلمة شكر
- 309..... المصادر
- 323..... الفهرس

